فتنة المال

في ضوء الكتاب والسنة

لأبي محمد/عثمان ابن إبراهيم سيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله , بلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة, وجاهد في الله حق جهاده حتي أتاه اليقين من الله عز وجلّ , اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ومن انتهج نهجه وسلك سبيله إلي يوم الدين.

{{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون, }}[1]

و{{ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة , وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسآلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}}[2]

{{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}}[3]

---

[1] سورة آل عمران{101}
[2] سورة النساء الآية{1}-
[3] سورة الأحزاب الآية{69-71}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله سبحانه وتعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها, وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار}}

فإن المسلمين وصلوا في أشد مراحل الذل والضعف, لأنهم تخلوا دين الجبار السموات والأرض, وصلوا في أشد مراحل الإختلاف والتدابر والتقاطع , واتباع غير سبيل المؤمنين. وصلوا في أشد مراحل حب الدنيا على حساب الإسلام كما رأينا وسمعنا في هذا المجال الكثير الكثير, وحتى بعض الدعاة يحملهم الإسلام لإشباع رغباتهم وشهواتهم, من حبّ الظهور, وتصدر في المجالس وصرف وجوه الناس إليهم, وحبّ الرئاسة والمدح والثناء والإفرادية في الساحة والحسد والخداع وغيرذلك مما أدي إلى هذه المرحلة من الهوان والذل والضعف والإحتقار من الأخرين والإستهزاء بنا وبديننا ولو أردنا العزة بغير التمسك بالوحيين الشريفين أذلنا الله بتمسكنا بغيرهما,ولهذا فإن أسباب التى أدت إلى ذل المسلمين اليوم ,وهوانهم على الناس كثيرة ,بل الباحث في هذا الموضوع قد يكون حيرانا , إذا وقف على حال المسلمين في عصور الماضي, قرون المفضلة , وما لهم من عزة ومنعة,و ماأعطاهم الله سبحانه وتعالى ووفقّهم بحسن عبادته, فأنزل الله غيث الإيمان في قبلوبهم ونوره في صدورهم , وثم وقعت المصائب على المسلمين من بعدهم,لأنهم لم يأخذوا بأسباب العزة ,فلله العزة جميعا,جاء في القرآن الكريم بيان لأسباب العزة وأسباب دفع الذل والهوان عن المسلمين, قال الله سبحانه وتعالى:{{ يأأيها الذين آمنوا من يردّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم۝إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون۝ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون۝ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين۝وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك

بأنهم قوم لا يعقلون}المائدة{58}بيّن الله تعالى في هذه الآيات الكريمات أصول العزة وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتصديق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام , ومحبة الله تعالى ورسله ,والتواضع والذل للمؤمنين وخفض الجناح لهم ,وأداء حقوق الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ,وجهاد في سبيل الله تعالى وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ونصر ة دين الله تعالى

ونصرة سنة نبيه ﷺ ,قال الله سبحانه وتعالى: { يأأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم }{6{ ولايخافون في ذلك لومة لائم كما قال الله تعالى :{الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا}الأحزاب{38}واتخذ المؤمنين أولياء الذين أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وهم مع الراكعون ولم يتخذ الذين يلعبون بدين الله تعالى أولياء , ويستهزؤون بسنة نبيه ﷺ ,وبالمؤمنين القائمين بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ والناهين عنما نهي الله تعالى عنه ورسوله ﷺ, , وهؤلاء إذا قيلهم تعالوا إلى إيمان بالله تعالى وإلى اتباع رسوله صلى الله عليه وإلى إقامة الصلاة تراهم في لعبهم وهزؤهم بدين الله تعالى, والمسلمو ن اليوم كما وصفهم النبي ﷺ ,من حب الدنيا وكراهية الموت , والقعود عن نصرة دين الله تعالى , وجريان وراء طلب الرزق ,حتى ظنّ بعضهم أن العزة والسعادة الأبدية هي المال ,وبالتالي هبوا إلى طلب المال , وتركوا الرزاق , واعتمدوا على غير الله في ذلك .ولهذا قمت بكتابة هذا البحث مستنبطا فهم ذلك في كتاب الله

تبارك وتعالى وفي سنة نبيه ﷺ ومن أقوال علماء المسلمين , وسيمته ***فتنة المال في ضوء***

الكتاب والسنة}},لعل الله يجعله سببا لمراجعة الحسابات في شدة الحرص على المال,

وحتى يكون المسلم حرصه الشديد في طلب مرضاة الله تعالى, حتى ننهض من جديد, وحتى نستطيع أن نقدم وجه الصحيح للإسلام إلى من حولنا من غير المسلمين,

وقسمت البحث إلى تمهيد وفصولين,وفي التمهيد خمسة المباحث: المبحث الأول: تعريف الفتنة لغة, واصطلاحا, المبحث الثاني: فتنة العامة, والمبحث الثالث: فتنة الخاصة , والمبحث الرابع : تعريف المال لغة واصطلاحا, والمبحث الخامس أسباب الجالبة الرزق,

ثم قسمت الفصل الأول: إلى مباحث , فالمبحث الأول تحدثت فيه فتنة حب الشهوات,والمبحث الثاني:قارون وماله, والمبحث الثالث: أصحاب الجنتين,المبحث الرابع: فتنة أصحاب الجنة, المبحث الخامس: إبتلاء أهل القرية بسلب النعمة,المبحث السادس: ثلاثة الذين أغناهم الله بعد الفقر والمرض, المبحث السابع فتنة بيع الحرام وبدأت فيه بذكر حديث الذي رواه إمام أبوداود في بيع العينة, وبينّت في هذا المبحث أن السعي وراء الرزق صار أكبر هم أبناء المسلمين اليوم حتّى فرطوا بذلك حقوق الله تعالى,و حقوق عباده سبحانه وتعالى,كصلة الأرحام وغيرذلك, وفي فصل الثاني قسمت على عدة المباحث :

المبحث الأول: تحدثت فيه فتنة كثرة التسوّل, والمبحث الثاني تحدثت من يجوز له المسألة والمبحث الثالث: تحدثت فيه ما جاء في تحذير المؤمن من فتنة المال, والمبحث الرابع تحدثت في ماجاء عن فتنة الشح والبخل, والمبحث الخامس: تحدثت فيه فقد الصدق في طلب المال لدي كثير من المسلمين اليوم, المحث السادس: تحدثت فيه عن فتنة شدة الحرص على الأموال مما جعل ارتكبت محرمات لأجله, و هذا جهد طالب علم يبتغى مرضات ربه,وعيوبي عرضتها على القارئ, فما كان فيه من الصواب فمن الله تعالى ورسوله,توفيق ذلك منه تعالى, وماكان فيه من خطأ فمنّى ومن الشيطان فأرجو غفران ربي من زلل وعليه التكلان,الكمال الله تعالى.

تمهيد الكتاب
تمهيد هذا الكتاب ينقسم إلى خمسة مباحث:
المبحث الأول: تعريف الفتنة لغة واصطلاحا,
المبحث الثاني : فتنة العامة
المبحث الثالث: فتنة الخاصة,
المبحث الرابع:تعريف المال لغة واصطلاحا,
المبحث الخامس: الأسباب الجالبة للزرق

تعريف الفتنة في اللغة:

الفتة لغة : مصدر كالفتن والفتون , وكل مأخوذ من مادة:{ ف ت ن} التي تدل على { الابتلاء والاختبار} يقال : فتنت الذهب بالنار إذا امتحنته[4]} وقال الخليل: الفتن: إحراق الشيئ بالنار كالورق, الفتين أي المحترق وقوله تعالى: { يوم هم على النار يفتنون} الذاريات 13} أي يحرقون , قال: وكان أصحاب النبي ﷺ يفتنون بدينهم, أي يعذبون ليردّوا عن دينهم , ومنه قوله تعالى: { والفتنة أشدّ من القتل} البقرة191} الفتنة, هنا العذاب , والفتنة أيضا أن يفتن الله قوما أي يبتليهم, والفتن: ما يقع بين الناس من الحروب, ويقال في أمر العشق: فتن بها وافتتن بها أي عشقها, والفتّان :الشيطان , وفتن وأفتن واحد قال الشاعر :أعشى همدان}:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت### ## سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم}[5]

قال الراغب : أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته, واستعمل في إدخال الإنسان النّار, والفتنة : العذاب كما في قوله تعالى: { ذوقوا فتنتكم} الذاريات 14]وتارة يسمون بها ما يحصل عنه العذاب نحو قوله تعالى : { ألا في الفتنة سقطوا} التوبة 49} وتارة يستعملونها في الإختبار نحو: {وفتنّاك فتونا} طه40} وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء , وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا قال تعالى: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة} الأنبياء 35} وقال في الشدة : { إنما نحن فتنة} البقرة 102} وقول الله تعالى: { ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا} التوبة49} المعنى: لا تبلني ولا تعذبني وهم بقولهم هذا وقعوا في البليّة والعذاب, وسمى الله –عز وجلّ – الأموال والأولاد فتنة في قوله عز من قائل: { إنما أموالكم وأولادكم فتنة} التغابن 15} اعتبارا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم , وذلك كقوله

---

[4] مقاييس اللغة{472/4}-
[5] كتاب العين{128/8}-

تعالى: { ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون} أي لا يختبرون فيميّز خبيثهم من طيّبهم }[6] }

قال الفيروز آبادي: والفتنة أيضا: إعجابك بالشيء والجمع فتن قال الشاعر:

وفيك لنا فتن أربع تسلّ سيوف الخوارج

لحاظ الظباء وطوق الحمام ومشى القباج وزيّ التدارج[7] }

قال بن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار, وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الردي من الجيد, وقال ابن الأعرابي: الفتنة : الاختبار , والفتنة : المحنة, والفتنة المال, والفتنة الأولاد , والفتنة الكفر, والفتنة: اختلاف الناس بالآ راء والفتنة : الإحراق بالنار, وقيل أيضا الفتنة الظلم وقولهم : فلان مفتون في طلب الدنيا أي غلا في طلبها, وقيل أيضا الفتنة الخبرة وذلك كما في قوله تعالى{ إنا جعلناها فتنة للظالمين} الصافات 63} أي خبرة ومعناه: أنهم أفتنوا بشجرة الزقوم وكذبوا بكونها , وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم قالوا: الشجر يحترق في النار فكيف ينبت الشجر في النار؟ فصارت فتنة لهم ,وقول الله عز وجلّ { ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين} يونس85}المعنى لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منّا , فالفتنة هنا: إعجاب الكفار بكفرهم}[8]} قال القرطبي : المعنى: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين , أو تمتحنّا بأن تعذبنا على أيديهم}[9] هذه بعض المعاني الفتنة في اللغة, ولا تختلف كثيرا عن معاني الفتنة في الكتاب والسنة

وأما اصطلاحا:

[6] المفردات للراغب {372} تحقيق سيد كيلاني
[7] بصائر ذو التمييز{168-167/4}
[8] لسان العرب {فتن} {3344} دار المعارف
[9] تفسير القرطبي { 236/8

ذكر الجرجاني: الفتنة: هي ما يبيّن به حال الإنسان من الخير والشر }[10] وكذلك ما مضى من كلام للراغب قال المناوي: الفتنة : البليّة وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة}[11]}قال ابن حجر : الفتنة : ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل}[12] ولا يختلف كثير ا بين تعريف لغوية وتعريف اصطلاحي, ولا يختلف كثيرا معانى الفتنة في اللغة ومعانيها في القرآن الكريم. وذكر العلماء المفسرين بعض معانيها على حسب الآيات الواردة في ذكر الفتنة , على سيبل مثال, من معاني الفتنة في القرآن الكفر ,والشكر ,والعذاب ,واحراق بالنار, والامتحان والإبتلاء وغير ذلك ليس موضع ذكرها هنا. ثم من خلال قراءة النصوص تبيّن لنا أن الفتنة ينقسم إلى قسمنين فنتة العامة التى تعم الأمة كلها , هي فتنة الهروب والحروب, حينما يتقاتلون فما بينها كما في تعريف الحافظ ابن حجر ما ينشأ اختلاف الناس في طلب السيطرة على السلطة والإمارة والرياسة ,وتصدر في أماكن القيادة للأمة ,حيث لا يعلم من الذي يستحق بها ,ومن هو مبطل, وقد جاءت النصوص في السنة تفصيل ذلك. هناك بعض الأدلة أيضا تشير إلى قسم الثاني. وهي فتنة الخاصة. هي التى تخص بعض أفراد الأمة , كأن يبتلى الإنسان في ماله ولده وعرضه وجسده. كما في تعريف الجرجاني بأنها ما يبيّن به حال الإنسان من الخير أو الشر , هذه فتنة الخاصة,وسأذكر الأدلة كليهما في المبحثين التالين:-

---

[10] التعريفات {171}
[11] التوقيف على مهمات التعريف
[12] فتح الباري{34/13}

المبحث الثانى

فتنة العامة

فتنة العامة المقصود بها. فتنة التي تعم الأمة كلها .كما جاءت فى ذلك نصوص كثيرة من النبي ﷺ, وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى. وهذه الفتن التى ذكرها النبي ﷺ تدل على صدقه.

ومن علامات نبوته ﷺ,و من هذه الفتن , فتنة العامة التي ذكرها ﷺ , كما أخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: { إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم , وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم , وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها, وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها, فتجيء فتنة, فيرقق بعضها بعضا, وتجيئ الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي, وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه , فمن أحبّ أن يزحزح عن النّار, ويدخل الجنة , فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر , وليأت إلي الناس الذي يحبّ أن يؤتى إليه , ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه, فليطعه ما استطاع, فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.}[13] في هذا الحديث الشريف بيان من الرسول الكريم ما تكون من الفتن, التي تعم الجميع حتى يظن المؤمن أن هذه الفتن لا تتركه ,إنما يهلك معها حتى تنشكف, ثم تكون أخري فيقول المؤمن هذه هي هذه .ثم بيّن المرتضى صل الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف منجيات من الفتن هي:

الأول: الذي يرغب في نجا ة نفسه من النار يوم القيامة ويكون فائزا بدخول الجنة فليحقق أركان الإيمان, التي هي الإيمان بالله ,وملائكته ,ورسله, وكتبه, والإيمان بالقضاء والقدر .والإيمان باليوم الآخرة ,وما ذكر من أمور غيبيّة كما في حديث الأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ. الحديث الذي يعتبر أصلا من أصول العقيدة السلفية. وإنما اختصر في هذا الحديث بذكر ركنين لأن من آمن بهما كان لزاما عليه أن يؤمن بباقي الأركان, وكأن في الحديث إشارة إلى أن الإيمان بالله والرغبة في طلب النجاة من النار يوم القيامة والفوز بالجنة النعيم, ما يعصم العبد من الفتن,

الثاني: الأخلاق الحسنة التى تحب أن يقابلك بها الناس, ولأن من أنواع الفتنة أن يبتلى العباد بعضهم بعض كما قال الله تعالى: { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون} وكذلك معاملة

[13] أخرج الإمام مسلم مع النووي {6/ 186-187}رقم الحديث{1844}

الحسنة والأخلاق الحسنة يتقي بها الإنسان شرّ إنسان, ومما يعصم الإنسان من الفتنة .الأخلاق الحميدة الحسنة الطيبة.

الثالث: أن لا يترك المسلمون مجالا للإختلاف فيما بينهم , وكل ما يؤدي إلى الإختلاف والفتن يجب عليهم أن يقوموا باستئصال ذلك. وخاصة ما يكون سببا للفتنة العامة كحروب لأجل الإمارة,وتقاتل لذلك كما هو مبيّن في نهاية الحديث الشريف :{ ومن بايع إماما , فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه , فليطعه إن استطاع. فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر} وفي شرح العلماء لهذا الحديث ما ذكر الشيخ الهروي في كتابه الماتع :- قوله{ في أولها} يعني بأول الأمة أزمانه , وزمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان فهذه الأزمنة كانت أزمنة اتفاق هذه الأمة واستقامة أمرها, وعافية دينها فلما قتل عثمان هاجت الفتن كموج البحر وتتابعت كقطع الليل المظلم ثم لم تزل متوالية إلى يوم القيامة { وسيصيب آخرها بلاء} أي فتن واختلاف{ وأمورتنكرونها} من البدع والخرافات وعلى هذا المعنى الذي ذكرنا آنفا فأول آخر هذه الأمة المعنى في هذا الحديث مقتل عثمان وهو آخر بالنسبة إلى ما قبله من زمان الاستقامة والعافية, وقد دل على هذا قوله وأمور تنكرونها ,والخطاب لأصحابه فدل على أن منهم من يدرك أول ماسماه آخرا , وكذلك كان ,[14] وأخرج الإمام البخاري ومسلم رحمهما بسندهما من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: { أيّكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ؟ قال حذيفة: فقلت : أنا فقال: إنّك لجريء. قال: كيف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله, وولده, وجاره تكفّرها الصلاة , والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال عمر: ليس هذا أريد, إنما أريد التى تموج موج البحر, قال: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنّ بينك وبينها بابا مغلقا قال: أيفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يكسر قال: ذاك أجدر ألاّ يغلق , فقلت لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: كما يعلم أنّ دون غد الليلة, إنّي حدثته حديثا ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأله من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله.

[14] الكوكب الوهاج{234/20}

فسأله: فقال : عمر}}[15] والشاهد في الحديث أن الفتنة تكون في الأمة تموج موج البحار , مثّله النبي ﷺ بالبحر الذي اشتد أمواجه, وكان الغريق فيه حيرانا وأحاط به الهلاك في كل مكان, وهذه الفتة تحيط بالأمة كما أحاط أمواج البحر, على مسرف الهلاك بين أمواجه. قال الحافظ قوله: لما يعلم أن دون غد ليلة} أي علمه علما ضروريا مثل هذا . قال ابن بطال : - إنما عدل حذيفة حين سأله عمر عن الإخبار بالفتنة الكبرى إلى الإخبار بالفتنة الخاصة لئلا يغم ويشغل باله , ومن ثم قال له : { إن بينك وبينها بابا مغلقا} ولم يقل أنت الباب وهو يعلم أنه الباب فعرض له بما فهمه ولم يصرح . وذلك من حسن أدبه, وقول عمر :{إذا كسر لم يغلق} أخذه من جهة أن الكسر لا يكون إلا غلبة والغلبة لا تقع إلا في الفتنة , وعلم من الخبر النبوي أن بأس الأمة بينهم واقع ,أن الهرج لا يزال إلى يوم القيامة كما وقع في حديث شداد رفعه : { إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة}[16] وأخرج الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله بسنديهما عن أبي إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة يقول: { كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير, وكنت أسأله عن الشر, مخافة أن يدركني, فقلت: يا رسول الله, إنّا كنّا في جاهلية وشر, فجاءنا الله بهذا الخير, فهل بعد الخير شرّ ؟ قال: نعم فقلت: هل بعد هذا الشر من خير ؟ قال: نعم وفيه دخن قال: قلت : وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سنّتي, ويهدون بغير هديي, تعرف منهم وتنكر. فقلت : هل بعد ذاك الخير من شرّ؟ قال: نعم فتنة عمياء دعاة على أبواب جهنّم , من أجابهم إليها قذفوه فيها. فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: نعم قوم من جلدتنا , ويتكلمون بألسنتنا, فقلت: يا رسول الله , ما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم, قلت : إن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها, ولو أن تعض على أصل الشجرة , حتى يدركك الموت وأنت على ذلك}[17] هذه الفتن التي تعم حتى يكاد الإنسان لا يفرق بين دعاة الحق, وبين دعاة على أبواب جهنم ,وهذه فتنة العامة كما وصفها النبي ﷺ من سرعة انتشارها في الأمة, تدخل على أيدي قوم

[15] أخرج الحديث البخاري {3586} ومسلم{144}
[16] فتح الباري{58/13}
[17] أخرج البخاري {7084} ومسلم {1847}

يتكلمون بالإسلام ,ويدعو ن إلي النار,يدعون الناس إلى البدع والهوى,واتباع المتشابهات,وترك المحكمات, ويظهرون مخالفة أهل السنة والجماعة, وماكان عليه السلف رحمهم الله, قال النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة . وفي حديث حذيفة هذا : لزوم جماعة المسلمين وإمامهم , ووجوب طاعته , وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك , فتجب طاعته في غير معصية , وفيه معجزات لرسول الله ﷺ وهي هذه الأمور التى أخبر بها وقد وقعت كلها[18] أما لزوم جماعة المسلمين كما ذكر الحديث أصل من أصول دعوة السلفية ووجوب طاعة الإمام من غير معصية الله لو عمل المعاصي وضرب الظهور,ولو أخذ الأموال,لأن النبي ﷺ أمر أتباعه وحثهم على الصبر على جور الإمام.

ولكن إذا اشتدت الفتن في الأمة حتى لم يجد المسلمون إماما لجماعة المسلمين من أنفسهم, وظهرت الفرق والجماعات,وتنظيمات السرّية واشتدت الفتة, لم يتميّز بين المحق والمبطل يجب على المسلم حينئذ أن يعتزل تلك الفرق والجماعات والأحزاب كلها,ويثبت على أصل الإسلام ويعض على سنة النبي ﷺ,التي هي العصمة من فتن كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: السنة سفينة نوح من ركبها نجا من البدع والفتن,وكذلك يعض على أصل الشجرة منفردا معتزلا عن الفتن, حتى يدركه الموت هو على ذلك, وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه بسنده من حديث حذيفة ﷺ قال: {{ حدثنا رسول الله ﷺ مجلسا أنبأ فيه عن الفتن, فقال وهو يعدّ الفتن: منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئا, ومنها فتن كرياح الصّيف, منها صغار, ومنها كبار. قال حذيفة : فذهب أو لئك الرهط كلهم غيري}[19] } والشاهد أن إنتشار الفتن بين الأمة كريح الصيف تكون هبوطها شديدا, حيث لا تترك شيئا أمامها إذا امرت إلا دمرته,وكذلك هذه الفتنة لا تترك أحدا إلا وصلت إليه شرّها, إلا من رحمه الله فنجّاه منها,وهو الذي أخذ أسباب نجاة منها بعد توفيق الله

---

[18] شرح صحيح مسلم للنووي{190/6}

[19] وأخرج الحديث الإمام مسلم مع النووي{12/9}الرقم الحديث {2891ؤ

له.وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه بسنده من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { ستكون فتن , القاعد فيها خير من القائم , والقائم فيها خير من الماشي , والما شي فيها خير من الساعي , من تشرّف لها تستشرفه , ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به}[20] قال النووي رحمه الله تعالى: { أما تشرف فروي على وجهين مشهورين : أحدهما : بفتح المثناة فوق والشين والراء. و الثاني: يشرف بضم الياء وإسكان الشين وكسر الراء وهو من الإشراف للشيء وهو الانتصاب والتطلع إليه, والتعرض له , ومعنى تستشرفه تقلبه وتصرعه , وقيل هو من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك , ومنه أشفى المريض على الموت وأشرف, ووقوله: { ومن وجد منها ملجا} أي عاصما وموضعا يلتجيء إليه ويعتزل فيه فليعذ به أي فليعتزل فيه, وقوله { القاعد فيها خير من القائم} إلى آخره فمعناه بيان عظم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها, ومن التشبت في شيء, وأن شرّها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها}[21] }وجاء الحديث عند الإمام المحدثين أبو عبد الله البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم , والقائم فيها خير من الماشي, والماشي خير من الساعي, من تشرف لها تستشرفه , فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به}} قال الحافظ رحمه الله قال بعض الشراح في قوله : { والقاعد فيها خير من القائم } أي القاعد في زمانها عنها قال: والمراد بالقائم الذي لا يستشرفها , وبالماشي من يمشى في أسبابه لأمر سواها , فربما يقع بسبب مشيه في أمر يكرهه, وحكى ابن التين عن الداودي أن الظاهر أن المراد من يكون مباشرا لها في الأحوال كلها , يعنى أن بعضهم في ذلك أشد من بعض , فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سببا لإثارتها , ثم من يكون قائما بأسبابها وهو الماشى , ثم من يكون مباشرا لها وهو القائم , ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد , ثم من يكون مجتنبا لها ولا يباشر ولا ينظر , وهو المضطجع اليقظان , ثم من لا يقع فيه شيئ من ذلك ولكنه راض وهو النائم , والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرا ممن فوقه على التفصيل المذكور. وقال وفيه التحذير من الفتنة , والحث على اجتناب الدخول فيها , وأن شرها يكون

---

[20] أخرج مسلم في صحيحه مع النووي{ 8/9} وقم الحديث 2887}وأخرج الإمام البخاري {36/13} رقم الحديث 7081}

[21] المصدر السابق

بحسب التعلق بها, والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الإختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل, قال الطبرى : اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقا كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة في آخرين , وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها, ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت , وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلا, ثم اختلفوا فمنهم من قال : إذا هجم عليه شئ من ذلك يكف يده ولو قتل , ومنهم من قال : بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل, وقال آخرون : إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها, وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على قارد الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب , وهذا قول الجمهور, وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع , وتنزل الأحاديث التى في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعي , قال الطبرى : والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء , وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه, فمن أعان فيها المحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ , وإن أشكل الأمر فهي الحالة التى ورد النهى عن القتال فيها , وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حقّ ناس مخصوصين , وأن النهى مخصوص بمن خوطب بذلك , وقيل إن الأحاديث النهى مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقيق أن المقاتلة إنما هي طلب الملك , وقد قع في حديث ابن مسعود الذي أشرت إليه { قلت يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال أيام الهرج قلت ومتى؟ قال حين لا يأمن الرجل جليسه[22]} قلت أما القول أن الأحاديث وردت في شأن ناس معينيين , وأن النهى مخصوص بمن خاطبهم النبي ﷺ بها ليس هناك ما يخصهم بذلك , فيكون الأحاديث الواردة فيها على جميع الأمة في قت إنشرت الفتن كقطع الليل المظلمة, قد يخطئ المسلم فيها فيصيب دما حراما, وحينئذ الأحوط على المسلم أن يعتزلها كما وردت في ذلك النصوص, والعلم عند الله تعالى. وعند الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ : { إنها ستكون فتن , ألا ثم تكون قتنة

---

[22] فتح الباري{13/91-92}

القاعد فيها خير من الماشي, والماشي فيها خير من الساعي إليها, ألا فإذا نزلت أو وقعت , فمن كان له إبل فليلحق بإبله, ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه, ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه} قال: فقال رجل : يا رسول الله, أرايت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: { يعمد إلى سيفه فيدقّ على حده بحجر, ثم لينج إن استطاع النجاة , اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلّغت ؟ } } قال : فقال رجل : يا رسول الله, أرايت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصّفين, أو إحدى الفئتين, فضربني رجل بسيفه, أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: { يبوء بإثمه وإثمك, ويكون من أصحاب النار}[23] قال النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ : - يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر} قيل المراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث ليسد على نفسه باب هذا القتال, وقيل : هو مجاز والمراد به ترك القتال , والأول أصح, وهذا الحديث والأحاديث قبله وبعده مما يحتج به من لا يرى القتال في الفتنة بكل حال, وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة فقالت طائفة : لا يقاتل في فتن المسلمين, وإن دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه, لأن الطالب متأوّل, وهذا مذهب أبي بكرة الصحابي ﷺ, وقال ابن عمر وعمران بن حصين ﷺ وغيرهما: لا يدخل فيها لكن إن قصد دفع عن نفسه, فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام, وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام : يجب نصر الحق والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: { فقاتلوا التى تبغي } الحجرات 9} الآية وهذا هو الصحيح , وتتأوّل الأحاديث على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما , ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون والله أعلم.}[24] وأخرج الإمام سليمان بن الأشعث أبو داود رحمه الله تعالى في سننه بسنده من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: { كنّا قعودا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها, حتى ذكر فتنة الأحلاس, فقال قائل: يا رسول الله, وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هرب وحرب, ثم فتنة السّراء دخنها من تحت قدمي رجل من اهل بيتي يزعم أنه منّي وليس منّي , إنما أوليائي المتقون, ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع, ثم

[23] صحيح مسلم مع النووي{9/7} رقم الحديث{2887}

[24] شرح صحيح مسلم للنووي{9/9}

فتنة الدّهيماء, لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة, فإذا قيل : انقضت تمادت, يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه, وفسطاط نفاق لا إيمان فيه, فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غد}[25] قال في النهاية في ذكر معى فتنة الأحلاس} الأحلاس جمع حلس هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب , شبهها به للزومها ودوامها, قال الخطابي : إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها أو لسواد لو نها وظلمتها} { هرب } بفتحتين, أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة قاله القاري وكلمة{ حرب} في النهاية الحرب بالتحريك نهب مال الإنسان وتركه لا شيئ له . قال الخطابي : الحرب ذهاب المال والأهل. {ثم فتنة السراء} قال القارى: المراد بالسراء النعماء التى تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء, وأضيفت إلى السراء, لأن السبب في قوعها ارتكاب المعاصى بسبب كثرة التنعم أو لأنها تسر العدو انتهى,{ دخنها} يعنى ظهورها وإثارتها شبهها بالدخان المرتفع, والدخن بالتحريك مصدر دخنت النار تدخن إذا ألقى عليها حطب فكثر دخانها, وقيل أصل الدخن أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد قاله في النهاية, وإنما قال { من تحت قدمي رجل من أهل بيتي} تنبيها على أنه هو الذي يسعى في إثارتها أو إلى أنه يملك أمرها { يزعم أنه منّي} أي في الفعل وإن كان مني في النسب والحاصل أن تلك الفتنة بسببه وأنه باعث على إقامتها{ ليس مني} أي من أخلاقي أو من أهلي في الفعل {كورك على ضلع}قال الخطابي: هو مثل ومعناه الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم, وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك , وبالجملة يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به انتهى, وفي النهاية: أي يصطلحون على أمر واه لا نظام له ولا استقامة لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده ,و الورك ما فوق الفخذ انتهى, قال القاري: هذا مثل والمراد أنه لا يكون على ثبات , وفي شرح السنة : معناه أن الأمر لا يثبت ولا يستقيم له, وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله, وحاصله أنه لا يستعد ولا يستبد لذلك, فلا يقع عنه الأمر موقعه كما أن الورك على ضلع

---

[25] أخرجه أبوداود {4242} وصححه الألباني في صحيح الجامع{4194}

يقع غير موقعه,[26] وهذه بعض الأحاديث التى تتحدث عن فتنة العامة التى ذكرناها للتنبيه فقط. لأن الكتاب يبحث فيه فتنة المال التي تعتبر فتنة الخاصة, قد يفتتن بعض المسلمين بالمال , ويقدم عرض الحياة الدنيا على الآخرة , ويقدم إرادة العمل لمتاع الدنيا على الآخرة, ومنهم من يرغب عن الدنيا ويزهد فيها كما أرشد النبي ﷺ لما سئل أن يدله على عمل, إذا عمله يحبه الله تعالى ويحبه الناس , وأشدره النبي ﷺ أن يزهد في الدنيا يحبه الله تعالى, ويزهد فيما عند الناس يحبه الناس, ولذلك قد يكون عند الإنسان أموال الطائلة في يده لا في قلبه فيكون زاهدا في الدنيا راغبا مما عند الله تعالى من الدرجات العلى, وبالتالي تراه ينفق ماله في سبيل الله تعالى, ومرضاته سبحانه وتعالى. كما كان هذا حال أصحاب النبي ﷺ مثل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم, وقد يكون الإنسان ليس عنده مال, هو فقير بائس هو يرغب إلى متاع الحياة الدنيا, ويريد بعمله الزينة الحياة الدينا, فهذا النوع لايعد زاهدا وإن كان أفقر الناس, لأن قلبه متعلق بعرض الدنيا القيليل, ثم في المبحث التالي نذكر بعض الأدلة في الفتنة الخاصة

[26] عون المعبود {11/309-310}

المبحث الثالث

فتنة الخاصة

فإن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة,وأنزل الكتب لكي يبنوا للناس ما ينفعهم , وما يضرهم في الدنيا والآخرة , لقد بين آخر النبي محمد بن عبد الله ﷺ كل خير ودل أمته إلى كل مافيه خير الدنيا والآخرة , وما من طائر يطير في الهواء بجناحين إلا ذكر رسول الله ﷺ فيه علما علمه من علمه وجهله من جهله, وترك أمته على محجة البيضاء ليلها كلنهارها, لا يزيق عنها إلا هالك, ولقد أخبر النبي ﷺ باهتمام البالغ, الفتن التى تكون في هذه الأمة, سواء كانت العامة كما سبق ذكر ذلك أو كانت الخاصة كما هو مقصود المبحث , أي فتنة التى تتعلق بالمال, سوف نذكر في هذا المبحث بعض الأحاديث في فتنة الخاصة.وفتنة الخاصة هي ما يبتلى الله تعالى بعض المؤمنين بنوع من البلاء , ومن ذلك الفنتة ,كأن يتعرض إنسان المسلم الأذي في سبيل الله تعالى, كما كان في بداية أمر الإسلام, وكما هو المشاهد اليوم عند من اتبلي من المسلمين بأذي الكفار والمشركين بالسجن , والسلب الممتلكات .ومن هذه الفتنة, فتنة المنافقين بتخذيل المؤمنين, ومحاولة التأثير على معوياتهم وتخويفهم , وبث الفرقة في أوساط المؤمنين , والتجسس على المؤمنين, وتوصيل أخبارهم لأعدائهم من كفرة أهل الكتاب وغيرهم, وكذلك من اتبلاء بنوع من العمل والكسب

المحرم بين صفوف المسلمين, وكذلك في فتنة الإنسان في ماله ولده كما جاء ذلك في حديث الحذيفة ﷺ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر}}[27]

في هذا ما يدل على أن الإنسان قد يفتن بماله في كسبه وأهله في تربيته ولده, لكن كفارة ذلك كثرة العبادة لله واخلاص له, مثل الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر,

و أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ والذي نفسي بيده , لا تذهب الدنيا حتّى يمرّ الرجل على القبر , فتمرّغ عليه, ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر, وليس به الدين إلا البلاء}[28] لقد بوب الإمام النووي لهذا الحديث وأمثاله : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

وفنتة تكون على حسب التالى:

الابتلاء بالمصائب كما في قوله تعالى: {{ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين۝ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنّا إليه راجعونّ۝ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} البقرة 155-157}, ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : { أشد الناس بلاء الأنبياء, ثم الأمثل فالأمثل, يبتلى الرجل على حسب دينه, فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه, وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه, فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة }[29] ومن ذلك أيضاما أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله

[27] فتح الباري{58/13} رقم الحديث{7096}
[28] صحيح مسلم مع شرح النووي {28/9} رقم الحديث157}
[29] رواه أحمد وصححه الألبانى صحيح الجامع{992}

تعالى في جامعه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله, حتى يلقى الله, وما عليه خطيئة }[30]

وأخرجه أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ : { ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة }[31]

القسم الثاني: الابتلاء بالخيرات والنعم .

قال تعالى: { واعملوا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم} الأنفال 28} ويكون الإبتلاء بالنعم.و من نعمة الله المال والأولاد والصحة والفراغ والشباب إلى غير ذلك من النعم العظيمة التى وهبنها الله تعالى لنا, ليبلونا أنشكر أو نكفر, فتكون النعمة إما تكون العبد للزيادة في الدرجات, أو تكون وبالا عليه إذا لم يؤد حق شكرها .

القسم الثالث: فتنة الشهوات.

قال الله تعالى: { زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و الأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب}آل عمران14} وهذا قليل من كثير لأني أبحث في هذا المبحث فتنة الخاصة التى منها فتنة المال. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت.وإليه أنيب.

---

[30] الجامع الترمذي وقال: حسن صحيح

[31] المرجع السابق وصححه الألباني

المبحث الرابع
تعريف المال
لغة واصطلاح

تعريف المال لغة واصطلاحا:

قال شيخ وهبة الزحلي وفقه الله تعالى: { المال بطبيعته محل الملكية إلا إذا وجد مانع من الموانع, وهو في الغالب محل المعاملات المدنية كالبيع والإيجار والشركة والوصية ونحوها, وهو أيضا عنصر ضروري من ضرورات الحياة أو المعيشة التى لا غنى عنها للإنسان .[32]} والمال من نعم الله تعالى التي جعله الله قياما لحياة الناس,وعنصر الأساس في تصرفاتهم وتحقيق رغباتهم, وأكثر مصالح متوقفة عليها.وهو محل التفاخر بين الناس ومحل التكاثر, وهو سبب لجلب الثواب والأجر, إذا كسبه العبد من حلال , واستخدمه في مرضات ربه سبحانه وتعالى,وأطاع الله فيه وأنفق على الفقراء والمساكين وذوي القربي, والمال قد يكون عنصر عذاب من النار, إذا كسب العبد المال من طرق حرام, ولم ينفق الحلال في مرضات الله تعالى, بل حارب دينه الله تعالى بما أنعم الله تعالى به من هذا المال. وأنفق ماله في معصية الله تعالى, وفي محاربة السنة وما كان عليه الصدر الأول من أصحاب النبي ﷺ, وكان بهذا المال يساند أهل البدع على أهل السنة, فهذا النوع من الأموال يعتبر الشيطاني الجهنمي.

[32] الفقه الإسلامي وأدلته{4/ 124}-

تعريف المال :

المال لغة: كل ما يقتنى ويحوزه الإنسان بالفعل سواء أكان عينا أم منفعة, كذهب أو فضة أو حيوان أو نبات أو منافع الشيء, كالركوب وللبس والسكنى, أما ما لا يحوزه الإنسان فلا يسمى مالا في اللغة كالطير في الهواء والسمك في الماء والأشجار في الغابات التى ليس في ملكية أحد, والمعادن في باطن الأرض, وجاء في مجلة البحوث الإسلامية: { المال مشتق من, مول فعينه واوه ويطلق في اللغة على كل ما يملكه الإنسان من الأشياء, وبعضهم يطلقه على الذهب والفضة خاصة , وكانت العرب تطلقه غالبا على الإبل خاصة أو على النعم, والذي يبدو لي : أن مصطلح المال عند العرب تطور استعماله باختلاف الأزمنة , أنه تأثر أيضا بالأعراف والبيئات , وقد أشار إلى هذا ابن الأثير في النهاية فقال: المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة, ثم أطلق على ما يقتنى ويملك من الأعيان,وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها كانت أكثر أموالهم, وهذا في رأيي ألا يخضع المصطلح الشرعي في المال لأي من هذه الاستعمالات اللغوية بمفرده وكذلك المصطلح العرفي فلا تحمل ألفاظ الناس في عقودهم ودعاواهم على أي من هذه الاستعمالات إلا لوجود القرينة التى تفيد مناسبة دون غيره, قال سفيان سمى المال, لأنه يميل القلوب,}[33]

[33] مجلة البحوث الإسلامية مقالة الشيخ لصالح بن عبد الله اللحيدان عدد 73

وأما تعريف المال في اصطلاح الفقهاء: هناك مذهبان في تحديد مفهومه.

المذهب الأول: ما عندالسادة الأحناف,: المال هو كل ما يمكن حيازته وإحرازه وينتفع به عادة,

ومعنى ذلك : أن المالية لا بد أن تتوفر فيها شرطين الأساسيي, الأول:إمكان الحيازة والإحراز, ولايسمى مالا, ما لا يمكن حيازته كالأمور المعنوية مثل العلم والصحة والشرف والذكاء,وما لا يمكن السيطرة عليه أيضا كالهواءالطلق وحرارة الشمس, وضوء القمر ,

الثاني: إمكان الانتفاع به عادة: فكل ما لا يمكن الانتفاع به أصلا , كلحم الميتة والطعام المسموم أو الفاسد, أو ينتفع به انتفاعا لا يعتد به عادة عند الناس كحبة قمح أو قطرة ماء, أو حفنة تراب, لا يعد ما لا, لأنه لا ينتفع به وحده, وأما الانتفاع بالشيء حال الضرورة كأكل لحم الميتة عند الجوع الشديد , فلا يجعله الشيئ مالا , لأن ذلك ظرف استثنائي , وكذلك تثبت المالية بتمول الناس كلهم أو بعضهم , مثل الخمر أو الخنزير مال.عندالأحناف لانتفاع غير المسلمين بهما, ويدخل في ذلك ما ثبت ماليته في عصر الحديث ما لم تكن يعتبر مالا قبل ذلك, وإذا ترك بعض الناس تمول بعض الأشياء كالثياب القديمة وغيرها, فلا تزول عنه صفة المالية,إلا إذا تخلي الناس كلهم ذلك الشيئ حينئذ تزول عنه صفة المالية,.

والمذهب الثاني: المال عند جمهور الفقهاء : فهو كل ماله قيمة يلزم متلفه بضمانه, وهذا المعنى هو المأخوذ به قانونا, فالمال في القانون وهو كل ذي قيمة مالية, الأشياء غير المادية الحقوق والمنافع, وذلك أن الحنفية حصروا معنى المال في الأشياء أو الأعيان المادية , التى لها مادة وجرم محسوس. وأما المنافع والحقوق , فليست أموالا عندهم, وإنما ملك لا مال, والجمهور اعتبروا ذلك أموالا, لأن المقصود من الأشياء منافعها لا ذواتها, وهذا هو الرأي الصحيح الراجح المعمول به في القانون, وفي عرف الناس ومعاملاتهم , ويجري عليها الإحراز والحيازة,

والمقصود بالمنفعة: هو الفائدة الناتجة من الأعيان, كسكنى الدار, وركوب السيارة, ولبس الثوب ونحو ذلك,وأما الحق: فهو ما يقرره الشرع لشخص من اختصاص يؤهله لممارسة سلطة معينة, أو تكليف بشيء , فهو قد يتعلق بالمال كحق الملكية, وحق الارتفاق بالعقار المجاورة من مرور أو شرب أوغير ذلك, وقد يتعلق بالمال كحق الحضانة والولاية على نفس القاصر والمنافع , والحقوق المتعلقة بالمال, والحقوق المحضة كحق المدعي في تحليف خصمه اليمين ليست أموالا عند الأحناف, لعدم إمكان حيازتها بذاتها,وإذا وجدت فلا بقاء ولا استمرار لها, لأنها معنوية, وتنتهى شيئا فشيئا تدريجيا,

وقال جمهور الفقهاء: إنها تعتبر مالا لإمكان حيازتها بحيازة أصلها ومصدرها, ولأنها هي المقصودة من الأعيان , ولولا ذلك ما طلبت, ولا رغب الناس بها ويترب على هذا الخلاف بعض النتائج أو الثمرات في الغصب والميراث والإجارة , فمن غصب شيئا وانتفع به مدة, ثم رده إلى صاحبه , فإنه يضمن قيمة المنفعة عند الجمهور. وعند الأحناف : لا ضمان عليه إلا إذا كان المغصوب شيئا موقوفا, أو مملوكا ليتيم, أو معدا للاستغال كعقار معد للايجار, مثل فندق أو مطعم , لأن هذه الأملاك بحاجة شديدة للحفظ ومنع العدوان عليها, الإجارة تنتهى بموت المستأجر عند الأحناف, لأن المنفعة ليست مالا حتى تورث, وعند الجمهور: لا تنتهى الإجارة بموت المستأجر حتى ينتهى مدتها, والحقوق لا تورث عند الأحناف وتورث عند الجمهور,

أو لا : تعريف المال في مذهب الحنفية:

وردت عدة تعريفات للمال في مذهب الحنفية,ويلاحظ تباعد بينها أحيانا ,وذلك لاختلاف المأخذ والوجهة التى عرف بها المال, ومن ذلك تعريف السرخسي:{ والمال اسم لما هو مخلوق لإقامة مصالحنا به ولكن باعتبار صفة التمول والإحراز}[34] وهناك ذكر تعريفا آخر في معرض كلامه عن اختلاف أبي حنيفة وصاحبيه في تقوم رق أم الولد قال: { ما صح إحرازه على قصد التمول}[35]

[34] المبسوط {79/11}
[35] المبسوط {160/7}

وتعريف في البحر الرائق وفي الحاوي المقدسي: { المال: اسم لغير الآدمي خلق لمصالح الآدمي, وأمكن إحرازه والتصرف فيه على وجه الاختيار}[36]

قال محمد رحمه الله : { المال كل ما يمتلكه الناس من دراهم أو دنانير أو حنطة أو شعير أو حيوان أو ثياب أو غير ذلك}[37] {المال ما يصان ويدخر لوقت الحاجة}وفي موضع آخر قال: { المال ما يجري فيه الرغبة والضنة}[38] ومن الملحوظات حول هذه التعريفات : الأول يتكلم عن المنافع و الثاني عن الكفن يريد نفي المالية عنهما, فجاء تعريف المال في كل موضع بحسب غرضه, وكذلك إذا نظرنا تعريف ابن عابدين الحنفي قال المراد بالمال: ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة}[39] وكذلك جاء عند تعريف ابن عابدين أيضا : { المال: المنتفع به التصرف على وجه الاختيار}[40] وكذلك تعريف للسرخسي: هو كل عين ينتفع به –غير الآدمي الحر- فهو مال}[41]}وعند نظرة الفحص والتأمل نجد أن تعريفات الأحناف للمال ارتكزت على عدة عناصر ,هي.

الأول: إمكان الإحراز والادخار . الثاني: قصد التمول, والمراد بالتمول صيانة الشيئ وادخاره لوقت الحاجة, الثالث: ميل الطبع إليه. الرابع: الانتفاع به,

وعلى هذا فيخرج عن مسمى المالية عدة محترزات هي,

أولا: المنافع حيث لا يمكن ادخارها, لأنها أعراض لا تبقي زمانين فهي في نظرهم ملك وليس بمال.ثانيا: / الدين لعدم إمكان قبضه وإحرازه حقيقة ما دام دينا.

ثالثا: / ما لا يتمول لقلته وحقارته , كحبة قمح وقطرة ماء وغيرها,

رابعا: / الميتة والدم لعدم إباحتها, ولعدم تمولهما, ولعدم ميل الطبع إليهما

---

[36] البحر الرائق {277/5}
[37] العناية {180/2}
[38] التقرير والتحبير لمحمد بن عمر الحنفي{208/3/173/1}
[39] الكشف الكبير البحر الرائق{277/5}
[40] حاشية رد المختار{502/4}
[41] أصول السرسي

خامسا/ ما لا نفع فيه,

المذهب الثاني. مذهب المالكية تعريف المال عندهم.

تعريف الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:{ وأعني بالمال: ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه, ويستوى في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها , وما يؤدي إليها من جميع المتمولات}[42]وتعريف الثاني عند القاضي عبد الوهاب رحمه الله: يقطع في جميع المتمولات التى- تتمول في العادة, ويجوز أخذ الأعراض عليها}[43]

وتعريف الثالث عند ابن العربي رحمه الله تعالى: { كل ما تمتد إليه الأطماع ويصلح عادة وشرعا للانتفاع به}[44] وذكر هذا التعريف و هو يعرف المسروق, وهذا يخرج المحرم قال: فإن منع منه الشرع, لم ينفع تعلق الطماعية فيه, ولا يتصور الانتفاع منه كالخمر والخنزير, وإذا أفحصنا النظر في تعريفات السادة االيكة تبيّن لنا أهم العناصر المذكورة للمال فيها.

الأول: التمول عادة يخرج بذلك ما لايتمول عادة مثل قطرة الماء, وحبة فول السوان,

الثاني: إباحة الانتفاع به, فيخرج به ما لا يباح شرعا كالمحرمات .فلا تكون مالا يعني شرعا,

الثالث: صلاحيته للانتفاع , ما لا يصلح فيه الانتفاع لا يسمى مالا عند علماء المالكية,

---

[42] الموافقات {17/2}
[43] الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب{271/2}وانظر ذلك في المعونة{1421/3}
[44] أحكام القرآن {607/2}

الرابع: إمكان المعاوضة عنه, ما لا يمكن المعاوضة لا يسمى مالا عند المذهب,

وتعريف المال في مذهب السادة الشافعية :

وتعريف المال عند الإمام الشافعي نفسه رحمه الله تعالى: { ولا يقع اسم مال إلا على ماله قيمة يباع بها, وتكون إذا استهلكها مستهلك أدي قيمتها- وإن قلت – وما لا يطرحه الناس من أموالهم, مثل الفلس وما أشبه ذلك الذي يطرحونه}[45]

وفي موضع آخر: ولا يقع اسم مال ولا علق إلا على ما له قيمة يبتاع بها, ويكون إذا استهلكها مستهلك أدي قيمتها- وإن قلت – ما لا يطرحه الناس من أموالهم, مثل الفلس وما يشبه ذلك.
والثاني: كل منفعة ملكت وحل ثمنها مثل كراء الدار وما في معناها مما تحل أجرته}[46] وقال السيوطي رحمه الله تعالى قال الشافعي رحمه الله تعالى:{ لا يقع اسم-مال إلا على ما له قيمة يباع بها وتلزم متلفه, وإن قلت وما لا يطرحه الناس مثل الفلس وما أشبه ذلك}[47] وتعريف الزركشي قال: المال ما كان منتفعا- أي مستعدا –لأن ينتفع به وهو إما أعيان أو منافع }[48]

قال النووي رحمه الله تعالى: { فما لا نفع فيه ليس بمال.... . ولعدم المنفعة سببان:

---

[45] الأم {171/5}
[46] الأم {63/5}-
[47] الأشباه والنظائر{327}
[48] المنثور للزركشي {222/3}

أحدهما : القلة كالحبة والحبتين من الحنطة, والزبيب ونحوهما, فإن ذلك القدر لا يعد مالا, ولا ينظر إلى ظهور النفع إذا ضم إليه غيره, ولا إلى ما يفرض من وضع الحبة في فخ, ولا فرق في ذلك بين زمان الرخص والغلاء ,,, وحكى صاحب التتمة وجهان: أنه يصح بيع مالا منفعة فيه لقلته ,وهوشاذ ضعيف.

السبب الثاني: الخسة كالحشرات والحيوان الطاهر ضربان: ضرب ينتفع به فيجوز بيعه كالنعم والخيل,..الضرب الثاني: ما لا ينتفع به ,فلا بيعه كالخنافس والعقارب والحيّة والفأر والنمل , ونحوها ولا نظر إلى منافعها المعدودة من خواصها}[49]

وعرف المال السمعاني الشافعي المذهب: { المال ما يميل طباع الناس إليه, ولهذا- سمى مالا وطباع الناس يميل إلى هذه الأشياء لمنافع تظهر لها في ثاني الحال, فيكون مالا مثل الأطفال والجحوش للحمر والمهر للأفراس}[50]

وهذه تعريفات الشافعي فيها عدة عناصر هي:

أولا: كونه ذا قيمة تلزم متلفه. يعني إمكان المعاوضة الذي ذكرناه عند الحنفية والمالكية الانتفاع به فيخرج من ذلك, ما لا ينتفع يه لقلته أو لخسته,

ثانيا: / و ما لا قيمته له مما يطرحه الناس كما عبّر به الشافعي رحمه الله تعالى, ومعنى هذا دخول المنفعة, والدين في مسمى المال

تعريف للمال عند السادة الحنابلة رحمهم الله.

تعريف الفتوجي هو: { ما يباح نفعه مطلقا واقتناؤه بلا حاجة}[51] وذكر الحجازي في تعريفه للمال: { وهو ما فيه منفعة مباحة لغير حاجة أو ضروري}[52] وتعريف ابن بلبان رحمه الله : { وهو ما فيه

[49] روضة الطالبين{350/3}
[50]

[51] منتهى الإرادات للفتوحي تحقيق عبد الغني عبد الخالق{ 1/ 256}
[52] الإقناع الحجاري{156/2}

منفعة مباحة }[53] وتعريف المال عند الإمام ابن قدامة رحمه الله: { هو ما فيه منفعة مباحة لغير ضروري }[54] وقد عليه التنوخي بقوله : { و لو قال المصنف رحمه الله لغير حاجة لكان جيدا, لأن اقتناء الكلب يحتاج إليه, ولا يضطر إليه} وجاء في الإنصاف : { علل المصنف الذي ليس بمال, كقشر الجوز والميتة والخمر- بإنه لا يثبت في الذمة }[55]

ونخلص في تعريفات الحنابلة للمال عناصر التالي:-

أولا: إمكان الانتفاع به , ما لا يمكن الانتفاع به لا يعد مالا.

ثانيا: / حل الانتفاع به مطلقا, أي من غير حاجة ولا ضرورة كالميتة والدم,

ولعل هذا ما ذكره ابن عابدين الحنفي لما قال:على وجه الاختيار.

ثالثا: / إمكانية ثبوته في الذمة, ولعل هذا هو ماعبرنا عنه عند الآخرين بإمكان المعاوضة , وبالتمول, فيخرج ما لا يمكن فيه ذلك لقلته كحبة قمح وغيرها, وعلى ذلك فيخرج من هذا التعريف عدة أشياء فلا تعد ما لاهي:

ما لا نفع فيه أصلا كالحشرات, لكن ينبغي أن يلاحظ أن الحال , قد اختلف في العصر الحاضر, إذ صار كثير من هذه الحشرات يتم الانتفاع بها داخل المختبرات العلمية, حيث تكون مجالا للتجربة العلمية, ومن خلالها يتم التوصل إلى القوانين والنظريات العلمية, التي تساعد في إيجاد الحلول لكثير من الاستفسارات والأسئلة العلمية التى تهم الإنسان إلخ,

[53] أخصر المختصرات لابن بلبان الدمشقي تحقيق محمد العجمي{ص 163}
[54] المقنع {5/2} مع حاشية الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى
[55] الإنصاف {12/ 207}

وأما أن تكون هذه الحشرات مصدرا للمضادات الحيوية والعلاجات التى تعين على القضاء على بعض الأمراض التى تصيب الإنسان , فالسم الذي يتكون في جسم الأفعى يشكل مضادا حيويّا فعّالا, ويوصف علاجا للقضاء على بعض أنواع الخلايا السرطانية التى تصيب الإنسان , فإذا ثبت مثل هذه الحشرات والحيوان , تشتمل على ما فيه مصلحة الإنسان بالتداوي, ودفع أذي المرض , وهي من المأذون شرعا بها, فهي لا شك تكون مالا, إذا حيزت لأجل منفعتها, بل ربما صارت بعض أنواع الحشرات الآن مقصودة بنفسها, تباع وتشترى للقنية, وتكون ذات قيمة , فهذه الأسباب وغيرها تجعل هذه الحشرات ما لا حتى عند الحنفية والعلم عند الله.

ثانيا:/ ما فيه منفعة محرمة كالخمر والخنزير, وثالثا: / ما فيه منفعة للحاجة كالكلب,

رابعا: ما فيه منفعة تباح للضرورة كالميتة في حال المخمصة وكالخمر لدفع غصة بها,

خامسا: / ما لا يمكن تموله لقلته كحبة بر ونحوها. سادسا: ما لا يباح اقتناؤه إلا للحاجة كالكلب,

تعريفات المتأخرين:

رجح بعض المتأخرين تعريف المال بأنه: { كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد, وعليه تحقق مالية الشيء إذا توفر فيه أمران : إمكان حيازته, وإمكان الانتفاع به وبترتب على ذلك ما يلى,

1-أن يمكن حيازته والإنتفاع به فعلا يعد مالا كالدور والأراضي والسيارات والنقود والثياب والحيوان وغيرها,

2-ما لا نحوزه فعلا ولكن نتمكن من حيازته يعد مالا أيضا كالسمك في الماء والطير في الهواء والحيوانات في الفلاة والمعدن في جوف الأرض وغير ذلك.

2- أن مالا نتمكن من حيازته لا يعتبر ما لا وإن كنا ننتفع به فعلا. مثل ضو ء الشمس ونور القمر,

3- أن ما لا نتمكن الانتفاع به على وجه معتاد لا يسمى مالا وإن حيزت بالفعل كقطرة ماء أو حبة رز, فإن الانتفاع المعتاد هو ما جرت به عادة الناس, ويلائم طبيعة الشيئ, ويحقق المنفعة التي خلق من أجلها , فالرز مثلا منفعته أن يكون غذاء والحبة منه لا تحقق هذا الغرض , فلا تكون مالا.

4-أن ما منع الشارع الانتفاع به منعا عاما يسري في حق الناس جميعا لا يعتبر مالا, وإن حازه الإنسان وانتفع به فعلا كالميتة, وإنما كان الحكم كذلك, لأن كون الشيء ينتفع به, أو لا ينتفع به حكم شرعي, فإذا أباح الشارع الانتفاع ثبتت ماليته, وصار مالا في نظر الشارع, وما لا فلا, وأما ما يجوز الانتفاع به في حق البعض دون البعض الآخر هو مال كالخمر والخنزير فهي مباحة للذميين}[56]

وعرفه بعض المعاصرين أيضا مع يتفق ما مذهب الجمهور بأنه : هو ماكان له قيمة مادية بين الناس وجاز شرعا الانتفاع به في حالة السعة والاختيار}[57]

وجاء في معجم لغة الفقهاء تعريف المال بأنه: { كل ما يمكن الانتفاع به مما أباح الشرع الانتفاع به في غير حالات الضرورة كل ما يقوم بمال}[58] وهذا بعض تعريفات العلماء للمال مع بعض المناقشة حول هذه التعريفات. وخلاصة اختلافهم يرجع إلى الماهية, والمنفعة وإمكان الحيازة والادخار, والله أعلم وأسأله التوفيق للصواب والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه,

[56] المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لشيخنا رحمه الله عبد الكريم زيدان{ 183-184}
[57] الدبو{228-229}
[58] معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ص{ 366-367}

المبحث الخامس

أسباب الجالية للرزق

تعريف السبب في للغة:

يطلق السبب في اللغة على عدة معاني: فيأتي بمعنى الحبل[59] ومنه قوله تعالى:{ فليمدد بسبب إلى السماء} الحج 15} ويأتي السبب معنى الطريق.[60] ومنه قوله تعالى:{ فأتبع سببا} الكهف {85} ويأتي معنى الباب والناحية والمراقي[61] ومنه قوله تعالى:{ أسباب السماوات} غافر {37} ومنه قول الأعشى:

لئن كنت في حبّ ثمانين قامة　　　ورقيت أسباب السماء بسلم.

وقول زهير:

ومن هاب أسباب المنيّة يلقها　　　ولو رام أسباب السماء بسلم[62]

ويأتي السبب بعنى اعتلاق قرابة[63] ومنه في الحديث :{ كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي}[64] ويسمّى الوصل والمودات بين القوم سببا, لأنهم بها يتواصلون في الدنيا ,ومنه قوله

---

[59] ينظر الجوهري إسماعيل بن حماد {1990} تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار} {245/1}دلرالعلم بيروت,وابن فارس أحمد ابن فارس معجم مقايس اللغة{551/1} دار الكتب العلمية بيروت, والأصفهاني الحسين بن محمد المفراد في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني{ص220} دار المعفرفة بيروت,وابن منظورمحمد بن مكرم لسان العرب {458/1}دار صادر بيروت.والفيروز آبادي محمد بن يغقوب, القاموس المحيط{123/2} دار الكتب العلمية بيروت.

[60] يظر إلى مصادر السابق

[61] ينظر مصادر السابق

[62] جمهرة أشعار العرب محمد بن أبي الخطاب القرشي{51}

[63] يظهر المصادر المذكور أعلاه

[64] أخرج الحديث الطبراني في المعجم الكبير {243/11/2}رقم الحديث{11621} وقال الهيثمي راوه الطبراني عن ابن عباس ورجاله ثقات,مجمع الزوائد ومنبع الفوائد{276/9}

تعالى: { وتقطعت بهم الأسباب}البقرة 166} قال مجاهد وقتادة والربيع : إنها المواصلات التى كانوا يتواصلون عليها,وقال ابن عباس وابن جريج : {الأرحام التى كانوا يتعاطفون بها .[65] }

وخلاصة ما تقدم من معانى مشترك في كل ما يتوصل به إلى شيء, وما يتوصل به إلى موضع أو حاجة تريدها من أجل الوصول إلى المقصود.[66]}

تعريف السبب اصطلاحا:

من خلال قراءتي وبحثي في كتب الأصول عند بعض المذاهب , الذين استخدموا السبب كيثرا في قياساتهم, وجدت اختلافا في تعبيرهم عن السبب من حيث تأثيره في الحكم من عدمه, وخلاصة ذلك ثلاثة:

التعريف الأول: { ما يكون طريقا للوصول إلى الحكم المطلوب, بلا وضع ,ولا تأثير فيه} قال الرازي : { السبب في أصل اللغة عبارة عن الحبل, ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى المقصود, وهو يتناول العلم والقدرة والآلة}قال الجرجاني رحمه الله:{ السبب: اسم لما يتوصل به إلى المقصود}قال الكفوري: { وقيل هو: ما يكون طريقا مفضيا وهذا المعنى يشمل العلة والسبب}[67]

التعريف الثاني: { ما يكون طريقا إلى الحكم, من غير أن يضاف إليه وجوب, ولا وجود ولا يعقل فيه معان العلل}[68]}

والتعريف الثالث: ما ذكره العلاء البخاري وأدخل فيه معنى العلة دون أن ينسبه إلى أحد معين حيث قال: { ولهذا قال بعضهم: عبارة عمّا هو أخص من المفهوم اللغوي وهو: كل وصف ظاهر

---

[65] مفاتيح الغيب{180/2}

[66] مفاتيح الغيب{ 181/2} مباحث العلة في القياس { 131

[67] مفاتيح الغيب {495/7} والتعريفات للجرجاني{ 120} دار الكتب العلمية بيروت وأقسام السبب{423-424}

[68] التعليق الحامي على مختصر الحسامي{124-125}

منضبط دلّ الدليل السمعي على كونه معرفا لحكم شرعي} وعقب عليه بقوله: { فعلى هذا التفسير يكون السبب اسما عاما متناولا لكل ما يدل على الحكم ويوصل إليه من العلل وغيرها}[69]

ونختار التعريف الرازي لأنه يناسب المقام و موضوع البحث, وهو أن المقصود في باب طلب الرزق , وأخذ بأسباب التى أباحها الله سبحانه وتعالى لعباده في طلب المرغوب ودفع المكروه, وأن الإعراض عن تلك الأسباب قدح في شرع الله تعالى, ومخالفة في نهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام, و كذلك مخالفة صحيح المنقول وصريح المعقول, ومن محا الأسباب أن تكون الأسباب ففي عقله نقص, وهو بعيد من أصحاب العقول الصحيحة المتوكلين على الله تعالى, الآخذين الأسباب المأمور بها, مع نفي الإعتماد عليها ورجاء بها والإستناد إليها, لأنها لا تستحق ذلك, بل ذلك حق الله تعالى وحده لا شريك له, وخالق كل شيئ ورازقه, ويجب أن يكون الإعتماد القلب عليه والتوكل عليه, والله سبحانه وتعالى يحب المتوكلين,

[69] مباحث العلة في القياس عند الأصولين{132-134}

الأسباب الجالية الرزق:
البسب الأول : الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى.
السبب الثاني : التوكل على الله تعالى,
السبب الثالث: شكرالله عز وجل.
السبب الرابع الاستغفار والرجوع والتوبة.
السبب الخامس: صلة الأرحام.
السبب السابع : النكاح
السبب الثامن: الإنزال الفاقة على الله تعالى,

السبب التاسع: الإحسان إلى الضعفاء
السبب العاشر: الهجرة في سبيل الله سبحانه وتعالى

السبب الأول: الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى

الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتقوى يعتبران من أسباب الجالبة الزرق والحياة الطيب للمؤمن في حياة الدنيا والآخرة, ولهذا يجب على المسلم في كل زمان ومكان أن يحقق الإيمان بربه سبحانه وتعالى,وعليه أن يتقى الله تعالى بفعل الواجبات وترك المنكرات, فإن ما عند الله تعالى لا ينال بمعصية, قال الله سبحانه وتعالى: {{ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} الأعراف {96} في هذه الأية الكريمة بيّن الله سبحانه وتعالى فيها لو أن أهل قرية أمنوا بالله سبحانه وتعالى, إيمانا حقيقيّا الشامل بجميع جزئيات الإيمان وتفاصليه, ولا يكونوا في إيمانهم دخيل, واتقووا الله سبحانه وتعالى حق تقاته, بامتثال أوامر الله تعالى واتباع سنة النبي ﷺ, وترك كل ما نهى عنه الله وسوله وتجنبوا من كل ذلك لرزقهم الله تعالى,ولأنزل على أهل تلك القرى الذين آمنوا به ورسوله واتقووه تعالى بركات السماء {المطر }إلى عباده المخلصين ,ولأخرج بركات الأرض من كل أصناف الحبوب, وجعل أهلها مباركين أيضا, ولكن لما تركوا ما أمروا به من طاعة لله وحده لا شريك له, وفعلوا ما نهوا عنه من معصية الله ورسوله والشرك بالله في الأرض, فأخذهم الله ببعض ذنوبهم, فأمسك السماء أن تمطر , وأمسكت الأرض أن تنبت, وقلت البركة في الأرض, وقلت البركة في أعمار الناس , وفي

أعمالهم, لقد بين علماء هذه الأمة رحمهم الله تعالى مفهوم التقوى ذكر الراغب رحمه الله تعالى أنه حفظ النفس عما يؤثم, وذلك بترك المحظور. و يتم ذلك بتر ك بعض المباحات}[70] } وعرّفه الإمام النووى رحمه الله تعالى بقوله: { امتثال أمره ونهيه, ومعناه : الوقاية من سخطه وعذابه سبحانه وتعالى}[71] } وقد عرفه أيضا الجرجاني رحمه الله تعالى: { الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته , وصيانة النفس عما تستحقّ به العقوبة}[72] } { فمن لم يحفظ نفسه عما يؤثم فليس بمتق, فمن شاهد بعينيه ما حرّمه الله تعالى, أو سمع بأذنيه ما يبغضه الله تعالى, أو بطش بيديه ما لا يرضاه الله تعالى, أو مشى إلى ما يمقته الله تعالى, فإنه لم يعصم نفسه عن الإثم. ومن خالف أمره سبحانه وتعالى وارتكب ما نهى عنه فليس من المتقين, ومن عرض بالمعصية نفسه لسخط الله تعالى وعقوبته فقد أخرج نفسه عن وصف المتقين.[73] } وكم من طالب الرزق اليوم يصبح في سخط الله تعالى, ويسمي في غضب الله تعالى, ومن كم طالب رزق يبطش بيديه إلى ما لا يرضيه الله تعالى, ويأخذ في الحرام ويعطى في الحرام, يبيع في الحرام ويشتري في الحرام , وإذا كان حال الذين يتباعون اليوم ولا يعرفون أحكام البيع, فهل يستطيع أحد منهم أن يتجنب عن محارم الله تعالى, ويتقى الله في ذلك, وجاء في تفسير اللباب لهذه الأية قوله: { وأصل البركة المواظبة على الشيئ, أي تابعنا عليهم المطر , والمراد ب-{ بركات السماء }} المطر, وبركات الأرض. النبات والثمار وكثرة المواشي والأمن والسلامة , وذلك لأن السماء تجرى مجري الأب , والأرض تجرى مجرى الأم, ومنهما يحصل المنافع , والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره. ثم قال: { ولكن كذبوا فأخذناهم} بالجدب و القحط { بما كانوا يكسبون} من الكفر والمعصية,}[74] }

قال عبد الله ابن عباس في تفسير الأية : { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا} وحدوا الله واتقوا الشرك, { لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} قال : يريد الأمطار والخصب , وكثرة المواشي

---

[70] المفراد في غريب القرآن مادة{{ وقى }} ص {531}
[71] تحرير ألفاظ التنبيه{322}
[72] التعريفات للجرجاني{ 68}
[73] مفاتيح الرزق{24}
[74] تفسير اللباب {235/9}

والأنعام}[75] } وقال شيخ المفسرين رحمه الله تعالى: { يقول تعالى ذكره: { ولو أن أهل القرى} الذين أرسالناإليهم رسلنا الذين ذكرت لك يا محمد نبأهم في هذه السورة وغيرها,{آمنوا} يقول: صدقوا الله ورسله,{واتقوا } يقول: واتقوا الله فخافوا عذابه بتجنّبهم ما يكرهه من أعمالهم,والإنابة إلى ما يحبّه منه من العمل بطاعته{ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} يقول: لأرسلنا عليهم من السماء الأمطار,وأنبتنا لهم من الأرض بها النبات, ورفعنا عنهم القحوط والجدوب, وذلك من بركات السماء والأرض.وأصل البركة المواظبة على الشي, يقال: قد بارك فلان على فلان.إذا واظب عليه,والمباركة نحو المواظبة , فكأنّ قوله: { بركات من السماء والأرض} ما يتتابع عليهم من خير السماء والأرض,{ ولكن كذبوا} يقول: ولكن كذبوا بالله ورسوله { فأخذناهم بما كانوا يكسبون} يقول:فعجلنا لهم العقوبات بكسبهم الخبيث وعملهم الرديء ,وذلك كفرهم بالله وآياته.[76] }

وذكر ابن عطية رحمه الله تفسيره للآية بقوله: { المعنى في هذه الآية أنهم لو كانوا ممن سبق في علم الله أن يكتسبوا الإيمان والطاعات , ويتصفوا بالتقى لتبع ذلك من فضل الله ورحمته وإنعامه ما ذكر من بركات المطر والنبات, ولكنهم لما كانوا ممن سبق كفرهم وتكذيبهم تبع ذلك أخذ الله لهم بسوء ما اجترموه. وكل مقدور, والثواب والقعاب متعلق بكسب البشر, وبسببه أسندت الأفعال إليهم .[77] }

قال أصحاب المعاني : - والآية بيان أن الإيمان بالله والاتقاء يوجب إسباغ الإنعام , والتكذيب يوجب الإهلاك والعذاب}[78] } قلت كثير من الناس سلبوا النعمة عنهم بسبب كفرهم بالله تعالى, وعدم القيام بما أوجب الله تعالى فيها من طاعات وبر وصلة الأرحام, وكثير من الناس دام لديهم النعمة وثبتت لقيامهم بما أوجبهم فيها من طاعات وبر وصلة الأرحام وإنفاق في سيبله تعالى, وإطعام المساكين وغيرذلك,

[75] تفيسر والوسيط {389/2}
[76] تفسير الطبري {333/10}
[77] المحرر الوجيز في تفسير ابن عطية{7/9}
[78] تفسير البسيط{149/9}

{ والأولى حمل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات, وجميع ما فيهما وكل ذلك من فضل الله واحسانه, وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ويسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه, وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض, لأنه نشأ من بركات السماء, وهي المطر, قال البغوي: أصل البركة المواظبة على الشيئ أي رفعنا عنهم القحط والجدب وتابعنا عليهم المطر والنبات}[79] { رتب تعالى على الإيمان والتقوى فتح والبركات}[80] قال شيخ السعدي رحمه الله تعالى: - ذكر أن أهل القرى, لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال, واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرا وباطنا, بترك جميع ما حرّم الله, لفتح عليهم بركات السماء والأرض, فأرسل السماء عليهم مدرارا, وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون, وتعيش بهائمهم, في أخصب عيش وأغزر رزق, من غير عناء ولا تعب , ولا كد ولا نصب ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا{ فأخذناهم بما كانوا يكسبون} بالعقوبات والبلايا ونزع البركات, وكثرة الآفات, وهي بعض جزاء أعمالهم , وإلا فلو أخذهم بجميع ما كسبوا , ما ترك عليها من دابة.}[81]} وبين الله سبحانه وتعالى أن المؤمن إذا عمل عملا صالحا مع إيمانه بالله تعالى, وطاعته لرسوله ﷺ وإخلاصه به, جعل الله له في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة , وله عند الله يوم القيامة أجر عظيم بلا نقصان, قال الله تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أثنى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} النحل {97} قال إمام حافظ بن كثير رحمه الله تعالى: { هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا – وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم , من ذكر أو أنثى من بني آدم , وقلبه مؤمن بالله ورسوله, وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله – بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا, وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة في الدنيا, وأن أيّ جهة كانت , وقد روي عن جماعة من العلماء أنهم فسروها: بالرزق الحلال الطيب, وفسرت أيضا: بالقناعة, وفسرت أيضا: أنها هي السعادة, وقيل

---

[79] فتح البيان لقاصد القرأن {416/4}
[80] تفسير أبي حيان{350/4}
[81] تفسير السعدي{298/9}

أيضا: هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا . وقيل : هي العمل بالطاعة والانشراح بها , والصحيح :أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله , كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح من أسلم, ورزق كفافا, وقنعه الله بما آتاه }[82] وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: { إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة, وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا,و إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا}[83] و بين الله سبحانه وتعالى أن من يؤمن بالله ويتقه يأتيه الرزق من حيث لا يدري , قال الله تعالى: { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۝ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيئ قدرا} الطلاق 3}

{ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم}[84] هذه الآية فيها ذكر سبب من أسباب حصول الرزق وتفريج الكربات هو التقوى الله تعالى والإعتماد عليه وأن يعتقد أن الله تعالى كاف عبده المؤمن, ويجب على المسلم أن يعتمد على الله تعالى ويعبده حق عبادته حتى ينال بما عند الله تعالى, والله سبحانه وتعالى الكل ملكه وتحت تصرفاته, وتدبيره, وهو المالك الزراق والمعطي والمانع, ولهذ لما امتن الله تعالى عباده في خلق الأرض وما فيها أنه تعالى هو الذي جعل الأرض للخلق وما فيها قال تعالى: { والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيئ موزون ۝ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ۝ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزل إلا بقدر معلوم ۝ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين} الحجر {19-22} ولهذا بين الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب لو آمنوا بالله تعالى وأقاموا التوراة والقرآن ,وعملوا بما فيهما من أحكام الله تعالى , ولو أنهم تخلوا عما نهاهم الله تعالى عنه, وتركوا أكل السحت والربا وأكل أموال الناس بالباطل. لو جدوا الزرق في كل جهات من فوقهم حتي من تحت أقدامهم , قال الله تعالى: { ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لآكلوا من

[82] مسلم {1054}
[83] مسلم {2808} تفسير ابن كثير{602/2}
[84]

فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعلمون} المائدة 66} قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : { لأكثر تعالى بذلك الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض[85] }

قال الشيخ يحي بن عمر : { يريد تعالى- والله أعلم – لو أنهم عملوا بما أنزل في التوراة والإنجيل وهذا القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم , يعني والله أعلم – لأ سبغ عليهم الدنيا إسباغا}[86] } ونظير ذلك قوله تعالى: {وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا} الجن {16} وهذه الأدلة القرآنية تدل دلالة واضحة على أن من أسباب الرزق الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام, وتقوى الله تعالى ونفي الشرك بالله تعالى, وتجنب كلما يسخط المولى عزوجلّ من المعاصي والمحرمات, والشرك والفواحش ما ظهر منها وما بطن, والبغي, والقول على الله بغير الحق,فالإيمان والتقوى جمعا خيري الدنيا والآخرة ,وجمعا للعبد السعادة في الدنيا والآخرة, وجمعا للعبد تحقيق مصالح الدنيوي والأخروي, فما ذا بعد الحق إلا الضلال.

[85] تفسير بن كثير { 86/2}

[86] االنظر والأحكام في جميع أحوال السوق{41}

السبب الثاني: التوكل على الله تعالى

وتوكل على الله سبحانه وتعالى من أهم ركائز الإيمان , وهو الإعتماد على الله تعالى في كل شيء ,ولهذا جاءت بعض نصوص القرآنية الكريمات, فجعلت شرط الإيمان الصحيح التوكل على الله تعالى, وهذ يشمل كل شيئ من طلب ما عند الله, وغيرذلك , والله تعالى كاف عبده المتوكل عليه ووعد الله تعالى للعباد لو توكلوا على الله حق توكله لرزقهم كما يرزق الطير, روي الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن المبارك وغيرهم من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { لو أنكم تتوكّلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا}[87] وفي الحديث الشر يف أن المتوكل على الله تعالى حقيقة مرزوق كما ترزق الطير, وكيف لا يكون كذلك قد توكل على الحي الذي يموت , ومن توكل على الله فهو حسبه قال الله سبحانه وتعالى: { ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيئ قدرا}الطلاق الآية 3}

مفهوم التوكل:

التوكل عند أهل اللغة: التوكل من مادة {وكل} يقال: وكل بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له و{ وكل إليه الأمر وكلا ووكولا: سلمه وتركه. ورجل وكلة بضم إذا كان يكل أمره إلى الناس. ورجل ووكلة وتكلة أي : عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه. والوكيل الذي يقوم بأمر موكله.وفسر بعضهم الوكيل بالكفيل كالراغب الأصفهاني. والتوكل إظهار العجز والإعتماد على غيرك, والاسم التكلان , قال أبو السعادات : يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به,ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمد عليه, ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته, أو عجزا عن القيام بأمر نفسه}[88]

---

[87] أخرج الحديث أحمد {243/1} والترمذي باب ماجاء في الزهادة في الدنيا رقم {2447} وغيرهما,

[88] ومقايس اللغة لابن فارس{136/6} مادة وكل} والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير{221/5} المفراد القرآن لراغب الأصفهاني {689/2} كتاب لسان العرب {273/15} االواو والمعجم الوسيط {1054/2}

تعريف التوكل في الاصطلاح:

اختلف عبارات السلف في تعريف التوكل على الله وفي تفسيره , قال عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :- التوكل هو الثقة بالله, وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك}[89]

قال حافظ بن رجب رحمه الله تعالى: { وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها,وكلة الأمور كلها إليه , وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه}[90]

وفي تعريف حافظ بن رجب رحمه الله أن حقيقة التوكل اعتماد القلب على ربه وخالقه, في تحصيل وتحقيق المصالح , ودفع المضار سواء ما يتعلق بأمور الدنيا أو ما يتعلق بأمور الآخرة , وهذا يدل على أن المتوكل على الله تعالى لا يجلس عن طلب ما رزقه الله تعالى, بل يتوكل على ربه ويعمل بطاعته, ويطلب ما رزقه الله تعالى, ويحقق إيمانه بربه بأنه هو المعطى والمانع والنافع والضار, ولا ينفع أحد سواه ولا يضر أحد سواه,والله على كل شيئ قدير , وبيده كل شيئ, وخالق كل شيئ,وإليه يرجع كل شيئ,

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى: { اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف في حقيقة التوكل , فحكى الإمام أبو جعفر الطبري وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا: لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى من سبع أو عدو, وحتى يترك السعي في طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى له رزقه , واحتجوا بما جاء في ذلك من الآثار,

وقالت طائفة: حده الثقة بالله تعالى والإيقان بأن قضاءه نافذ, واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي في ما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء – صلوات الله تعالى عليهم

89

90 جامع العلوم {409}

أجمعين- قال القاضي عياض: وهذا المذهب هو اختيار الطبري وعامة الفقهاء , والأول مذهب بعض المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات, وذهب المحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور, ولكن لا يصح عند هم اسم التوكل مع الالتفات والطمأنية إلى الأسباب , بل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا والكل من الله تعالى وحده. هذا كلام القاضي عياض. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري- رحمه الله تعالى- اعلم أن التوكل محله القلب, وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى, فإن تعسر شيئ فبتقديره وإن تيسر فبتيسيره}[91] ولا شك أن مذهب الأول ضعيف والصحيح مذهب الثاني كما سيأتي.

قال الحافظ بن حجر { والمراد بالتوكل : اعتماد ما دلت عليه هذه الآية: { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} هود 6} وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين, ولأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل}[92] { التوكل مقام جليل القدر عظيم الأثر, أمر الله عباده به وحثهم عليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فقال : { وعلى الله فليوكل المؤمنين} إبراهيم 11} قال ابن القيم : { فالتوكل مركب السائر الذي لا يتأتّي له السير إلا به , ومتى نزل عنه انقطع لوقته , وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته, قال الله تعالى: { وعلى الله فتوكلوا إن كنت مؤمنين} المائدة 23} فجعل التوكل شرطا في الإيمان , فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل, وفي الآية الأخرى: { وقال موسي ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين}يونس 84} فجعل دليل صحة الإسلام التوكل, وقال تعالى: { وعلى الله فليتوكل المؤمنون} إبراهيم 11} فذكر اسم الإيمان ههنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل, وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه , وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى ,وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل , وإذا كان التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد}[93] قال شيخ الإسلام

---

[91] شرح صحيح مسلم للنووى{91/3}
[92] فتح الباري{ 11/ 305}-
[93] طريق الهجرتين{ 326-327}

رحمه الله تعالى: - في جوب اختصاص الخالق بالعبادة والتوكل عليه, فلا يعمل إلا له ولا يرجى إلا هو , هو- سبحانه – الذي ابتدأك بخلقك والإنعام عليك, بنفس قدرته عليك ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلا, وما فعل بك لا يقدر عليه غيره. ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضرر, فهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره, وهو الذي يدفع الضرر لا يدفعه غيره }[94]

ثم قسم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى التوكل إلى قسمين , ثم إلى أصلين ,

أصل الأول: علم القلب , وأصل الثاني: عمله قال : التوكل يجمع أصلين : علم القلب وعمله, أما علمه : فبيقينه بكفاية وكليه , وكمال قيامه بما وكله إليه , وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله : فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه , وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. فهذين الأصلين يتحقق التوكل وهما جماعه , وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من علمه كما قال الإمام أحمد: { التوكل عمل} ولكن لا بد فيه من العلم وهو إما شرط فيه, وإما جزء من ماهيته}[95]

أقسام التوكل

ثم قال رحمه الله تعالى: - التوكل على نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الزرق والعافية وغيرهما.

---

[94] مجموع الفتاوى {194/1}
[95] طريق الهجرتين{329}

وثانيهما: توكل عليه في تحصيل مرضاته. فأما النوع الأول: فغايته: المطلوبة وإن لم تكن عبادة لأنها محض حظ العبد, فالتوكل على الله في حصول: عبادة فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه, وأما النوع الثاني: فغايته عبادة, وهو في نفسه عبادة, فلا علة فيه بوجه, فإنه استعان بالله على ما يرضيه , فحاصله متحقق ب{ إياك نعبد وإياك نستعين}[96] وكذلك قسم التوكل على غير الله شيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله حيث قال: { التوكل على غير الله قسمان:أحدهما: التوكل في الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله , كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك أكبر, فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية , كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك فهذا نوع شرك خفي.

والوكالة الجائزة : هي توكيل الإنسان في فعل مقدور عليه, ولكن ليس له أن يتوكل عليه ,وإن وكّله, بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه كما قرره شيخ الإسلام,[97] ولاحظنا أن شيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى قسم التوكل عموما على أنواع الأربعة.

{ الأول: التوكل على الله تعالى , وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه, وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليل.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة, أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر , لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفا سريا في الكون , ولا فرق بين أن يكون نبيّا, أو وليّا , أو طاغوتا عدو الله تعالى.

96 المرجع السابق{336}
97 تيسير العزيز الحميد{497-498}

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه, مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه . أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به, إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة, فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.}[98] وذكر شيخ الفوزان حفظه الله تعالى: فقه الباب وما يستفاد من النصوص, وذلك في مسائل,

المسألة الأولى: أن التوكل على الله عبادة يجب إخلاصها لله سبحانه وتعالى, وأن التوكل من أعظم أنواع العبادة.

المسألة الثانية: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر, كالذين يتوكلون على الأصنام , أو على أصحاب القبور , أو على الأولياء والصالحين في جلب الأرزاق , ودفع المضار وشفاء المرضى وغير ذلك,

المسألة الثالثة: يؤخذ من هذه النصوص: أن التوكل على الله شرط صحة الإيمان لقوله تعالى: { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}[99] وغيرها من الآيات الدالة عليه.

التوكل لاينافي بأخذ الاسباب:

لقد فصل علماء العقيدة الإسلامية المحققون, أن الأخذ بالأسباب لا تنافي التوكل, لأن التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى في طلب مرغوب,أو دفع مكروه ,لكن لا بد في هذه الأسباب أن تكون

[98] شرح ثلاثة الأصول {58-59}
[99] إعالة المستفيد بشرح كتاب التوحيد{2/64-65}

مشروعة, لا ينافي كمال التوحيد,واستعمال الأسباب المشروعة من جهة الشرع منصوص بذلك,مثلا الإيمان سبب لإنزال الله تعالى علي عباده المؤمنين بركات السماء والأرض, وكذلك التوكل على الله تعالى حق التوكل, سبب جالب للرزق, والإستعانة بالله تعالى سبب لإعانة الله عبده, والتوبة والاستغفار والإنابة, والرجوع إلى الله تعالى سبب لإمداد الأموال والبنين والثمرات, وكذلك الشكر , وتقرب إلى الله تعالى بالعبادة والطاعةوإتباع سنة النبي ﷺ سبب لنيل محبة الله تعالى ومغفرته, وهكذا, ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام بأخذ بالأسباب, وإن كانت ليس لها تلك القوة لتهزّ تلك الشجرة , دلالة واضحة على مشروعية أخذ بالأسباب مع اعتماد القلب على المسبب الأسباب, قال الله تعالى: { وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيّا} مريم 23} وكذلك ما أخرجه إمام الترمذي رحمه الله تعالى ,من حديث أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله : أعقلها أوأوتوكل؟ قال اعقلها وتوكل }[100]قال بن العربي رحمه الله تعالى المالكي: { أمرت بتكلف الكسب في الرزق. وقد كانت قبل ذلك يأتيها رزقها من غير تكسب, كما قال تعالى: { كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب} آل عمران 37} قال علماؤنا : كان قلبها فارغا لله, ففرغ الله جارحتها عن النصب, فلما ولدت عيسى , وتعلق قلبها بحبه, وكلها الله إلى كسبها , وردّها إلى العادة في التعلق بالأسباب, وفي معناه أنشدوا:

ألم تر أن الله قال لمريم		إليك فهزّي الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أحنى الجذع من غير هزّها		إليها, ولكن كل شيئ له سبب

وقد كان حبّ الله أولى برزقها		كما كان حبّ الخلق أدعى إلى النصب}[101]

---

[100] أخرجه الترمذي برقم {4415} وقال وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روي عن عمروبن أمية الضمري عن النبي ﷺ. وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر{23/1}

[101] أحكام القرآن لابن العربي{249/3}

قلت : هكذا يكون التوكل على الله تعالى لابد أن يكون قلب العبد فارغا عن كل سبب, معتمدا بقلبه على الله تعالى, والإعتماد القلب على الله تعالى هو نور التوحيد, يقذفه الله تعالى على قلب من اختاره من عباده, ويجعله من أولياؤه الذين وصفهم النبي ﷺ بالمقام العلى,حيث يحسدهم على ذلك يوم القيامة غيرهم, لأنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب,فالأسباب المشروعة تكون في يد عبد المتوكل كالآلة في اليد, وفي هذه الأية دليل أيضا ما ذهب إليه بعض العلماء أن الرزق وإن كان محتوما ومقسوما بين الخلق, فإن الله تعالى جعل السعي إليه كل مخلوق, لأنه تعالى أمر مريم بهزّ الجذع لترى آية , وهو فهم الصحيح من الأية,لأن الله تعالى أمر العباد أمر ارشاد وتوجيه عقب العبادات إلى السعي, في طلب الرزق, وكان من سنة النبي ﷺ, إذا كان خارجا من المسجد يسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب فضله, قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره لآية: { الأمر بتكلف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده, وأن ذلك لا يقدح في التوكل, خلافا لما تقوله جهال المتزهد}[102] قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: { ومما ينبغى أن يعلم : ما قاله طائفة من العلماء قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد , ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل, والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع , وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع, ثم قال وبيان ذلك : أن الالتفات إلى السب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه, وليس في المخلوقات ما يستحق هذا, لأنه ليس مستقلا, ولا بد له من شركاء وأضداد,ومع هذا كله,فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر, وهذا مما يبيّن أن الله رب كل شيئ ومليكه, وأن السماوات والأرض وما بينهما والأفلاك وما حوته,ليس لها خالق مدبر غيرها, [103]} قلت في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الإعتماد القلب على الأسباب نقص في التوحيد, يعنى هو شرك بالله تعالى , لأن قلبه اعتماد على من لا يستحق الإعتماد عليه ورجاؤه والإستناد إليه, وكذا ترك الأسباب المشروعة يعتبر نقص في العقل, وقلة الذكاء, وكذالك قدح في شرع الله المنزل على الأنبياء والرسل,ومخالفة سننهم, ومن تبعهم إلى يوم

[102] تفسير القرطبي {95/11}
[103] مجموع الفتاوي{4/ 564}

الدين. وقد يظن بعض الناس أن التوكل ينافي اكتساب الرزق ,والأخذ بالأسباب , وهذا غير صحيح لأن في الإكتساب ماهو واجب ومستحب ومنه مباح,قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى: { وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي, وأنه لا ينافي التوكل , كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها, بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا, وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة, ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل فإن تركها عجز, ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه, ولا بد مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب, وإلا كان معطلا للحكمة والشرع, فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا}[104]

ومن فوائد في كل ما مضى من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء:

1-مشروعية الأخذ بالأسباب, مع الاعتماد على الله تعالى, وأن الجمع بينهما هو تمام التوكل,

2- حقيقة التوكل: التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه تعالى وحده, وهو واجب, بل أصل من أصول الإيمان, لقوله تعالى: { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} المائدة 23} وهو من الأسباب المعنوية القويّة لتحقيق المطلوب وقضاء المصالح, لكن على المؤمن أن يضم إليه ما تيسر له من الأسباب الأخرى, سواء كانت من العبادات كالدعاء والصلاة والصدقة وصلة الأرحام, أم كانت من الماديات التى جرت سنة الله بترتيب مسبباتها عليها, كالأكل والشرب, والتداوي بالأدوية المباحة, وتوقي الحر والبرد ونحوها, اقتداء برسول الله ﷺ , فإنه خير المتوكلين, وكان يأخذ بالأسباب الأخرى المناسبة مع كمال توكله على الله تعالى,فمن ترك الأسباب الأخرى مع تيسرها واكتفى بالتوكل فهو مخالف لهدي رسول الله ﷺ ويسمى توكله: عجزا لا توكلا شرعيا}[105] وذكر شيخ الإسلام رحمه الله في معرض تقسيمه الناس إلى أقسام الأربع, ثم قال:{ القسم الرابع : هو القسم المحمود وهو حال

---

[104] زاد المعاد {12/4}
[105] فتاوى اللجنة الدائمة {415/1}

الذين حققوا { إياك نعبد وإياك نستعين} الفاتحة 5} وقوله { فاعبده وتوكل عليه}هود 123} فاستعانوا به على طاعته وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبد إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله, وإنه ربهم الذي{ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع} الأنعام 51} وأنه { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده}فاطر 2} { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله} يونس 107} { قل أفرايتم ما تدعون من الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته}الزمر 38}

ولهذا قال طائفة من العلماء : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد, ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل, والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع, وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع,

فقد تبيّن أن من ظن التوكل من مقامات عامة أهل الطريق, فقد غلط غلطا شديدا, وإن كان من أعيان المشايخ – كصاحب { علل المقامات} وهو من أجل المشايخ, وأخذ ذلك عنه صاحب { محاسن المجالس} وظهر ضعف حجة من قال ذلك لظنه أن المطلوب به حظ العامة فقط, وظنه أنه لا فائدة له في تحصيل المقصود, وهذه حال من جعل الدعاء كذلك, وذلك بمنزلة من جعل الأعمال المأمور بها كذلك,كمن اشتغل بالتوكل عما يجب عليه من الأسباب التى هي عبادة وطاعة مأموربها, فإن غلط هذا في ترك الأسباب المأمور بها التى هي داخلة في قوله تعالى: {فاعبده وتوكل عليه} كغلط الأول في ترك التوكل المأمور به الذي هو داخلية في قوله تعالى: { فاعبده وتوكل عليه}هو123}

لكن يقال: من كان توكله على الله ودعاؤه له هو حصول مباحات فهو من العامة, وإن كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة , كما أن من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات

فهو ظالم لنفسه , ومن أعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله, بل خارج عن حقيقة الإيمان , فكيف يكون هذا المقام للخاصة}[106]

وفي الخلاصة أن من أسباب الجالبة الرزق التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب,

بطلان من ذهب أن الأخذ بالأسباب يقدح في التوكل

وأما الذين يعتقدون أن أخذ الأسباب يقدح في توكل العبد على ربهم سبحانه وتعالى, وأن أفضل على العبد التوكل على الله تعالى, وعدم السعي في طلب الرزق, وأن من سعى في ذلك فهو ناقض التوكل , وقد قام بالترويج هذا الفهم الخاطي المتصوفة الكسالى, والذين داروا في دائرتهم, ومما يدل على بطلان هذا الفهم الخاطى ,وهذ الرأي الفاسد.أن الله تعالى أمر عباده بالسعي في طلب الرزق, قال الله تعالى: { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور} تبارك 15} في هذه الأية دلالة واضحة أنه تعالى من نعمته أن سخر هذه الأرض للإنسان , وجعلها مذللة له, ثم أمره بالسعي في طلب الرزق والأكل من رزقه الذي جعله على الأرض للإنسان,ولذلك أمر الله تعالى المصلي بعد فراغه من الصلاة بالسعي في طلب الرزق قال الله تعالى: { فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله} الجمعة 10}

وكذلك أمر الذين يجاهدون في سبيله تعالى,إذا صلوا صلاة الخوف أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقال: { وليأخذوا حذرهم وأسلتحهم} النساء 102} وإن كانت الصلاة من أهم أركان الإسلام بعد كلمة الشهادة, وهي الفيصل الذي بين الإنسان والكفر تركها, مع ذلك نبه الله عباده المجاهدين في أثناء صلاة الخوف, بأخذ الحيطة والتنبه وعدم غفلة من عدوهم , وأمرهم ليأخذوا أسحلتهم , يدل أن الأخذ الأسباب المأمور بها شرعا من شرع الله تعالى, وكان النبي ﷺ هو إمام المتوكلين قد كان يربي الأصحاب رضي الله عنهم ويحثهم على بذل السبب والسعي في الرزق وذلك ما أخرجه

---

[106] مجموع الفتاوى{5/214-215}

إمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث المقدام ﷺ, عن النبي ﷺ قال:{ ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده , وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده}[107] ويعلق الحافظ على هذا الحديث تعليقا مختصرا بيانا منه أن التكسب لا ينافي التوكل, قال : { وفي الحديث أن التكسب لا يقدح في التوكل}[108]قلت في هذا الحديث بيان واضح على بطلان مذهب من ذهب بنفي السعي في طلب الرزق, وحث النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على السعي لطلب الرزق, وكان ذلك تربيته لهم, لذلك دليل أن مفهوم الصحيح للتوكل لا يناقض السعي والأخذ بالأسباب المأمور بها,وفي ذلك نهج الأنبياء والرسل عليهم السلام, سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن هؤلاء الذين يزعمون أنهم متوكلون, ويقولون: نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل , فقال : { هذا قول رديء أليس قد قال الله تعالى: { إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع} الجمعة 9}ثم قال : إذا قال: { لا أعمل } وجيء إليه بشيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره؟}[109] وبين شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى كعادته تفنيد حجج المبطلين والرد على هؤلاء في كتابه الماتع حيث قال: { وطائفة قدحوا في أربابها وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل مدعين لأنفسهم حالا أكمل من حال رسول الله ﷺ, وأصحابه , إذ لم يكن فيهم أحد قط يفعل ذلك,ولا أخل بشيء من الأسباب , فقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يوم أحد, ولم يحضر الصف قط عريانا كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة, واستأجر دليلا مشركا على دين قومه يدله على طريق الهجرة , وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين, وكان يدخر لأهله قوت سنة, وهو سيد المتوكلين, وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد, وجميع أصحابه- وهم أولوا التوكل حقا- وأكمل المتوكلين بعدهم هو من شم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة, أو لحق أثرا من غبارهم فحال النبي ﷺ وحال أصحابه محك الأقوال وميزانها, وبها يعلم صحيحها من سقيمها}[110] وله قول أخر: { وأجمع القوم على أن

---

[107] صحيح البخاري{303/4}
[108] فتح الباري{306/4}
[109] الحث على التجارة للخلال{28-30}
[110] مدارج السالكين{125-134/2}

التوكل لا ينافي القيام بالأسباب بل لا يصح إلا مع القيام بها, وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. قال : قال سهل بن عبد الله ﷺ : { من طعن في الحركة فقد طعن في السنة, ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان , فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته, فمن عمل على حاله فلا يتركنّ سنته}[111] هذه الأقوال كلها تدل على بطلان من ذهب إلى هذا المذهب, وصحة مذهب العلماء المحققين كشيخ الإسلام وابن القيم وقبلهما السنة نبي ﷺ القولية والفعلية, حيث حث الأصحاب بذلك, وقال به أئمة المذاهب,ورحم الله القائل.

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرن العجز يوما على الطلب

ألم تعلم أن الله قال لمريم إليك فهزّي الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: { فأفضل التوكل في الواجب – أعني واجب الحق, وواجب الخلق, وواجب النفس – أو أوسعه وأنفعه : التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية, أو في دفع مفسدة دينيّة , وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله, ودفع فساد المفسدين في الأرض, وهذا توكل ورثتهم, ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم, فمن متوكل على الله في حصول الملك ومتوكل في حصول رغيف, ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله, فإن كان محبوبا له مرضيّا كانت له فيه العاقبة المحمودة , وإن كان مسخوطا مبغوضا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه, وإن كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه , وإن لم يستعن به على طاعته}[112] { وأما المحبة لله, والتوكل عليه, والإخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض, وهي حسنة محبوبة في حق كل أحد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ,[113] قال شيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: {فالواجب على المؤمن أن يعتمد على ربه رب السماوات

[111] مرجع السابق{1745-1746}
[112] مدارك الساكين {1738}

[113] تحفة العراقية{22}

والأرض ويحسن الظنّ به. ولكن يفعل الأسباب والقدرة الحسيّة التى أمر الله بها, لأن أخذ الأسباب الجالبة للخير المانعة من الشر من الإيمان بالله تعالى وحكمته, ولا تنافي التوكل, فها هو سيد المتوكلين محمد, رسول الله ﷺ, كان يتخذ الأسباب الشرعية والقدرية, فكان يعوذ نفسه عند النوم بالإخلاص والمعوذتين,وكان يلبس الدروع في الحروب, وخندق على المدينة حين اجتمع أحزاب الشرك حولها حماية لها, وقد جعل الله تعالى ما يتقى به العبد شرور الحروب من نعمه التى يستحق الشكر عليها فقال عن نبيه داود: { وعلمناه صعنة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون}سورة الأنبياء 80}[114]

أمور تنافي توكل على الله تعالى

من خلال الرصد الآيات الواردة في موضوع التوكل, وكذلك الأحاديث النبوية ﷺ, وأقوال علماء المحقيقين رحمهم الله تبارك وتعالى, نستفيد منها الأمور الذي ينافي التوكل على الله تعالى, وينافي كذلك حقيقة التوحيد أو كماله,من هذه الأمور المنافي للتوكل:

أولا: الإعتماد القلب على الأسباب

وهو أن يعلق العبد النجاح والرزق وحصول المطلوب بالأسباب فقط من دون الله تعالى كما هو الواقع لدي كثير من المسلمين, أن هذا الرزق حصل في هذا العمل فقط. أو النجاج في الأمر كان بسبب ذكائه وكثرة الاهتمام به فقط دون تقدير الله تعالى, وادعاء الشفاء بعلاج الطبيب الفلاني , وهذا كله ينافي كمال التوحيد, لأن الله تعالي هو المسبب وحده لا شريك له, ويخالف منهج الأنبياء والمرسلين الذين يرون أن الإعتماد القلب على غير الله تعالى يعتبر شرك في طاعة الله تعالى, قال شيخ الإسلام :{ فإن المتوكل يتوكل على الله سبحانه في صلاح قلبه ودينه, وحفظ لسانه وإرادته وهذا لأهم الأمور إليه, ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله{ إياك نعبد وإياك نستعين} الفاتحة 5}

[114] مجموع الفتاوى لابن عثيمين{103/1}

كما قال تعالى: { فاعبده وتوكل عليه} هود 123} وقوله تعالى: { عليه توكلت وإليه أنيب} هود 88} وقوله:{ قل هو ربي لاإله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب} الرعد 30}فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع ,لأن هذين يجمعان الدين كله, ولهذا قال من قال من السلف : إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن ,وجمع علم القرآن في المفصّل,وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب, وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله { إياك نعبد وإياك نستعين}[115] قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى: { التعلق بالأسباب أقسام :

القسم الأول: ما ينافي التوحيد في أصله ,وهو أن يتعلق الإنسان بشيئ لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتماداكاملا معرضا عن الله, مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب. وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة وحكم الفاعل ما ذكره الله- تعالى- بقوله: { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}المائدة 72}

القسم الثاني: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبب وهو الله تعالى-فهذا نوع من الشرك ولكن لا يخرج من الملة, لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبّب وهو الله –تعالى-

القسم الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقا مجردا لكونه سببا فقط, مع اعتماده الأصلي على الله, فيعتقد أن هذا السبب من الله, وأن الله لوشاء قطعه ولو شاء لأبقاه وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله- عزوجل- فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلا ولا كمالا,ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغى للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله, فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقا كاملا مع الغفلة عن المسبب وهو الله فهذا نوع الشرك, أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبّب هو الله- سبحانه وتعالى- فهذا لا ينافي التوكل, والرسول ﷺ , كان يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب وهو الله عز وجل.}[116]

---

115 التحفة العراقية{22}

116 مجموع الفتاوى لابن عثيمين{104/1}

ثانيا: ما ينافي التوكل اللجوء إلى السحرة

وإن كثر ة كاثرة من الناس اليوم لديهم عدم الققثة بالله تعالى, ولم يستسلموا لقضائه وقدره في المصائب والأمراض والمشاكل, وفي قلة اللزرق, مما جعل هؤلاء الناس يتلجئون إلى السحرة , وإلى عبادة القبور والمشاهد, وفي تتبع للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ والأقوال علماء ما يدل على أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان ولا يصح إيمان العبد إلا بإيمان بالقضاء والقدر, يبرهن على هذا ما كان في بداية الأمر لما كان انكار بالقدر في عصر التابعين ما قال عبد الله بن عمر لما سئل عن القدر : فإذا لقيت أوليك فأخبرهم أنّي برئ منهم, وأنهم براء منّي, والذي يحلف به عبد الله بن عمر, لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه , ما قبل الله منه, حتى يؤمن بالقدر, ثم قال حدثني أبي فذكر الحديث,[117]} الذي يحلف به عبد الله يدل على أن منكر القدر كافر, وعدم الثقة بالله تعالى, وقلة التوكل عليه في الأمور أدي ذلك إلى انتشار كثرة السحرة وانتشار الشياطين, قال شيخ رحمه الله تعالى في جواب لسؤال : { مذهب أهل السنة والجماعة, أن الله تعالى- خالق كل شيء وربه ومليكه , لا رب غيره ولا خالق سواه,ما شاء كان ومالم يشاء لم يكن, وهو على كل شيئ قدير, وبكل شيئ عليم, والعبد مأمور بطاعة الله, وطاعة رسوله, ومنهي عن معصية الله, ومعصية رسوله, فإن أطاع كان ذلك نعمة , وإن عصى كان مستحقا للذم والعقاب, وكان لله عليه الحجة البالغة, ولا حجة لأحد على الله – تعالى- وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته, لكن يحب الطاعة ويأمر بها, ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم, وبيغض المعصية وينهى عنها, ويعاقب أهلها ويهينهم. وما يصيب العبد من النعم , فالله أنعم بها عليه, وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه, كما قال تعالى: { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} الشوري30}

وقال تعالى: { ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك} النساء 79} أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك, وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك

---

[117] صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم الحديث{1}

وخطاياك, وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه, فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره , وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره}[118] قلت إذا كان ما يصيب العبد من سيّئة فبسبب ما أجني على نفسه من المعاصى والذنوب, فعليه أن يتوب من ذلك المعاصى والذنوب, حتي ترجع إليه نعم الله بسبب طاعته واتباع شرعه, ولا يحل المشلكة لذهابه إلى السحرة والكهان والمنجمين وعبادة القبور فإن هؤلاء لا يغيروا أحوالا,إنما يزيدون سوءا وكفرا بالله تعالى وشركا واعتقادا منهم أن لهم تصرف في ملكوت الله تعالى, وأنهم يستحقون ما يستحق لله تعالى فهذا كفر بالله وهضم لأعظم حق الله تعالى على عباده , هو التوكل عليه تعالى والتوحيد ,فقال شيخ الإسلام{ فأن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك, ولا تقل : لو كان كذا لم يكن كذا , ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا, قال فهذا هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر}[119]

ثم قضية السحر بيّن الله تعالى فيه بيانا شافيا أن السحرة لا يفلحوا من حيث أتووا, وإذا كان السحر ة لا يفلحون في الدنيا و لا في الأخرة, ولا يحققون رغباتهم وما يصبون إليه إلا ما قدر الله تعالى لأنفسهم كيف يجدون لغير ما لم يشأ الله تعالى ولم يقدر, و لابد للمؤمن أن يكون موقنا بالله تعالى , مسلما لأمره له تعالى , ويثق بأن ماأصابه لم يكن ليخطئه , وما أخطئه لم يكن ليصيبه, ويعلم علم اليقين أن الأمة لو اجتمت على أن يضروه لم يضروه إلا بشئ قد كتبه الله عليه, وإذاحقق العبد غاية التسليم بالله تعالى , علم أن الكل بيد الله تعالى, وأنه خلق كل شيئ بقدر, لا يقصد هؤلاء السحرة والدجاجلة,ولا يطلب منهم شيئا, لأن ذلك ينافي التوحيد, وينقض التوكل, ولهذا جاء عن النبي ﷺ النهي عن إتيان السحرة,لمخالفة ذلك كمال التوحيد, ولأنه ينافي التسليم لقضاء الله تعالى وقدره,وينافي التوكل على الله تعالى , ويخالف دين جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام, وبيّن رسول الله ﷺ أن السحر من أكبر الكبائر كما في الصحيحن من أبي

[118] مجموع الفتاوى{495/4}
[119] مرجع السابق{214/4}

هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { اجتنبوا السبع الموبقات } قالوا يا رسول الله, وما هن؟ قال الشرك بالله والسحر , وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق, وأكل الربا, وأكل مال اليتيم, والتولي يوم الزحف, وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات}[120] وأخرج الإمام البخاري من حديث عائشة زوج النبي ﷺ أم مؤمنين ﷺ قالت: {سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: ليس بشيئ فقالوا: يا رسول الله, إنهم يحدّثوننا أحيانا بشيئ فيكون حقا, فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجنيّ فيقرّها في أذن وليّه فيخلطون معها مائة كذبة}[121]وأخرج الإمام مسلم رحمه الله عن بعض

أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: { من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول, لم تقبل له صلاة أربعين يوما}[122] يدل الحديث على تحريم ذهاب إلى السحرة' والعرافين,ولو لم يصدقهم , وفي الحديث وعيد شديد من يذهب إليهم حيث لا يقبل صلاته عند الله ولا ثواب له ,ولا يعنى ذلك أن يترك الصلاة في هذه المدة, ولكن تحذير المسلم من إتيانهم, لأنهم يفسدون عليه دينه,وبذات إذا صدقهم بما يقولون بعد مجيئه إليهم, وأما أن يصدقهم بدون ذهابه إليهم ذلك يعنى تكذيب بما أنزل الله على محمد ﷺ. قال الشيخ عثيمين رحمه الله: { والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه, فهذا محرم, وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين يوما, كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: { من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما, أو أربعين ليلة}

القسم الثاني: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به, فهذا كفر بالله- لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب, وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله –تعالى- { قل لا يعلم

---

[120] وأخرجه البخاري في فتح {262/10}رقم الحديث{5764} ومسلم مع النووي{70/1} رقم الحديث{145}
[121] أخرجه البخاري في فتح {247/10} رقم الحديث {5762}
[122]

من في السماوات والأرض إلا الغيب الله} النمل 65} ولهذا جاء في الحديث الصحيح : { من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ}

القسم الثالث: أن يأتى إلى الكاهن فيسأله ليبّين حاله للناس, وأنها كهانة وتمويه وتضليل, فهذا لا بأس به , ودليل ذلك أن النبي ﷺ , أتاه ابن صياد, فأضمر له النبي ﷺ, شيئا في نفسه فسأله النبي ﷺ ماذا خبأله؟ فقال: الدخ يريد الدخان. فقال النبي ﷺ: { اخسأ فلن تعدو قدرك}. هذه أحوال من يأتي إلى الكاهن ثلاثة:

الأولى: أن يأتى فيسأله بدون أن يصدقه, وبدون أن يقصد بيان حاله فهذا محرم, وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة,و الثانية: أن يسأله فيصدقه وهذا كفر بالله- عز وجل- على الإنسان أن يتوب منه ويرجع إلى الله – عز وجل – إلا مات على الكفر, والثالثة: أن يأتيه فيسأله ليمتحنه ويبّين حاله للناس فهذا لا بأس به.}[123]

وأخرج أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: { من أتى كاهنا فصدقه بما يقول, فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ}[124] وفي الحديث ما يدل على أنه يجب تكذيب الكهنة والعرافين والسحرة, ولأن من صدّقهم كذّب بما أنزل على محمد ﷺ, ومن كذّبهم صدّق بما أنزل على محمد ﷺ, , لأنهم الكذابون وإن صدقوا,قال شيخ الفوزان حفظه الله تعالى : { يدل على تحريم الكهانة, والذهاب إلى الكهان, لأنهم يفسدون عقيدة من يذهب إليهم, وبعضهم ربما تظاهر بذكر اسم الله أو يصلي, أو غير ذلك, حتى يقول من رآه: رأيته يذهب للمسجد,وما كل من يصلي يصير مسلما, قد يصلي الإنسان ويزكّي ويصوم ويحج هو كافر, إذا فعل ذلك نفاقا أو ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام, فالكاهن لو صلى ولو صام ولو حج, ولو تصدق ولو زكّي لا تقبل أعماله, لأنه مشرك كافر, وكذلك الساحر, وبعضهم يقول: أنا انتفعت من ذهابي إلى هؤلاء, أنا كنت مريضا وانتفعت, وحصول الحاجة أو حصول الغرض ليس دليلا على الجواز, فقد يعطى الإنسان حاجته

[123] مجموع الفتاوى لابن عثيمين{2/184-185}
[124] أخرج أبو داود في سنن -

من باب الفتنة, ومن باب الاستدراج والاختبار, والعبرة في كونه دلّ الدليل الشرعي على جواز هذا الشيء, أو على تحريمه هذا الشأن.[125]}

ثالثا:مما ينافي التوكل الطيرة والتشاؤم

ومما ينافي التوكل الطيرة والتشاؤم كما يفعله بعض الناس عند خروجه من بيته أو عزمه على السفر فيتشاؤم من رؤية شخص أو سماع كلمة, أو يتشاؤم من رقم معين أو يوم معين أو ثوب أو بيت, أو طير أو حال, أو تحويل طريق, قال الله تعالى: { ألا إنّما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون} قوله تعالى: { قالوا طائر كم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون}

وعند الشيخين من أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {{ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولاصفر}[126] ولأبي داود عن عقبة بن عامر , قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: { أحسنها الفأل, ولا ترد مسلما, فإذا رأى أحدكم ما يكره , فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت, ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك}[127]وراه أبو داود والترمذي رحمهما من حديث ابن مسعود مرفوعا: { الطيرة شرك والطيرة شرك الطيرة شرك } ثلاثا {وما منا إلا ,, ولكن الله يذهبه بالتوكل}[128] قال شيخ فوزان حفظه الله تعالى: { ثم بين ﷺ ما تعالج به الطيرة, وهو ثلاثة أمور:

الأمر الأول- وهو الأصل -: التوكل على الله سبحانه وتعالى, وأنه لا يأتي بالخير ولا يدفع الشر إلا هو سبحانه وتعالى, وهو الذي يأتي بالخير ويدفع الشر, وهو الذي يضر وينفع, وهو الذي يتصرف في الكون فإذا توكل على الله فإن الطيرة لا تضره.

الأمر الثاني: أن يمضي في حاجته التى أرادها, ولا يرجع عنها بسبب الطيرة.

---

[125] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد{346}

[126] البخاري مع الفتح {243/10} رقم الحديث{5757}باب لاهامة} ومسلم وأبوداود في باب في الطيرة{3911} ص{702} وصححه الالباني -

[127] أخرجه أبو داود رقم الحديث{3918} ص{703} وضعفه الألباني-

[128] أخرجه أبو داود{3910} ص{702}-وصححه الألباني- والترمذي{1614} ص{380} وصححه الألباني في جامع الترمذي-

الأمر الثالث: الدعاء, بأن يدعو الله بالدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ هو أن يقول: { اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت, ولا يدفع السيئات إلا أنت, ولا حول ولا قوة إلا بك} وهذا دعاء عظيم, فيه توكل على الله, وفيه اعتراف بأن الذي يأتي بالحسنات ويدفع السيئات هو الله تعالى, وليست الطيرة, أنه لا حول ولا قوة إلا بالله, لا أحد يحوّل من حال إلى حال إلا الله سبحانه وتعالى, ولا أحد يقوى على شيء إلا بقوة الله سبحانه وتعالى.

والدعاء الثاني: { اللهم لا خير إلا خيرك, ولا طير إلا طيرك, ولا إله غيرك}[129]

إن التطير من بعض الأشياء والحوادث يقدح ذلك في توكل الإنسان على الله تعالى, وينافي حقيقة التوكل, ومتطير لم يجد حلاوة التوكل على الله سبحانه وتعالى, وذلك أن المتوكل على الله يعلم أن كل ما أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه لم يكن لصيبه. كما قال الله تعالى: { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولا نا وعلى الله فليتوكل المؤمنون} التوبة 51} وأما الذي يتطير فهو في خوف شديد وفزع ,دائم الاضطراب والقلق من أمور مخلوقة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا, وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: - التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع , فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها عما عزم عليه فقد قرع باب الشرك , بل ولجه وبرئ من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام { إياك نعبد وإياك نستعين} { واعبده وتوكل عليه} هود 123} و{ عليه توكلت وإليه أنيب} الشورى10} فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا, فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله, ويبقى هدفا لسهام الطيرة, وتساق إليه من كل أوب, ويقبض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه , وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة}[130] لقد كثر هذا النوع من الشرك بين المسلمين اليوم حيث يتطيرون بكل شيئ مثل الغراب والبوم والقطط والأسود والمرأة العجوز, ولا يبعون للمرأة في أول ما يفتح الدكان, ويغيرون الطريق بمجرد رؤية المرأة فيه, ويتطرون ببعض

[129] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد{12/2}
[130] مفتاح دار السعادة{4/153-154}

أرقام , وبالأيام كذلك ,فهذه كلها شرك ينافي التوحيد وحقيقة التوكل الذي هوالاعتماد على الله تعالى, ويهوي بصاحبه إلى مهلكة والقلق والخوف والفزع مستدامة إلى يوم يرجع فيه إلى ربه سبحانه وتعالى فيحاسبه على ذلك والله المستعان, وروي عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:{ كان ﷺ لا يتطيّر من شيء,وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه, فإذا أعجبه اسمه فرح به, ورؤي بشر ذلك في وجهه,وإن كره اسمه ورؤي كراهة في وجهه,وإذا دخل قرية سأل عن اسمها, فإن أعجبه اسمها فرح بها, ورؤي بشر ذلك في وجهه, وإن كره اسمها رؤي كراهة ذلك في وجهه}[131] } وأخرج الإمام البخاري ومسلم وغيرهما,من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا عن النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم قال: { لا عدوى ولا طيرة, ولا صفر ولا هامة, فقال أعرابي: ما بال الإبل تكون في الرمل, كأنها الظبياء, فيخالطها بعير أجرب فيجربها؟ قال: فمن أعدى الأوّل؟}[132] وفي الصحيحين { لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل : الكلمة الحسنة}[133] }

وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص عن سعيد بن المسيب قال: {سألت سعد بن أبي وقاص عن الطيرة؟ فانتهرني وقال: من حدثك؟ فكرهت أن أحدثه من حدثني, قال: قال رسول الله ﷺ: { لا عدوى ولا طيرة , ولا هام , إن تكن الطيرة في شيئ, ففي الفرس والمرأة والدار, وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تهبطوا, وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه}[134] } وكل هذه الأدلة تدل على أن الطيرة شرك ينا في التوكل على الله تعالى, وأن السحرة لا يغنوا عنه شيئا في الدنيا ولا في الأخرة, وما توفيقي إلا الله عليك توكلت وإليه أنيب,والله أعلم,

---

[131] وتمام في الفوائد{109/2} وأحمد في المسند {347/5}وابن أبي خيثمة في التأريخ{19-20} وابن عساكر {136/2} عن هشام عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعا قال علامة الألباني رحمه الله:{ قلت وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين} أنظر السلسلة الأحاديث الصحيحة{389/2} أخرح الحديث إمام أبو داود {859/2} وابن حبان {1430} وقم الحديث {762}

[132] أخرجه البخاري مع الفتح{139/10و197و198} ومسلم{ 31/7} وأبو داود{158/2} وأحمد{267/2} صححه الألباني{412/2-413} رقم الحديث{782}

[133] أخرج الحديث البخاري {175/10} ومسلم {33/7} وأبوداود{158/2} والترمذي{305/1} وصححه والطحاوي{378/2} والطيالسي رقم{1961} وأحمد {130/3} وابن ماجه{362/2} وابن أبي شيبة{41/9} وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة{415/2} رقم 786}

[134] أخرجه أحمد {180/1} وأبو داود {159/2} وقال الألباني رحمه الله { وهذا إسناد حسن في الشواهد} أنظر الصحيحة{417/2}

السبب الثالث: شكر الله عزوجل

إن الله سبحانه وتعالى من فضله وإحسانه على عبيده, أن جعل النعمة المشكور عليها بالزيادة النماء والبركة , ولهذا وعد الله تعالى عباده إذا شكروه بما أنعم بها عليهم أن يزيد لهم في ذلك النعم, والشاكر لا يخسر عند الله تعالى, فله جزاء شكره من الثواب والأجر الجزيل, ويزيد الله عليه من أنواع النعمة بشكره لله سبحانه وتعالى,ولو تأملنا في القرآن الكريم في الآيات التى تذكر فيها الرزق , ويمتن بها عباده وما يأمر بأكل ما رزقهم الله تعالى, وأن الله تعالى سخر للخلق ما في الأرض , وإلا يختم الآيات الآمرة بأكل الرزق, بأمر العباد على شكر الله تعالى على هذه النعم, ما يشير في ذلك, أن الشكر من أسباب الجالبة الرزق, ومن أسباب إدامة النعم وثبوتها على الأرض, وكثرتها فيها, الشاكر هو مبارك حيث ما كان, مبارك في ماله لأنه أضاف إلى الواهب وشكر الواهب عليه, ومبارك في أعماله لأن من شكر النعمة استخدامها في طاعة الله تعالى ومرضاته, وإحياء سنة النبي ﷺ, ويكون مباركا أيضا يوم البعث من القبور, لأنه كان يدخر بماله ما ينجيه من عذاب الله تعالى,لم يسنى نصيبه في الحياة الدنيا, وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليه, ولم يبغ الفسادة في الأرض, ثم كان من الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا تكبرا ولا فسادا, فكان زمرة الذين جعل الله لهم تلك الدار,التي هي دار النعيم , الجنة الخلد, و شكر الله سبحانه وتعالى من أهم أسباب إدامة النعمة والزيادة فيها كما وعد الله تعالى وكما مدح الله تعالى المتصفين بشكره تعالى, الحامدين الله تعالى,

وأن الشكر لله تعالى من أهم ما عبد الله تعالى عبد المؤمن به , وخاصة بعض اكتماله سن الرشد قال الله تعالى: { ووصينا الإنسان بولديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمال صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريّتي إنى تبت إليك وإني من المسلمين۝

أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون} الأحقاق15} في هذه الأيتين تشير أن عبد الله المؤمن , إذا وصل سن الرشد , وكمال العقل والفهم أن يتوجه إلى خالقه سبحانه وتعالى بشكره واعتراف بما أنعمه الله عليه من الصحة والعافية , حتى بلغ إلى مرحلة القوتين , القوة الجسمية,والقوة العقلية, لأنه بقوة الجسم يسطيع الإنسان تحمل بتكاليف الشرعية, مثل الجهاد في سبيل الله تعالى , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وإعانة الضعفاء وتحمل المشاق في طاعة الله تعالى, وأما القوة العقلية, فبه تتحقق أهلية الوجوب , وبه تكون الفهم الصحيح اللإسلام , وبه يسيطع الإنسان أن يتدبر بما في كتاب الله تعالى من المعاني والفوائد والعبر وعظات , ويسطيع به أن يتعلم ويفهم عن مراد الله ورسوله ﷺ, وبقوة العقلية يتميّز بين ما يرضي الله ويحبه, وبين ما يبغض الله ويكره, ويتميز ما هو صحيح عند أصحاب العقول وما هو منكر عندهم, ولذا يوجب على العبد أن يشكر الله تعالى إذا وحصل في هذه المرحلة مع الشكر الوالدين, كما في الأية, وإذا كان العبد يشكر الله كلما أنعم الله عليه من صحة وعافية وأموال وعمر , فإن الله تعالى هو الغي الحميد الوهاب والمعطي فإنه يزيد على عبده الشاكر , كلما يحدث الشكر على كل نعمة متجددة يحدث الله له مزيد نعمة أخري,كما قال الله تعالى في القرآن الكريم. والشكر سر دوام النعم وتواصلها وزيادتها, لأن النعم من الله تعالى, والذي يهبها لخقله اختبارا وامتحانا لهم, فمن أنكرها أو جحدها سلبت منه, وربما بقيت معه استدارجا له, ثم تذهب كأن لم تكن بغمسة واحدة في النار- ونسأل الله تعالى العافية.- وأما من عرف حقها وشكرها, فإن الله تعالى يحفظها له, ويديمها عليه , ويزيد ها وينميها له, فالشكر معه المزيد أبدا,قال الله تعالى: { لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} سورة إبراهيم {7} أي : { لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلى}[135] } فجعل الله تعالي الشكر علامة لزيادة فضل الله على عبده الشاكر, والعكس صحيح, وهذا وعد من الله تعالى صادق الوعد, ولا بد أن يتحقق, وجاء

[135] تفسير القرطبي{343/9}

الأثر أن الله تعالى يقول: { أهل ذكري أهل مجالستي, وأهل شكري أهل زيادتي}[136] فإن الله تعالي لا يرزق عبدا الشكر إلا ورزقه معه الزيادة مع حفظ النعم ودوامها, ولهذا كانوا يسمون الشكر ب:الحافظ:" لأنه يحفظ النعم الموجودة, : والجالب:" لأنه يجلب النعم المفقودة, وأثر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: النعمة موصولة بالشكر, والشكر يتعلق بالمزيد, ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد, وكان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله يقول: نعم الله بشكر الله}[137] وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين لسفيان الثوري رحمهما الله: { إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها, فأكثر من الحمد والشكر عليها, فإن الله- تعالى- في كتابه:قال { لئن شكرتم لأزيدنّكم }[138] وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: { اشكر من أنعم عليك, وأنعم على من شكره , فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت , ولا زوال لها إذا شكرت, وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول: { ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها, كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك, فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة , إلا إلى ما هو أعظم منها. وقيل: إذا قصّرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر}[139] قال سليمان التيميّ رحمه الله تعالى: { إن الله عزوجل أنعم على عباده بقدر طاعتهم وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم, وكل شكر وإن قلّ ثمن لكل نوال وإن جلّ}[140]. إن صلاح الحياة يتحقق بالشكر, ونفوس الناس تنمو بالإتجاه إلى الله, وتستقيم بشكر الخير, وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم, فالمنعم موجود والنعمة بشكره وتزكو وتزيد. قال عليّ بن أبي طالب ﷺ : { اشكر المنعم عليك, فإنه لا نفاد للنعم إذا شكرت , ولا بقاء لها إذا كفرت, والشكر زيادة في النعم, وأمان من الغير}[141] }

---

[136] ذكره ابن القيم في مدارك السالكين {194/1} من غير عزو لكتاب وكذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي {319/4} من غير عزو لكتاب

[137] عدة الصابرين {98}

[138] الدر المنثور للسيوطي{8/5}

[139] مدارك السالكين{216/2}

[140] الأداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح المقدسي{313/1-314}

[141] الدر المنثور{374/1}

{فمتى لم تر حالك في مزيد, فاستقبل الشكر}[142] فالشكر من أكبر الطاعات ثوابا, وهو من أعلى المنازل, ولذلك جعل للمؤمن بالله الشاكر الصابر الخير كله في سرائه وضرائه, وذلك مصداقا لقوله ﷺ حيث قال:{ عجبا لأمر المؤمن , إن أمره كله خير له, وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له, وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له}[143]

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة, أعلى من الشكر عند الله في الثمن

إذا منحتها مني مهذبة حذوا على حذو ما أوليت من حسن

كفية شكر الله تعالى على نعمه

وشكر الله تعالى على نعمه – من الجوراح - من ثلاثة أوجه:-

الشكربالقلب

ويكون بمحبة المنعم سبحانه وتعالى والانقياد له بالطاعة والعبادة , وإقرارا واعترافا بنعمه , لأن الشكر كما ذكره العلماء مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور له, وحبه , واعترافه بنعمته, وثناؤه عليه بها, وألا يستعملها فيما يكره}[144]

وأخرج الإمام الطبراني والبيهقي وغيرهما من حديث عبد الله بن عباس ﷺ, أن النبي ﷺ { أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا, وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها ولا ماله}[145]

[142] مدارك السالكين{216/2}
[143] رواه مسلم وأحمد -
[144] مدارك السالكين{611/2}
[145] المعجم الأوسط للطبراني رقم : {7212-7401} وشعب الإيمان{4424} وحلية الأولياء لأبي نعيم{3331} الترغيب والترهيب {329/2} وقال: { إسناده جيد

الشكر باللسان

ويكون بالاعتراف بنعمة الله , واللهج بذكره وحمده, والتحدث بهذه النعم, لقوله عز وجل: { وأما بنعمة ربك فحدث} سورة الضحى{11} وأخرج الإمام أبو داود رحمه الله في سننه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: { من أعطي عطاء فوجد فليجز به , ومن لم يجد فليثن, فإن من أثنى فقد شكر, ومن كتم فقد كفر, ومن تحلّى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور}[146] وذكر الحديث موفق الإنسان تجاه النعمة أقسام الثلاثة : المؤمن هو الشاكر للنعمة المثني بها , والجاحد لها والكاتم لها, والمظهر أنه من أهلها, وليس من أهلها, فهو متحل بمالم يعط, وأخرج الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ على هذا المنبر: { من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير , و لم يشكر الله عز وجل , والتحدث بنعمة الله شكر, وتركها كفر, والجماعة رحمة والفرقة عذاب}[147]}

الشكر بالجوارح :

كعمل اليدين والرجلين والسمع والبصر, فشكر نعمة المال- مثلا- يكون بالانفاق في سيبل الله, لأن الشكر ليس باللسان فقط, بل إذا استخدمت هذه الجوارح في طاعة الله, كان ذلك شكرا لله تعالى, وقد وصف الله تعالى العمل بأنه شكر فقال تعالى: { اعملوا ءال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور} سورة سبأ 13}

والشكّار لربه هو المعترف بنعمته, راض عن الله وراض عنه الله, وفي هذا المعنى قال يعض السلف : { تمام الشكر بثلاثة أشياء:

أولها: إذا أعطاك الله شيئا فلتنظر من الذي أعطاك , فتحمده عليه,

---

[146] رواه الترمذي كتاب البر والصلة {1957} وأبو داود في كتاب الآداب {4179} قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن غريب , وأخرج الجملة الأخيرة البخاري في كتاب النكاح {4818} ومسلم في كتاب اللباس والزينة{3973}

[147] تفرد به أحمد { 18544} وأنظر مدارك السالكين{615/2}

الثاني: أن ترضى بما أعطاك . الثالث: ما دامت منفعة ذلك الشيء معك , وقوته في جسدك فلا تعصه} وينقسم شكر الجوارح إلى قسمين,

قسم الأول: وجودي: هو استخدامها في طاعة الله تعالى٬ والقسم الثاني: هو عدم استخدامها في معصية الله, فالسمع والبصر من أعظم النعم, وشكرهما يتحقق باستخدامهما فيما يرضي الله, فلا تنظر ولا تسمع إلى ما حرم الله٬ فإن فعلت فقد اختل شكرك الله, فإن الله تعالى يحب أن يري أثر نعمته على عبده} فالشكر : هو الحمد باللسان , وأن يعترف بأن النعمة من الله تعالى , وهو الحمد باللسان والمعرفة بالقلب, والخدمة بالأركان ,وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لا يحل,وما توفيقي إلا بالله عليك توكلت والله أعلم.

السبب الرابع : الاستغفاروالرجوع والتوبة:

الإستغفار والرجوع إلى الله تعالى والتوبة إذا كان بصدق وإخلاص من أسباب كثرة الرزق, وزيادة في الأموال والمواشي والمزروعات وغير ذلك مما أنعم الله بها عباده,لأن الأمر وتدبير الكون وتقسيم الأرزاق بيده تعالى, وإذا استغفر العبد وتاب إليه, بين ضعفه وفقره إليه, فيحدث له لون من العبادة, فيحصل به الرزق".,ويري كيثر من الناس أن الاستغفار والتوبة هما باللسان وحده, ويقول أحدهم : { أستغفر الله أتوب إليه}} لا يوجد لهذه الكلمات أثر في القلب, ولا يشاهد لهما تأثير على الجوارح , ويقال هذا الاستغفار والتوبة فعل الكذابين, وبين العلماء معنى الاستغفار والتوبه الذين لهما تأثير في القلوب والواقع المشاهد, قال الإمام راغب الأصفهاني: { التوبة في الشرع : ترك الذنب لقبحه, والندم على ما فرط منه, والعزم على ترك المعاودة, وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة}[148] وفي كلام الراغب رحمه الله تعالى توضيح أن التوبة معانيه: ترك الذنب أي أن يبتعد العبد عن الذنب, وأن لا يقترب منه ما بقي من عمره,وكذلك أن يصور قبح الذنب في ذهنه, ويصور ما يترتب عليه من العقوبات وقطع الأرزاق, وما يحدث من بعد عن طاعة الله تعالى, ويثقله ويبطؤه عن قيام النوافل أو يتركها كليّا من أجل المعاصي, إذا وإن تصور العبد لقبحه اتبعد عنه كثيرا,والندم على ما فرط منه من المعاصى, وما ترك من حق الله تعالى, يندم أيضا ما تعدي من حدود الله تعالى وهكذا, والعزم على ترك المعاودة أي أن يعزم على أن لا يعود على الذنب أبدا لأن عدم العزم على المعاودة الذنب, يعتبر من توبة المنافقين,

أن يتدارك ما فاته من طاعة, من كثرة الاستغفار والتوبة وكثرة النوافل, وأن يتدارك ما يستطيع تداركه من الأعمال بالإعادة,

---

[148] المفراد في غريب القرآن مادة {توب} ص{76}

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب, فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية , وثانيها: أن يندم فعلها, وثالثها: أن يعزم أن لا يعود إليها,فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته, وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة, وأن يبرأ من حق صاحبها, فإن كانت مالا أو نحوه ردّه إليه, وإن كانت حد قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه, وإن كانت غيبة استحلّه منه}[149] وزاد بعض العلماء من شروط التوبة الإخلاص لأن الله تعالى وصف توبة المؤمن بالتوبة النصوح,قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا} التحريم 6} وذكر الراغب أيضا عن الاستغفار : { طلب ذلك بالمقال والفعل , وقوله { استغفروا ربكم إنه كان عفار} لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط, بل باللسان والفعل, فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعل فعل الكذابين,[150]} ولقد جاء عدة النصوص في القرآن الكريم تنص على أن الاستغفار والتوبة من أسباب الجالبة للرزق, منها ما قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن هود عليه الصلاة والسلام: { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوّة إلى قوّتكم ولا تتولّوا مجرمين} سورة هود الأية {52} فهذه الآية بين الله تعالى فيها أن أيّ قوم جعلوا الاستغفار والتوبة عادة وعبادة لله تعالى مع الإخلاص, إلا أنزل الماء من السماء مدرارا, وقد يزيد قوما قوّة إلى قوتهم لأجل كثرتهم للاستغفار والتوبة والإنابة والرجوع إليه سبحانه وتعالى,قال بن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول: ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به, يقول: فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به أرسل قطر السماء عليكم يدرّ لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه, وتحيا بلادكم من الجدب والقحط,قال : قال زيد : جعل الله لهم قوة, فلو أنهم أطاعوه زادهم قوّة إلى قوتهم, وذكر لنا أنه إنما قيل لهم:

[149] رياض الصالحين{41-42}
[150] المفراد في غريب القرآن مادة عفر{362}

{ ويزدكم قوة إلى قوتكم} أنه كان قد انقطع النسل عنهم سنين, فقال هود لهم: إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم, ورزقكم المال والولد, لأن ذلك من القوة,}[151] { والمعنى : يرسل عليكم المطر متتابعا مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة . { ويزدكم قوة إلى قوتكم} أي شدة مع شدتكم , وقيل المراد بالقوة المال, وذلك أن الله تعالى لما بعث هودا إليهم, وكذّبوه حبس الله المطر عنهم ثلاث سنين, وأعقم أرحام نسائهم, فقال لهم هود: إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال, والولد, فذلك قوله تعالى:{ يرسل السماء عليكم مدرارا} والمدرار : بالكسر الكثير الدّر هو من أبنية المبالغة}[152] قلت هذا يدل على أهمية الاستغفار والتوبة في تحقيق حياة كريمة المبنيّة على الرخاء والإزدهار , وكثرة الأمطار ووجود جنّات ألفافا, وكثرة الأولاد, قال شيخ الزهيلي:{ فقال: ويا قوم, اطلبوا المغفرة من الله على الشرك والكفر والذنوب السابقة,وأخلصوا التوبة له, وعما تستقبلوا, فإذا استغفرتم وتبتم, يرسل الله عليكم مطرا كثيرا متتابعا, وقد كانوا بأشد الحاجة إلى المطر بعد أن منعوه , لأنهم أصحاب زرع وبساتي, ويزدكم قوة إلى قوتكم بالأموال والأولاد , وعزا إلى عزكم, وقد كانوا أشداء أقويّاء يهمهم التفوق والغلبة على الناس والاعتزاز بالقوّة.}[153] قلت: الذين يبحثون عن القوة والملك عليهم كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة مع إخلاص لله وحده لا شريك له, ويحققوا عبودية له, فيأتهم الله القوة والملك, لأن الله تعالى هو المالك الملك يؤت الملك من يشاء, وينزع الملك عمن يشاء, هو ذو قوّة المتين, ويقوي من يشاء, إذن فكثرة الإستغفار يورث الرزق والملك والقوة فهذه الأمور الثلاث تقوم عليها عمدة حياة السعيدة, سعة الرزق , والملك والقوة والأولاد, وكلها بيده الواهب المعطي المالك الملك, الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما,ولهذا على العبد المسلم أن يطلب مغفرة الله بالإيمان ثم يتوسل إليه بالتوبة, وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده. { يرسل السماء عليكم مدرارا}.يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة: { ثمّ أمرهم -يعني نبي الله هود عليه الصلاة والسلام قومه-بالاستغفار

[151] تفيسر الطبري{12/444-445}
[152] تفسير اللباب {10/506}
[153] تفسير المنير{6/406}

الذي فيه تكفير الذنوب السالفة, وبالتوبة عما يستقبلون, ومن اتصف بهذه الصفة يسّر الله عليه رزقه, وسهّل عليه أمره, وحفظ شأنه, ولهذا شأن قال: { يرسل السماء عليكم مدرارا}[154]

قال الله تعالى: { وأن استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمّى ويؤت كلّ ذي فضل فضله وإن تولّوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير}سورة هود الآية3}. في هذه الآية الكريمة, بيان أن كثرة الاستغفار والتوبة يؤت الإنسان التمتع في حياة الدنيا متاعا حسنا, ويؤت كل ذي فضل فضله,معنا ذلك المستغفر يؤتيه الله سبحانه وتعالى حياة الطبيّة في حيادة الدنيا,ويكون الله تعالى في عونه ويتحمّل عنه تكاليف حياة الدنيا ومشاكلها, ويدفع عنه مصائب الدنيا,ويستطيع أن يتمتع بما أعطاه الله تعالى, من أموال وبنين وملك,بصحة وعافية, وسلامة من مصيبتها, قال إمام الطبري رحمه الله تعالى: { يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه, فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا, ورزقكم من زينتها, وأنسألكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت.قال قتادة قوله: { يمتّعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمّى} فأنتم في ذلك المتاع , فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقّه, فإن الله منعم يحبّ الشاكرين , وأهل الشكر في مزيد من الله , وذلك قضاؤه الذي قضى.وأما قوله: { ويؤت كلّ ذي فضل فضله} فإنه يعني: يثيب كل من تفضّل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره, محتسبا بذلك, مريدا به وجه الله أجزل ثوابه وفضله في الآخرة, قال مجاهد: {ما احتسب به من ماله , أو عمل بيده أو رجله, أو كلمة , أو ما تطوّع به من أمره كلّه}[155] قال أبو محمد رحمه الله في تفسيره الآية: {ووصف المتاع بالحسن إنما هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله عزوجل وفي ثوابه, وفرحه بالتقرب إليه بمفترضاته, والسرور بمواعيده , والكافر ليس في شيئ من هذا. وأما من قال بأن المتاع الحسن هو فوائد الدنيا وزينتها فيضعف بأن الكفرة يشاركون في ذلك أعظم مشاركة. والأجل المسمى هو أجل الموت, معناه: إلى أجل مسمّى لكل واحد منكم, وهذا ظاهر الآية, والأجل

---

[154] تفسير ابن كثير{492/2}

[155] تفسير الطبري{313/12-314}-

الكبير- على هذه- هو يوم القيامة. وتحتمل الآية أن يكون التوعد بتعجيل العذاب إن كفروا, والوعد بتمتيعهم إن آمنوا,{ ويؤت كل ذى فضل فضله} أي كل ذى إحسان بقوله أو بفعله أو بقوته أو بماله أو غير ذلك مما يمكن أن يتقرب به}[156] قلت أما بنسبة الكافر فتمتعه في حياة الدنيا ليس متاعا حسنا لأن الله تعالى شبه تمتع الكافر بالدينا كالحيوانات قال الله تعالى: { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثواهم} محمد {11} وفي الآية تدل على أن ما عطي الكافر في الحياة الدنيا من متاع والزينة ليست بمتاع حسن, أموالهم وأولادهم إنما جعل الله ذلك إزهاق أنفسهم كما قال الله تعالى:{ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون} التوبه 84}في الآية دليل أن أموالهم وأولادهم وملكهم إنما جعل الله لهم آلة يعذبهم بها في الحياة الدنيا, كما هو شاهد اليوم في حال الكفرة ,من حب الشديد لهذه الأمور, حتى إذا فقد شيئا منها, قد يقتل نفسه لذلك وينتحر, ويصير مجرما لهذه الأمور, ويخون, ولا يزال معذبا بها حتى يدخل في قبره ثم يتواصل عليه العذاب في النار قال في تفسير اللباب : { وأما من اشتغل بحب غير الله,كان أبدا في ألم الخوف من فوت المحبوب وزواله,فكان عيشه منغّصا وقلبه مضطربا, ولذلك قال تعالى في حق المشتغلين بخدمته{ فلنحيينه حياة طيّبة} النحل 97}[157] أما حال المؤمن يختلف فإن الله يمتعه في الدنيا بماله ولده, وكلما يمتلك متاعا حسنا, ويعبّد ما في يديه لله, لذلك نعم الرجل الصالح وفي يده مال الصالح,وكما أن الله سبحانه متع المؤمن الغني متاعا حسنا, ريثما ينفق ماله في سبيل الله تعالى يجد حلاوة ذلك الطاعة في نفسه, ويثبت الله به إيمانه, ولذا مدح الله سبحانه وتعالى الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله تعالى, ووعدهم الجنة النعيم, وكذلك يتمع ما رزقه تعالى تعالي بإحداث الشكر والحمد لله, كل ذلك تدل على ثمرة الإستغفار والتوبة قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: { هذه ثمرة الاستغفار والتوبة, أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم. و قيل : يمتعكم يعمركم , وأصل الإمتاع الإطالة, ومنه أمتع الله بك , قال

---

[156] تفيسر المحرر الوجيز{538/2}
[157] تفسير للباب {432/10}

سهل بن عبد الله : المتاع الحسن ترك الخلق والإقبال على الحق, وقيل : هو القناعة بالموجود , وترك الحزن على المفقود.}[158] }{ قال المفسرون: يعيشكم عيشا في خفض ودعة وأمن وسعة ,فإن قيل:أليس أن النبي ﷺ قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر} وأيضا : {خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء فالأمثل فالأمثل} وقال تعالى: { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون} الزخرف 33} فدلت هذه النصوص على أن نصيب المؤمن المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن المعنى لا يعذّبهم بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القوّة من الكفار.

الثاني: أنه تعالى يوصل إليهم الزرق كيف كان, وإليه الإشارة بقوله: { وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسلك رزقا نحن نزرقك} طه{132}

الثالث: أن المشتغل بالعبادة مشتغل بحب شيئ يمتنع تغيره وزواله وفناؤه, وكلما كان تمكنه في هذا الطريق أتم كان انقطاعه عن الخلق أتم وأكمل, وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور,لأنه أمن من تغير مطلوبه, وأمن من زوال محبوبه}[159] قال في تفسير المنير: { وأن استغفروا ربكم} أي: وآمركم بالاستغفار السالفة, أي أن تطلبوا المغفرة من الشرك والكفر والمعاصي, وأن تتوبوا منها إلى الله عز وجل بالندم على ما مضى, والعزم على عدم العودة إلى الذنوب في المستقبل, والاستمرار على ذلك, فإن استغفرتم وتبتم من الذنوب, يمتعكم متاعا حسنا في الدنيا, أي يطوّل نفعكم بمنافع حسنة مرضية طيبة, ورزق واسع ونعمة متتابعة, والجمع بين الاستغفار والتوبة للدلالة على أنه لا سبيل إلى طلب المغفرة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار, هذا على أساس أنهما معنيان متباينان, لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي

---

[158] تفيسر القرطبي {4/9}
[159] تفسير اللباب{432/10}-

الستر, والتوبة: الانسلاخ من المعاصي, والندم على ما سلف منها, والعزم على عدم العود إليها, والمعنى: استغفروا من الشرك, ثم ارجعوا إليه بالطاعة. ومن قال: الاستغفار توبة جعل قوله: {ثم توبوا} بمعنى أخصلوا التوبة واستقيموا عليها بالطاعة والعبادة, والتمتيع في الدنيا والثواب في الآخرة جمع بين الجزاءين, إلا أن جزاء الدنيا موقوت محدود, وجزاء الآخرة دائم مطلق غير مقيّد بشيء. وفي هذا دلالة على جميع خيرات الدنيا والآخرة ليس إلا منه تعالى, وليس إلا بإيجاده وتكوينه وإعطائه, كما أن فيه إشارة إلى ثواب الدنيا لمجموع الناس, لا لكل فرد فرد, وأما جزاء الآخرة فمخصوص بكل فرد على حدة.[160]}{ قال بن عباس : يريد أن يتفضل عليكم بالرزق والسعة حلالا طيبا إلى أجل الموت}[161]

{ أصل الامتاع الإطالة ومنه امتع الله بك , فمعنى الآية يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية موسعة للرزق ورغد العيش , وقيل هو الرضاء بالميسور والصبر على المقدور}[162] قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: { وأن استغفروا ربكم} عن ما صدر منكم من الذنوب{ ثم توبوا إليه} فيما تسقبلون من أعماركم بالرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه, ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبه, فقال: { يمتعكم متاعا حسنا} أي يعطيكم من رزقه ما تتمتعون به وتنتفعون}[163]}

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقطي رحمه الله تعالى: { هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى, لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتبيب الجزاء على شرطه}[164] مما يدل على أن الإستغفار والتوبة من

[160] تفسير المنير{321/6}
[161] تفسير البسيط{346/11}
[162] فتح البيان{139/6}
[163] تفيسر السعدي{376/11}
[164] أضواء البيان{9/3}

أسباب الجالبة للزرق, ما أخرجه أحمد وأبوداود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {{ من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب}[165] ففي هذا الحديث الشريف أخبر الصادق المصدوق الناطق بالوحي ﷺ عن ثلاث ثمرات يجنيها من أكثر الاستغفار, إحداها : الرزق من الله الرزّاق ذي القوّة المتين من حيث لا يظنّ ولا يرجو ولا يخطر بباله, فعلى الراغبين في الرزق المسارعة إلى إكثار الاستغفار بالمقال والفعال, ولكن الحذار الحذار من الإقتصار على الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال, فإنه فعل الكذّابين}[166]}وقد ذكر الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: { فقلت استغفروا ربّكم إنه كان غفّارا, يرسل السماء عليكم مدارا ويمددكم بأموال وبين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار} سورة نوح{10-12} في هذه الكريمة ثمرات الاستغفار

أولا: غفران الذنوب قبول التوبة من الله تعالى لأنه وصف نفسه بأنه الغفار, وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عنهم السيّئات,

ثانيا: إنزال الله سبحانه وتعالى مطرا مباركا متتابعا يتبع بعضه بعضا, كما قال عبد الله بن عباس ﷺ: { مدرارا} يتبع بضعها بضعا}[167]

ثالثا: إكثار الله سبحانه تعالى الأموال والأولاد: { ويمددكم بأموال وبنين} فإن كثرة الأموال والأولاد يكمل العبد في قوته وأعوانه, لأن المال والبنين عنوان السيادة,

رابعا: من ثمرة الإستغفار أن يجعل الله تعالى للمستغفر بساتين كثيرة مثمرة مباركة تؤتي كلها كل حين بإذن الله ,

---

[165] المستدرك على الصحيحين رقم الحديث 2234-كتاب التوبة والإنابة{292/4} وللفظ له وأبوداد في سننه أبواب قيام الليل تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار رقم الحديث {1515} وعمل اليوم والليل رقم الحديث{10290} وسنن ابن ماجه أبواب الآداب باب الاستغفار رقم الحديث{3864}وقد ضعف الحديث بعض علماء الحديث بسبب أحد رواته انظر :{ التلخيص اللحافظ الذهبي{262/4} وعون المعبود{267/4} وضعيف سنن أبي داود للشيخ الألباني {149} وصحح إسناده الحاكم وقال عنه الشيخ أحمد محمد شاكر:{ إسناده صحيح } هامش المسند:{55/4} وأجاب عما قيل في أحد رواته ,

[166] مفاتيح الزرق في ضوء الكتاب والسنة{22}

[167] صحيح البخاري كتاب التفسير سورة نوح{666/8}

خامسا: ويفجر الله له في الأرض أنهرا وعيونا بين البساتين والجنات. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير: { أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء, وأنبت لكم من بركات الأرض, وأنبت لكم الزرع, وأدّر لكم الضرع, وأمدّكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد, وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار, وخللّها بالأنهار الجار بينها}[168] هذه الأيات كلها تدل على أن الإستغفار والتوبة والإنابة من أسباب الجالبة الرزق, والله هو الذي يغفر الذنوب وهو الذي يقبل التوبة, وهو الرزاق ذى القوة المتين, اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت, ولا ينفع ذا الجد منك الجد,الناس فقراء إلى الله تعالى فهو الغني الحميد, فإنما عند الله لا ينال بمعصيته, إنما ينال ماعنده بطاعته,واتباع شرعه, واقتفاء أثر النبي ﷺ ,فلذا كان الإستغفار والتوبة والشكر والإيمان والتوكل من أسباب الرزق, لأن الله يحب هذه الأمور, يحب المؤمن الذي تمثّل بها ثم يراعاه ويحسن إليه إن الله مع الذين اتقووا والذين هم محسنين.والعلم عند الله تعالى.

السبب الخامس صلة الأرحام

أولا يجب على كل مسلم أن يعرف أن صلة الأرحام واجب,وهو من العهود التى أمر الله تعالى بالوفاء بها, وهو من صلة التى أمر المؤمنين بإيصالها, وقطعها من إفساد الأرض, قال سبحانه وتعالى: { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحاكمۨ أولئك الذين لعنهم الله

[168] تفسير ابن كثير{449/4}

فأصمهم وأعمى أبصارهم } سورة محمد 23} في هذه الاية الكريمة بيّن الله سبحانه وتعالى أن قطع الأرحام من فساد في الأرض, لأنه معصية الله تعالى, ومعصيته سبحانه وتعالى هي ارتكاب ما نهى الله عنه, وترك الامتثال أمره تبارك وتعالى وأمر رسوله ﷺ, وفي الآية أيضا أن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمي أبصارهم, ولما وصف الله تعال المؤمنين الذين يوفون بعهده وعهد رسوله وﷺ, ذكر أنهم يصلون ما أمر الله تعالى أن يوصل به كصلة الأرحام, ما يدل على أهمية ذلك الواجب الديني والأخلاقي, قال الله سبحانه وتعالى: { أفمن يعلم أنّما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب۝ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق۝ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب۝ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيّئة أو لئك لهم عقبى الدارّ۝ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب۝ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} سور رعد 19-23} في هذه الآيات الكريمات تشير أن هذه الأوصاف المذكورة فيها يكتمل إيمان العبد كلما إكتمل فيه هذه الأوصاف التى ذكرها الله تعالى, وهي من أهم ثمرات الإيمان : الوفاء بالعهد والمواثيق وصلة الأرحام وخشية الله تعالى وخوف سوء الحساب يوم القيامة, والصبر ابتغاء وجه الله, وإقام الصلاة وإنفاق المال سرا وعلانية, واتباع الحسنة بالسيّئة ,مثل إحداث التوبة بعد المعصية, هذه الأوصاف إذا اكتمل في المؤمن جنى بها ثمرات الإيمان ووجد بها حلاوة الإيمان ,

وذاق بها طعم الإيمان, وثبت عن النبي ﷺ في السنة التى هي مصدر الثاني في تشريع الأحكام ما يفسر ما في كتاب الله تعالى, وأخرج الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه في صحيحه قال: باب من وصل وصله الله- يعني من وصل رحمه وصله من حديث أبي هرير ولفظ له ولمسلم أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: { إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة, قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب, قال: فهو لك, قال رسول الله ﷺ , فاقرءوا إن شئتم: { فهل عسيتم إن تولّيتم أن

تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}[169] وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: { الرحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله}[170] قال القاضي رحمه الله تعالى: { والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها, وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم- قال لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة , قال : والآحاديث في الباب تشهد لهذا , ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض, وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام, ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة, فمنها واجب ومنها مستحب, لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا, ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلا, قال : واختلفوا في حد الرحم التى تجب صلتها, فقيل: هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتها, فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال, واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه, وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال, وقيل هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره, ويدل عليه قوله ﷺ{ ثم أدناك أدناك} هذا كلام القاضي وهذا القول الثاني هو الصواب }[171] ثم من ثمرات صلة الرحم أنه يزيد في الرزق والمال, من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم من حديث أنس مالك عن ابن شهاب قال: {{ أخبرني أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { من أحب أن يبسط له في رزقه, وينسأله في أثره فليصل رحمه} وعند إمام مسلم رحمه الله من حديث أنس بن مالك ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ{{ من سرّه أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه}[172] وقيل : إن معنى زيادة العمر ويبسط الرزق أن يبارك الله في عمر الإنسان ورزقه فيعمل في وقته ما لا يعمله غيره فيه, وقيل : إن معنى زيادة العمر وبسط الرزق على حقيقتها فيزيد الله في عمره ويزيد في رزقه ولا يشكل على هذا أن الأجل محدود, والرزق مكتوب فكيف يزاد؟ وذلك لأن الأجل والرزق على نوعين: أجل مطلق يعمله الله وأجل مقيد,

---

[169] أخرجه البخاري مع الفتح {469/10} رقم الحديث 5987} ومسلم مع النووي{90/8} وقم الحديث{ 2554}

[170] أخرجه مسلم مع النووي{10/8} رقم الحديث{2555}

[171] شرح صحيح مسلم{8/90-91}-

[172] أخرجه البخاري{469/10} رقم الحديث{5987}ومسلم {92/8} رقم الحديث{2557}

ورزق مطلق يعمله ورزق مقيّد , فالمطلق هو ما علمه الله أنه يؤجله إليه , أو ما علمه الله أنه يزرقه فهذا لا يتغيّر, والثاني يكون كتبه الله واعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب}[173]

وأخرج البيقهي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { ليس شيئ أطيع الله فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم, وليس شيء أعجل عقابا من البغي وقطيعة الرحم}[174] وله شاهد من حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:{{ من سرّه أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميته السوء فليتق الله وليصل رحمه} رواه عبد الله بن أحمد في زوائد على المسند وصححه أحمد شاكر وجود إسناده المنذري,[175] وله شاهد أيضا من حديث عقبة بن عامر ﷺ أنه قال لقيت رسول الله ﷺ فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي فقال: { يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك, ألا ومن أراد أن يمد له في عمره ويبسط في رزقه فليصل ذا رحمه}[176] وله شاهد أيضا عند الإمام أحمد رجاله ثقات من حديث عائشة رضي الله ﷺ: { صلة الرحم وحسن الجوار أو حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار}[177]وأخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إن الله ليعمّر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال, وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم, قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم لأرحامهم}}[178]

وأخرج إمام الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { إن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر}[179] وهذه النصوص في السنة تدل على أن من ثمرة صلة الرحم توسيع الرزق , وزيادة في العمر و محبة الأهل للواصل , وتثمير الأموال وتعمير الديار,ومن ثمرة صلة الرحم أنها تدفع ميتة السوء, وتعجل الثواب وغيرذلك,من الفوائد والمنافع.

---

173 مجموع فتاوي {8/517-540}
174 السنن الكبري للبيهقي{10/62}
175 الترغيب والترهيب {3/335} مجمعم الزوائد {8/152-153}-
176 أخرجه الحاكم في المستدرك {4/161} وسكت عنه الذهبي وذكره المنذري في الترغيب{3/342}-
177 أخرجه إمام أحمد في المسند{6/159} وجيد إسناده الجافظ في الفتح{10/415} والترغيب {3/337}
178 رواه الطبراني وإسناده حسن وجمع الزوائد{8/155}-
179 وصححه الألباني في صحيح الجامع {1/570}

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. والعلم عند الله تعالى.

السبب السادس من أسباب الرزق : النكاح

لقد جعل الله سبحانه وتعالى النكاح سببا لنيل الرزق كما جعل الأولاد سببا لنيل الرزق,فلذلك نهى الله تعالى قتلهم من خشية الفقر, فوعد رزق الأولاد والأباء معا, فالذي يحصنّ فرجه لزواج, لكي يبتعد عن محارم الله تعالى فإنه يتكفّل به ويكون له معينا ونصيرا قال الله تعالى:{{ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم} سورة النور 33}في هذه الأية الكريمة بيّنت أن النكاح الشرعي من أسباب تحصيل الرزق , ولابد أن يكون النكاح صحيح شرعا ,قال الإمام بن جرير الطبري رحمه الله تعالى: { يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم, ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم وإمائكم, والأيامى جمع أيّم, وإنما جمع الأيّم أيامى لأنها فعيلة في المعنى, فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ,- { وإن يكونوا فقراء} يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحون من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمامكم أهل فاقة وفقر, فإن الله يغنيهم من فضله, فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم, وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: أمر الله سبحانه بالنكاح , ورغّبهم فيه , وأمرهم أن يزوّجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى فقال: {إن

يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله} وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: {التمسوا الغنى في النكاح ,يقول الله:{ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}وقوله{ والله واسع عليم}يقو جلّ ثناؤه: والله واسع الفضل, جوّاد بعطاياه, فزوّجوا أياماكم , فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء {عليم} يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغني ,لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم}[180] قال القرطبي رحمه الله :{ وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضا الله واعتصاما من معاصيه, وقال عمر ﷺ : { عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح, وقد قال الله تعالى : { إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}[181] ولقد وعد الله تعالى من طلب الرزق بالنكاح أن يرزقه, إنه تعالى المعطي الواهب والرزاق قال في فتح البيان : { أي لا تمنعوا من تزويج الأحرار بسبب فقر الرجل والمرأة أو أحدهما مالا, فإنهم إن يكونوا فقراء يغنهم الله سبحانه ويتفضل عليهم بذلك, فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح, قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر,ولا يلزم أن يكون هذا حاصلا لكل فقير إذا تزوج فإن ذلك مقيد بالمشيئة, وقد يوجد في الخارج كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغنى إذا تزوجوا, وقيل المنعى أنه يغينهم بغنى النفس أي القناعة, وقيل المعنى إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنهم الله من فضله بالحلال ليتعففوا عن الزنا,والوجه الأول أولى ويدل عليه قوله سبحانه : { وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء } فيحمل المطلق هنا على المقيد هناك , وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزرج والرزجة }[182]{ وقوله:{ إن يكونوا فقراء} أي الأزواج والمتزوجين { يغنهم الله من فضله } فلا يمنعهم ما تتوهمون, من أنه إذا تزوج افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه, وفيه حث على التزوج,ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر,}[183] وأخرج الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف}[184]

---

[180] تفسير الطبري {275-274/17}
[181] تفسير القرطبي {241/12}
[182] فتح البيان في مقاصد القرآن{215/9}-
[183] تفسير السعدي {567/18}-
[184] أخرجه الترمذي في الجامع باب ماجاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم رقم الحديث 1655} وحسن الحديث الألباني في صحيح سنن الترمذي ص388}

وفي هذا الحديث الشريف بين النبي ﷺ أن هؤلاء الثلاثة المذكورون يعينهم الله تعالى ومنهم الذي يريد العفاف,{ والظاهر أن المتزوج الذي وعده الله بالغنى هو الذي يريد بتزويجه الإعانة على طاعة الله بغض البصر, وحفظ الفرج كما بين النبي ﷺ في الحديث الصحيح,

السبب السابع :الإنزال الفاقة على الله تعالى

من أسباب الجالبة الرزق الثقة بالله,وأن الأمر بيده تعالى وأنه هو مالك السموات والأرض وبيده الخير يؤتيه من يشاء, وأنه هو الذي يكشف الضر, وينشر رحمته, لذا إذا أصاب العبد فاقة فأنزلها على الله تعالى الكاشف الضر أغناه الله تعالى وجعل له مخرجا من كل ضيق وكرب, وإذا أنزلها على الناس لم يسد فقره ولايزال على فاقته, وأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ من أصابه فاقة, فأنزلها بالناس لم تسدّ فاقته, ومن أنزلها بالله أو شك الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل} ورواية الترمذي { من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم يسدّ فاقته , ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله , فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل}[185] هذا السبب له علاقة المتين بالثقة بالله تعالى, والتوكل عليه , وأن الله تعالى هو الذي يكشف الضر عن عباده, وصاحب الفاقة يجب عليها أن ينزلها على الله تعالى , لأن الله هو ربه خالقه, وخالق كل شيئ ,وهو الذي رزقه قبل الفاقة وهو يرزقه بعدها, ولا يستطيع كل من في السموات والأرض إذا نزلت فاقة على عبد أن يرفعوها عنه إلا بإذن سبحانه وتعالى,واعلم أن الأمة كلها لو اجتمعت على ترفعوا عنك بشيء لم ترفعوا عنك إلا من بعد أن يقضى الله ذلك, قال الله تعالى:{ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ويمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم} فاطر 2} الذي له متفاح الأرزاق هو خالقها, فإذا فتح لعبد باب رزق ليس هناك من يقدر على غفل باب رزقه ولهذا بيّن الأنبياء والرسل أنهم لا يملكون خزائن الله ,فهي بيده

[185] أخرجه أبوداود باب في الاستعفاف : رقم الحديث 1645} والترمذي باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبّها:{ رقم الحديث 2326} وحسن الألباني صحيح السنن الترمذي {526}

يبسط الرزق لمن يشاء, والعكس صحيح فهو الذي يمسكها عن عباده, فإذا مسكها عن عباده ليس هناك من يرسلها إلا هو , لذايجب على المسلم إنزال فاقته عليه سبحانه وتعالى, وهذا سبب عظيم في باب الرزق, قد يغفل عنه كثير من الناس اليوم, ترى إذا نزلت به فاقة أنزلها على الناس مباشرة , يجري وراء الناس على أبواب المساجد, والأسواق, وفي كل مكان يظن أنه يستطيع أن يسدّ فاقته,وينسى وعد ربه تعالى الذي يخلف له مصيبته خيرا إذا أنزلها عليه سبحانه, كما علم النبي ﷺ أصحابه والمؤمنين بعدهم, أن يسألوا الله تعالى الإخلاف في مصيبتهم خيرا,وكذلك أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رحمه الله تعالى من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ و﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: { إنّا لله وإنا إليه راجعون} اللهم أجرنى في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته,وأخلف له خيرا منها}}قالت فلما توفّي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ , فأخلف الله لى خيرامنه رسول الله ﷺ}[186] وإذا كان له هذه الثقة بالله سبحانه وتعالى, ثم سأل الناس بعد إنزالها على الله تعالى , وعلم يقينا أن كل شيء بقضاء الله وقدره, فإن ذلك لايعارض حديث قبيصة الذي سوف يأتي ذكره, أن المسألة لا تحلّ إلا ثلاث ومنها رجل أصابته الفاقة, لأن بعدما أنزلها على الله سبحانه وتعالى يجوز له الأخذ بالأسباب المشروعة له كالمسألة الناس حتى يجد قواما من عيشه,لأن الأخذ بأسباب التى أباحها الشريعة لا ينافي الثقة بالله تعالى, والتوكل عليه, وكذلك أن لا يتجاوز حد المشروع له في المسألة, لا كما نرى عند البعض إذا نزلت به فاقة يجعل ذلك حرفة له في التسوّل بين الناس حتى لو جد قواما من عشه, هو لا يزال في المسألة بعد الغنى , يتكثر به أموال فمن يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا, كما جاء فيه وعيدشديد عن النبي ﷺ أنه يأتي يوم القيامة ليس على وجهه لحمة, وإنما يكتثر النار ,وأخرج الإمام أبو داود رحمه الله تعالى:, من حديث عبد الله حوالة الأذري فقال لي: بعثنا رسول الله ﷺ لغنم على أقدامنا, فرجعنا فلم نغنم شيئا وعرف الجهد في وجوهنا, فقام فينا

[186] مسلم رقم{918}-

فقال: { اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم,ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم الحديث}[187] والله أعلى وأعلم

السبب الثامن: الإحسان إلى الضعفاء

فإن من أسباب الجالبة الرزق , الإحسان إلى الضعفاء والمساكين,فإن الله سبحانه وتعالى يرحم الرحمان الذين يرحمون خلق الله تعالى, وينعم عليهم بإحسانهم, فإن الله تعالى يرزق أهل بيت إذا كانوا يحسنون إلى ضعفائهم وفقرائهم, وأخرج الإمام أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جبير بن نفير الحضري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أبغوني الضعفاء, فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم}[188] وبيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن لاينظروا مجتمعات الإنسانية الضعفاء والمساكين, نظر الإحتقار والإستهزاء,وأنهم ليس لهم أيّ دور في مجتمعات الإنسانية إلا الإستهلاك فقط, وهم دائما وأبدا تحت رحمة الأغنياء, بل إنهم لهم دور مهمّ في نماء أموال المجتمعات,وفي استقرار الأرزاق, وأن الله تعالى يمن على المجتمع بسبب هؤلاء الضعفاء,الذين هم المتذللين الله تعالى غالبا بعبودية له تعالى, خلافا أكثر أهل الثراء, وبسببهم ينصرهم على عدوهم, فالذي يريد استقرار في رزقه فعليه بمساعدة الفقراء, قد يكون سبب اتلاف مال الغني إذا أهمل حق ضعفاء والمساكين في ماله كما في قصة أصحاب الجنة أنهم منعوا مساكين حقهم , حتى منعوهم دخلوهم في جنتهم, إذ كانوا اعتادوا ذلك في حياة أبيهم, فأهلك الله سبحانه وتعالى تلك الجنة, فأصبحوا محرومين عن ثمارها كما منعوها عن المساكين والضعفاء, فضيق الله عليهم رزقهم كما أرادو التضيّيق على المساكين رزقهم ,الجزاء من جنس العمل, إذن الإنفتاح على المساكين يساوي الإنفتاح الأرزاق على العبد, قال في العون : { وفي حديث النسائي زيادة تبين معنى الحديث, قال نبي الله ﷺ {{ إنما نصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاحهم وإخلاصهم}} ومعناه أن عبادة

---

[187] سنن أبي داود {2535} وأحمد {288/5} وصححه الحاكم في المستدرك{425/4} ووافقه الذهبي

[188] أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد رقم 2594} ص{523} والترمذي كتاب الجهاد باب ماجاء في الإستفتاح بصعاليك المسلمين والنسائي {3181} وابن حبان {1620} وصححه الألباني في الصحيحة رقم {779} و

الضعفاء ودعائهم أشد إخلاصهم لجلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وجعلوا همهم واحدا فأجيب دعاؤهم وزكت أعمالهم}[189]

هكذا شدة إخلاصهم لله تعالى وعدم التعلق بزينة الدنيا, وتقللهم فيها مع قلة رزقهم مستمسكون بدينهم وعبادة ربهم سبحانه وتعالى.

السبب التاسع: الهجرة في سبيل الله سبحانه وتعالى

الهجرة في سبيل الله تعالى يفتح باب الرزق أمام المسلم, لأن الله تعالي يرزقه بهجرته في سبيل الله تعالى مع الثواب الذي يكون له يوم القيامة, يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء في قلب سليم خالص لله في عبادته, والمراد بالهجرة : الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة}[190] إذا ترك المسلم بلدا لا يستطيع أن يقيم فيه شعائر التعبدية, لا يستطيع أن يلتزم فيه بسنة النبي ﷺ, وماكان عليه الصدر الأول من أصحاب رسول الله عليه وسلم وأئمة الإسلام, وهاجر إلى بلد يتمكن فيه عبادة الله تعالي, هو المجاهر ببدنه , ويكون هناك هجرة أخرى هي ترك محارم الله تعالى كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من قوله ﷺ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه} وإذا هجر المؤمن المعاصي والمنكرات والمحارم فتح الله تعالى عليه الزرق, لأن ما عند الله تعالى لا ينال بمعصيته, وقد يذنب العبد ذنبا فيقطع عنه الرزق حتى يرجع إلى طاعة الله ويترك المعصية, ولكن هذين الهجرتين لابد أن تكونا في سبيل الله تعالى حقيقة وإخلاصا, إذا قصد المهاجر إرضاء الله تعالى بإتباع شرعه ونشر دينه بين الناس كما يحب الله ذلك, ونصر عباد الله المؤمنين من عدويهم الشيطان والكفار, قال الله تعالى تعالى: { ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة} سورة النساء 100} وعد من الله تعالى من يخرج في سيبل الله مهاجرا يجد أمرين – مراغما كثيرا – وسعة, ومراغما: أن يجد المهاجر في أرض التى هاجر إليها من الخير والنعمة وحسن عبادة الله واتباع سنة نبيه ﷺ وما كان عليه سلف الأمة رضي الله عنهم , حتى

---

[189] عون المعبود{7/256-257}-

[190] المفرداة في غريب القرآن ص537}

يرغم الذين أخرجوه من بلده الأصلي , وكانوا عدوا له بعد ما سمعوا عن خيره وسعة النعم ما أنعم الله عليه مع توفيقه له بحسن عبادته, وإستقامة حاله في بلد أجنبية خجلوا ذلك ما كانوا عليه من سوء معاملتهم فرغمت أنوفهم لذلك,

والمراد سعة : السعة في الرزق قال بهذا عبد الله بن عباس ﷺ والربيع والضحاك وعطاء وجمهور علماء الأمة }[191] قال قتادة { المعنى: سعة من الضلالة إلى الهدى, ومن العيلة إلى الغنى}[192] وقال إمام مالك رحمه الله: { السعة سعة البلاد,قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:{ قول مالك –أشبه بفصاحة العرب, فإن بسعة الأرض, وكثرة المعاقل تكون السعة في الرزق, واتساع الصدور لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج} [193] ولما جاهر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة, وأصحابه رضي الله عنهم بعد ما تركوا أموالهم ودورهم ومتاعهم للهجرة, بعد فترة قليلة عوض الله لهم من أموال وخير وأمن ومتاع وسعة ما رغمت بها أنوف كفار قريش, بل أعطاهم الله كنوز العرب والعجم وملكهم,دات لهم جميع أمم الأرض, وأتاهم الأرزاق من كل مكان, فالهجرة الخالصة لله تجلب الرزق على العبد, لأنه ترك بلده لله تعالى, من ترك شيئا لله عوضه الله تعالى, الجزاء من جنس العمل, وعند الله تعال,خير وأبقى, وكدلك الإنفاق في سبيل الله من أسباب الجالبة الزرق, وتفريغ لعبادة الله تعالى ,ومتابعة الحج وعمر فإنهما ينفيان الفقر والذنب كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة,وغير هذه الأسباب هنا وناظر إلى النصوصين الكتاب والسنة يجد أسبابا غير ماذكر هنا.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والله أعلم,

[191] زاد المسير{179/2}-
[192] تفسير القرطبي {348/5} وتفيسر ين كثير{ 597/1}
[193] المصدر السابق-

الفصل الأول:
المبحث الأول: فتنة حب الشهوات
المبحث الثاني: قارون وماله,
المبحث الثالث: أصحاب الجنتين
المبحث الرابع :فتنة أصحاب الجنة,
المبحث الخامس:ابتلاء أهل القرية بسلب النعمة.
المبحث السادس: ثلاثة الذين أغناهم الله بعد الفقر والمرض.
المبحث السابع: بيع الحرام

الفصل الأول

المبحث الأول:

المبحث الأول: فتنة حب الشهوات:

إن المسلمين ينشغلون عن دينهم وعن طاعة الله سبحانه وتعالى لأجل زينة الحياة الدنيا ,قال شيخ الألباني رحمه الله تعالى: ثم ذكر النوع الثاني من الأشياء التي يشترك الناس كلهم في معرفة مخالفتها للشريعة, فقال: {{ إذا تبايعتم بالعينة, وأخذتم أذناب البقر , ورضيتم بالزرع}} انشغلتم بالسعي وراء حطام الدنيا, وتحصيل الرزق باسم أن الله عزوجل أمرنا بالسعي وراء الرزق, فيبالغ المسلمون في سبيل ذلك, وينسون ما فرض الله عليهم ,ويلتهون بالسعي وراء الزرع والضرع , وما شابه ذلك من المكاسب, فينسيهم ذلك ما فرض الله عليهم من الواجبات }}[194] وقد بين الله سبحانه في كتابه العزيز أن شدة حب البقر والزرع وغيرها من الزينة للناس,فتشغلهم حتي يصل إلى مرحلة تقديم هذه متاع حياة الدنيا على طاعة الله كليا, وحتي تكون سببا للذل والهوان في الدنيا والعذاب الأليم عندالله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم, ويقول الله عز وجلّ في سورة آل عمران :{{ زيّن للناس حب الشّهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب}} {14} آل عمران قال القاسمي رحمه الله تعالى{{ تنبيه في تزيين هذه الأمور المذكورات للناس إشارة لما تضمنته من الفتنة: فاما النساء ففي الصحيح أنه ﷺ قال: {{ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء}}[195] - أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ- وأما البنون ففي مسند أبي يعلى عن أبي سعيد مرفوعا: {{ الولد ثمرة القلب , وإنه مجبنة مبخلة محزنة}} وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال فيه عطية العوفي وهو ضعيف قلت ولكن له شواهد عن الأشعث بن قيس عند أحمد والطبراني في الكبير والحاكم وصححه وهوحسن بشواهده'

أن الولد يجبن أبوه عن الجهاد خوف ضيعته , ويمتنع أبوه من الإنفاق في الطاعة خوف فقره, ويحزن أبوه لمرضه خوف موته: وقال الله تعالى : {{ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فأحذروهم}} التغابن{14} وأما القناطر المقنطرة ففيها الآية قبل وقوله تعالى: {{ كلا إن الإنسان

---

[194] التصفية والتربية ص11}-

[195] أخرجه البخاري رقم {5096} وأبو يعلى في مسنده {1032} ولبزار {1892} مجمع الزوائد {13478/8} أحمد في المسند{1899/8} في الكبير رقم {646} في المستدرك {7596/4}-

ليطغىّٰ أن رّاه استغنى}} العلق{6-7} {{ إذا أنعنا على الإنسان أعرض ونئا بجانه}} الإسراء{83} فما يورث البطر مثل الغنى. وبه تستجمع أسباب السؤدد والرئاسة والمجد والتفاخر.

وأما الخيل, فقد تكون على صاحبها وزرا: إذا ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام, كما في الصحيح أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ,وأخرجه أحمد والشاشي والبيهقي وإسناده صحيح من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا: {{ الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن , وفرس للإنسان , وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله , فعلفه وروثه وبوله في ميزانه, وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه, وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي تستر من الفقر}}[196] قد اختلف العلماء في هذه الآية عن المزين لهذه الشهوات,{وإذا قيل : زيّن الله , فمعناه بالإيجاد والتهيئة للانتفاع , وإنشاء الجبلّة على الميل إلى هذه الأشياء. وإذا قيل: زيّن الشيطان فمعناه: بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوهها , والآية تحتمل هذين النوعين من التزين , ولا يختلف مع هذا النظر. وهذه الآية على كلا الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس}[197] بدأ الله تعالى في هذه الآية بالنساء لأنهن كل هذه الفتن قد تحصل بسببهن . قال إمام القرطبي رحمه الله تعالى في التفسير الآية : { بدأ بهنّ لكثرة تشوّف إليهنّ , لأنهنّ حبائل وفتنة الرجال. قال رسول الله ﷺ : { ما تركت بعدي فتنة أشّد على الرجال من النساء [198] ففتنة النساء أشدّ من جميع الأشياء. ويقال : في النساء فتنتان , وفي الأولاد فتنة واحدة. فأما اللتان في النساء فإحداهما أن تؤدّي إلى قطع الرحم , لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمّهات والأخوات. والثانية يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام , وأما النبون فإن الفتنة فيهم واحدة وهو ابتلى بجمع المال لأجلهم.[199] وهذه الزينة إذا كان سببا لتضيع حقوق الله وحقوق الأسرة , وكان طريقا إلى إرتكاب المعاصي وتحيل على محرمات الشريعة. وتعدي لحدود الله تعالي كان سبب ذل

---

[196] صحيح البخاري {2371} ومسلم {978} في المسند{3756} محاسن التأويل {2/672-673}وصحيح الجامع تحيق الألباني{3350} والشاشي{832} والبيهقي{21/10}
[197] المحرر الوجيز {171/3}
[198] أخرجه البخاري ومسلم
[199] تفسير القرطبي {29/4}

المسلم , لأنه شغله عما خلق من أجله الذي هو تحقيق عبودية لله تعالى وحده لاشريك له, الذي له الملك و له الحمد وهو على كل شيئ قدير. أخرجه إمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الحرث والمزارعة: باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحدّ الذي أمربه}} أخرج إمام البخاري من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ ورأي سكّة وشيئا من آلة الحرث ,فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {{ لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل}} [200]قال الحافظ رحمه الله وقد أشار البخاري بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث الماضي- أي حديث أنس- في فضل الزرع والغرس وذلك بأحد أمرين: إما أن يحمل ما ورد من الذم على عاقبة ذلك ومحله ما إذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه , وإما أن يحمل ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه.}[201] قلت تضيع حق الله تعالى وهو أن كثير منهم لايؤدون حق الله من الزكاة , وصلة الأرحام واطعام المساكين ,فيما يحصلونه من المزروعات وكذلك كثير منهم لا يتركون العمل في حقله لأداء الصلاة في وقتها, وأكثر هم عندنا يزرعون ثم يصلون بعد خروج وقتها.وذكر شيخ الألباني رحمه الله تعالى أن علماء المسلمين جمعوا بين الحدثيين :

الأول: أن المراد بالذل ما يلزمهم من حقوق الأرض التى تطالبهم بها الولاة من خراج أو عشر ,فمن أدخل نفسه في ذلك فقد عرضها للذل ,قال المناوي في الفيض : ليس هذا ذما للزراعة , فإنها محمودة مثاب عليها, لكثرة أكل العوافي منها إذ لا تلا زم بين ذل الدنيا وحرمان ثواب البعض . ولهذا قال ابن التين :{ هذا من إخباره ﷺ بالمغيّبات, لأن المشاهد الآن أكثر الظلم إنما هو على الحرث ,

الثاني: أنه محمول على من شغله الحرث والزرع عن القيام بالواجبات كالحرب ونحوه ,وإلى هذا ذهب البخاري , حيث ترجم للحديث بقوله : {باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع , أو مجاوزة الحد الذي أمر به : فإن من المعلوم أن الغلوّ في السعي وراء الكسب يلهي صاحبه عن

---

[200] البخاري رقم {2321}
[201] فتح الباري {7/5}

الواجب , ويحمله على التكالب على الدنيا ,والإخلاد إلى الأرض , والإعراض عن الجهاد كما هو مشاهد من الكثيرين من الأغنياء}[202]قال إمام القرطبي رحمه الله قال المهلب رحمه الله: معنى قوله في هذا الحديث – والله أعلم- الحض على معالي الأحوال وطلب الرزق من أشرف الصناعات, وذلك لما خشي النبي ﷺ على أمته من الاشتغال بالحرث وتضييع ركوب الخيل والجهاد في سبيل الله , لأنهم إن اشتغلوا بالحرث , غلبتهم الأمم الراكبة للخيل المتعيشة من مكاسبها, فحضهم على التعيّش من الجهاد, لا من الخلود إلى عمارة الأرض . قال: قال العلماء : ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال, كلّ نوع من المال يتموّل به صنف من الناس, أما الذهب والفضة فيتموّل بها التجار, وأما الخيل المسومة فيتموّل بها الملوك, وأما الأنعام فيتموّل بها أهل البوادي, وأما الحرث فيتموّل به أهل الرساتيق, فتكون كل صنف فتنته في النوع الذي يتموّل, فأما النساء والنبون فتنة للجميع}}[203] قال شيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:{{ فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات, تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم, وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

قسم: جعلوها هي المقصود, فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها, فشغلتهم عما خلقوا لأجله وصحبوها صحبة البهائم السائمة يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها ولا يبالون على أي: وجه حصلوها, ولا فيما أنفقوها وصرفوها, فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب , والقسم الثاني : عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاءا وامتحانا لعباده, ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته, فجعلوها وسيلة لهم وطريقا يتزودون منها لآخرته, ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم وعلموا أنها كما قال الله فيها {{ ذلك متاع الحياة الدنيا}} فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة}}[204] قلت هم الذين شكروا الله تعالى

---

[202] السلسلة الأحاديث الصحيحة {42/1}
[203] تفسير القرطبي {56-55/5}
[204] تفسير السعدي {124/3}

على نعمه وأطاعوا الله فيها بالإنفاق في أوجه الخير وفي مرضات الله فجوزوا خيري الدنيا والأخرة. قال شيخ الألباني رحمه الله تعالى: فتأمل كيف بيّن هذا الحديث ما أجمل في حديث أبي أمامة المتقدم قبله؟ فذكر أن تسليط الذل ليس هو لمجرد الزرع والحرث , بل لما اقترن به من الإخلاد إليه , والانشغال به عن الجهاد في سيبل الله , فهذا هو المراد بالحديث , وأما الزرع الذي لم يقترن به شيئ من ذلك , فهو المراد بالأحاديث المرغبة في الحرث .}[205] وأخرج إمام البخاري والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا: { لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا}[206]قال الألباني رحمه الله تعالى : قال القرطبي رحمه الله تعالى:يجمع بينه وبين حديث الباب بحمله حديث الباب على اتخاذها للكفاف أو لنفع المسلمين بها وتحصيل توابعها}} ثم واعلم أن هذا التكثر المفضي إلى الانصراف عن القيام بالواجبات – التي منها الجهاد في سبيل الله - هو المراد بالتهلكة المذكورة في قوله تعالى: { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} خلافا لما يظن كثير من الناس ![207] ويشير شيخ الألباني رحمه إلي سبب نزولها ما أخرجه إمام أبوداود والنسائي وابن أبي حاتم وابن حبان و الحاكم من حديث أسلم بن عمران :{{ غزونا من المدينة نريد القسطنطينية { وعلى أهل مصر عقبة بن عامر } وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد , والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة , فحمل رجل {منّا} على العدوّ ,فقال الناس : مه مه!لاإله إلا الله ! يلقي بيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيّوب الأنصار: إنما تأوّلون هذه الآية هكذا , أنّ حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة , أو يبلي من نفسه !} إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار , لما نصر الله نبيه , وأظهر الإسلام , قلنا بيننا خفيّا من رسول الله ﷺ : هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها , فأنزل الله تعالى: { وأنفقوا في سيبل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } البقرة{190} فالإلقاء بالأيدي : أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيّوب يجاهد في سيبل الله حتّى دفن بالقسطنطنينة}[208] في هذا الحديث

---

[205] السلسة الأحاديث الصحيحة {1:/44}

[206] البخاري في التأريخ وأحمد {2589} وحسنه الترمذي وأقره النووي وقال الحاكم صيح الإسناد ووفقه الذهبي ووافقهما الألباني { السلسة }{46/1} {54/2/2} والترمذي{264/4} وأبو الشيخ في الطقات {298} وأبو يعلى في مسنده {1/251} وابن حبان {2 371}

[207] السلسلة الأحاديث الصحيحة {46/1}

[208] أبو داود في سننه {393/1} والنسائي في الكبري{1029/299/6} وابي حاتم في تفسيره {2/10/1/ وذكره الألباني في الصحيحة {48/1}

بيان بأن السعي وراء إصلاح الأموال والحرث والزرع حتى تلهيه عنما خلق لأجله, الذي هو عباد ة الله تبارك وتعالى , وإخلاص العبودية له, فإن ذلك يؤدي إلى الذل والهوان والتهلكة في حياة الدينا والآخرة , وكل هذه شهوات المزينة إذا حالت بين العبد وبين عبادة ربهم , وانقياد له سبحانه وتعالى ونشر دينه والإلتزام بشريعته , ومتابعة رسوله ﷺ . فإنه نقمة له وابتلاء وفنتة,ثم هو ينفق هذا المال في معصية ربه سبحانه الذي وهبه المال , المتصرف في شؤون عباده, فيزداد خسرانه في الآخرة ويكون من الخاسرين,قال الله تعالى: {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاۚ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صعناۚ سورة الكهف {103}

المبحث الثاني:
قارون وماله :

لقد ذكرلنا كتاب الله سبحانه وتعالى , الذي هو القرآن الكريم , الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه, تنزيل من حكيم حميد, بالعبد الذي أعطاه الله مالا كثيرا, ولكنه ماله ألهته عن ذكر الله تعالى وشكره نعمه سبحانه وتعالى, بل جعل ما رزقه الله من مال حربا على أوليائه , وصدا عن دينه , ونشرا للمحرمات - وعصيانا من بيده ملكوت السموات والأرض ,- بين الناس , واتخذ ما رزقه الله تعالى تكبرا وعلوا على الفقراء والمساكين , وتفاخرا بين بني جنسه, قال الله سبحانه وتعالى:{إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وءاتيناه من الكنوز ماإنّ مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين۝وابتغ فيما ءاتاك الله الدّار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين۝قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو

أشدّ منه قوّة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمين۝فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظ عظيم ۝وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ولا يلقها إلا الصابرون۝فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله تعالى وماكان من المنتصرين ۝وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله يبسط الزرق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون۝تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} القصص {76-82}

في هذه القصة نستفيد منها:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى أعطا قارون مالا كثيرا ولكثرة أمواله سخر الله له من يخدمه , وكان بجب عليه أن يشكر نعمة ربه تعالى , , ويخضع لله سبحانه وتعالى بل كان يفرح فرحا يصحب معه التفاخر والتكبر والتعالي على المساكين والضعفاء , مما أوجب غضب الله تعالى عليه وألقى نفسه إلى التهلكة , قال بن عطية رحمه الله تعالي : فهو بإجماع رجل من بني إسرائيل , كان ممن آمن بموسى وحفظ التوارة , وكان من أقرأ الناس بها , كان عند موسى من عبّاد المؤمنين , ثم لحقه الزهو والإعجاب, فبغي على قومه بأنواع من البغي , وكان من بغيه أنه زاد في ثياب الناس , قاله شهربن حوشب إلى غير ذلك مما يصدر عمن فسد اعتقاده, وكان من أعظم الناس مالا . وسميت أمواله كنوزا إذ كان ممتنعا من أداء الزكاة .وسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أول عداوته}[209] قلت كأن ابن عطية رحمه الله يشير إلى قول عبد الله بن عمر ﷺ أن الكنز هو كل مال لم يخرج فيه الزكاة. قال إمام القرطبي رحمه الله تعالى تفسير قوله تعالى: { فبغى عليهم} زاد في طول ثوبه شبرا , قاله شهر بن حوشب , وفي الحديث {{ لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطرا}} وقيل كفره بالله عز وجل قاله الضحاك , وقيل : بغيه استخفاف بهم بكثرة ماله وولده , وقيل بغيه

[209] المحرر الوجيز{6/608-609}

نسبه ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته , والبغي هو الظلم,[210] قال في تفسير اللباب : واعلم أنه كان في قومه من وعظه بأمور: أحدها: قوله : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين , وقرى الفارحين – حكاها عيسى الحجازي – المراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدينا مايلهيه عن أمر الآخرة , قال بعضهم : إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها, وأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح . وما أحسن قول المتنبي:

أشدّ الغم عندي في سرور　　　　تيقّن عنه صاحبه انتقالا

قال ابن عباس : كان فرحه ذلك شركا , لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى,قلت كل هذه الأقوال صحيح – أنه ظلم المساكين لعدم اعطاء حقهم , وأنه أضاف إلي نفسه فهذا ظلم لأنه وضع شيئ في غير مكانه, ومكانه الصحيح أن يضيف المال إلى الله تعالى , وأنه بغى عليهم بالكثرة ماله وأولاده , وأنه زاد الإنفاق على قومه بزيادته في الملابس .

ثالثها: :{ولا تنس نصيبك من الدينا} قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة , قال السدّي : بالصدقة وصلة الرحم , وقال علي ألاّ تنسى صحتك وقوة شبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة , قال عليه الصلاة والسلام لرجل وهو يعظه : {اعتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك, وصحتك قبل سقمك , وغناك قبل فقرك , وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك} وقوله : {{ وأحسن كما أحسن الله إليك} } أي إحسانا كإحسانه إليك , أي أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته , وقيل : أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك , وقيل إنه لما أمره بالإحسان بالمال أمره بالإحسان مطلقا, يدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن للقاء, ولا تطلب الفساد في الأرض , وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض , وقيل المراد ماكان عليه من الظلم والبغي ,[211] قلت هذه الأموال زاد له لو أحسن تصرف فيها إلى دار الآخرة.

---

[210] تفسير القرطبي {311/13}

[211] اللباب في التفسير{292-290/15}

الثالث: أن أهل الفضل والتقوى, الذين رأووا أن ما عند قارون من أموال وحاشية , إنما هي ابتلاء وامتحان له ونصحوه في ذلك أنّ لا يمرح , ولا يفرح ولا يتعالى على عباد الله سبحانه وتعالى ,فإن هذه الأمور مما لا يحبه الله تعالى ,ولا يرضي لعباده الكفر ,بل يشكره تعالى, و ينبغي أن يكون متواضعا لله شاكرا له على ما أعطاه, وألا ينس نصيبه فيما أتاه الله من التمتع بها في حدود المشروع , وأن يخرج من هذا المال ماهو حق لله تعالى فيه, ولا ينس ما يدخّره لنفسه يوم القيامة , يوم رجوعه إلى الله سبحانه وتعالى , في ذلك اليوم لاينفع مال إلا لمن سخّره في طاعته ومرضاته, ممكن أن تفعل ذلك قبل فوات الآوان , وكأن لسان حالهم يذكرونه بقوله سبحانه وتعالى{ ياأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون۝ وأنفقوا من مارزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين۝ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون }[التغابن 8-10] و هؤلاء أهل الفضل والتقوى والعلم كأنهم يقولون لقارون أن كل ما في هذه الحياة زائل , وأنما زينتها وشهواتها قد تلهي وتنسي العبد عن طاعة الله تعالى , واتباع شرعه ,وأن كلما في هذه الدنيا لا تبقى لأحد, اغتم بما رزقك الله في طاعته ,قال الله سبحانه وتعالى: { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كما مثل غيث أعجب الكفار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وماالحياة الدنيا إلا متاع الغرور}[الحديد: 20] ياقارون ليس لك من مالك إلا ماأكلت فأفيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت إذن فلا تنس نصيبك في الدنيا وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة وأحسن إلى خلق الله تعالى كما أحسن الخالق الواهب الرازق إليك , فأعبده في ماله تعالى ,ولا تطلب الفساد بماله في الأرض, ولا تنفقه فيما حرمه الله تعالى , واعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد ولا يرضي عن المفسدين ,الذين يفسدون في الأرض , ولا يصلحون فإن عاقبة المفسد في الأرض إلى عذاب شديد وخزي شديد في الدارين, الدنيا والآخرة .وقال إمام بن كثير رحمه الله تعالى: {{وعظه فيما هو فيه صالحوا قومه , فقالوا على سبيل النصح , والإرشاد : لا تفرح بما أنت فيه يعنون : لا

تبطر بما أنت فيه من المال{إن الله لا يحب الفرحين} قيل: يعني المرحين, وقيل يعني: الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك , والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدينا والآخرة . ولا تنس نصيبك من الدينا, أي مما أباح فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح , فإن لربك عليك حقا , ولنفسك عليك حقا ولأهل عليك حقا , ولزورك عليك حقا , فآت كل ذي حقّ حقه . أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك , لا تكن همّتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض وتسيئ إلى خلق الله { إن الله لا يحب المفسدين}[212]

. قال ابن عطية رحمه الله تعالى: ونهوه عن الفرح المطغي , الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشرّ وإعجاب, و{ لايحب } – في هذا الموضع – صفة فعل لأنه أمر قد وقع فمحال أن يرجع إلى الإرادة , وإنما هو لا يظهر عليهم بركته, ولا يهبهم رحمته, ثم وصّوه بأن يطلب بماله رضى الله وآخرته , وقولهم: { ولا تنس نصيبك من الدنيا} اختلف المتأولون فيه- فقال ابن عباس ﷺ – والجمهور : منعاه : لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملا صالحا في دنيا , إذ الآخرة إنما يعمل لها في الدنيا , فنصيب الإنسان عمره ,وعمله الصالح فينبغي ألا تهمله.فالكلام كله- على هذا التأويل –شدّة في الموعظة , قال الحسن وقتادة : معناه : ولا تضيع حظك أيضا من دنياك في تمتعك بالحلال بطلبك إياه , ونظرك إلى عاقبة دنياك. وهو في الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه, وهذا مما يجب استعماله مع الموعظة خشية النبوة من الشدّة . قال الحسن : معناه : قدم الفضل وأمسك ما تبلغ به , وقال: هو الأكل والشرب بلا سرف, وحكى الثعلبي أنه قيل أراد بنصيبه الكفن, قال أبو محمد رحمه الله تعالى: وهذا وعظ متصل كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن , ونحو هذا القول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كلّه   رداءان تلوى فيهما وحنوط ,

---

[212] صحيح تفسير بن كثير{447/3}

وأمر بصلة المساكين وذوي الحاجة,}[213] قلت قد يضيع عمر الإنسان في ملذات الدنيا وشهواتها وينسى دار الآخرة , وما أعده الله لعباده المؤمنين فيها,فيقع في التهلكة بماله الذي افتتن به , وعندي ليس هناك اختلاف لأن كفن المؤمن تعبير عن عمله الصالح في الدنيا ,والذي يجمع المال لدينا فقط , ولا يجمعه لانفاقه أيضا ليوم يكفن ,و يلف في كفنه كأنما نسي شراء الكفن في الدنيا. وفي تفسير القرطبي رحمه الله تعالى : {إذ قال له قومه } أي المؤمنون من بني إسرائيل – لا تتأشر ولا تبطر { إن الله لا يحب الفرحين} أي البطرين قال الزجاج : المعنى لا تفرح بالمال فإن الفرح بالمال لا يؤدّي حقه ,اطلب فيما أعطاك الله من الدينا الدار الآخرة وهي الجنة, فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي قال ابن العربي : وأبدع ما فيه عندي قوله قتادة : ولا نتس نصيبك الحلال . فهو نصيبك من الدنيا [214]

الرابع: بعد هذه النصحية الطبية المباركة من أهل العلم والتقوى إلي قارون ,لم يأخذ بنصيحتهم, بل تكبر وتجبّرو وأضاف كسب المال إلى حنكته, إنما حصلت هذا على علم عندى بمعرفة بوجوه الكسب , وعند ي خبرة في طرق تحصيل المال, قال بن عطية : { لمّا وعظه قومه وندبوه إلى اتقاء الله تعالى في المال الذي أعطاه تفضلا منه عليه , أخذته العزة بالإثم فأعجب بنفسه , وقال لهم على جهة الردّ عليهم والروغان مما ألزموه فيه ′{ إنما أوتيته على علم عندي } فقال الجمهور منهم : إنه ادعى أن عنده علما استوجب به أن يكون ذلك النعيم له وكذلك المال, قال أبو سليمان الداراني : أراد العلم بالتجارات ووجوه تمييز المال, فكأنه قال : أوتيته بإداركي وبسعي , قال اين زيد وغيره : إنما أراد أوتيته على علم من الله تعالى , وتخصيص من لدنه قصدني به , فلا يلزمني فيه شئ مما قلتم , ثم جعل قوله {عندي} كما تقول : { في معتقدي وعلة ما أراه} [215] وهو القول لدي كثير من طالبي الأموال, إنما جهدت في طلب هذا المال ولولا جهدي لما وجدت المال , وكذلك بالمشقة والتعب والذكاء وجدت هذا المال وكان النبي ﷺ يقول بعد كل دبر كل صلاة المكتوبة:{{ لاإله إلا الله وحده

---

[213] المحرر الوجيز {6/612-613}
[214] تفسير القرطبي {13/313-214}
[215] المحرر الوجيز{6/613-614}

لا شريك له , له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير, اللهم لا مانع لما أعطيت , ولا معطي لما منعت و ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ}}[216] وفي اللباب قال: قال:{ إنما أوتيته على علم عندي }أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره }[217] ولم يعلم أنه وجد في أمم السالفة قبله من هو أكثر منه مالا وأعلمه علما بطرق كسبه وبحيلة لجمعه , وأقوي منه وأشدّ منه ,لكن لما كفر بالله العظيم , ولم يشكره على نعمه الكثيرة, فلم يكن له فئة ينصرونه من الله فأهلكهم الله سبحانه وتعالى ,ينبغي أن يكون ذلك عبرة له , ولكن نكص على عقبيه فلم يكن من الشاكرين وذكر إمام ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره الأية :وعلى كلا الاحتمالين معا فقد نبّه القرآن على خطئه في اغتراره وعارض منزعه بأن من معلومات الناس المتحققة عندهم أن الله تعالى قدأهلك من الأمم والقرون والملوك من هو أشدّ من قارون وأكثر جمعا , إما للمال أو للحاشية}[218] ,وخرج في أتم زينة -حتى اغتر به الجهلة والأغمار من الناس -تفاخرا وخيلاء ,وفسادا في الأرض فكان من المهلكين' فخسفه الجبار المنتقم بداره في الأرض هو يجلجل به الأرض, هل نصره ماله أو خدمه من بأس الله تعالى. قال ابن كثير رحمه الله تعالى : { يقول تعالى مخبرا عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمّل باهر , من مراكب وملابس عليه , وعلى خدمه وحشمه , فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي , لما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الأخرة خير مما ترون . كما جاء في الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ,ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر, واقرءوا إن شئتم : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون } السجدة{17} [219] لما ذكر الله تعالى اختيال قارون في زينته , وفخره على قومه وبغيه عليهم عقّب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض , كما ثبت في الصحيح عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: {{ بينما رجل

---

[216] أخرجه البخاري {255/1} ومسلم {414}
[217] اللباب {292/15}
[218] المرجع السابق=
[219] البخاري {3244} ومسلم {2824}

يجر إزاره إذ خسف به , فهو يجلجل في الأرض إلى يوم القيامة}[220] ما أغنى عنه ماله ولا جمعه , ولا خدمه وحشمه , ولا دافعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله به , ولا كان هو في نفسه منتصرا لنفسه , فلا ناصر له من نفسه ولا غيره. }[221] قلت جاء بعض الأحاديث عن النبي ﷺ ما يدل أن البغي مما يعجل الله عقوبته على الباغي , أخرج الإمام البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبغوي وعبد الله من حديث أبي بكر مرفوعا عن النبي ﷺ : {{ ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا –مع مايدخر له في الآخرة – من البغي وقطيعة الرحم }} قال الترمذي حديث حسن صحيح , قال الحاكم صحيح الإسناد.وفي رواية : {{ ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة- مع ما يدخر له في الآخرة – من قطيعة الرحم والخياية والكذب, وأن أعجل البر ثوابا الصلة الرحم, حتى إن أهل البيت ليكونون فقراء فتنموا أموالهم, ويكثر عددهم إذا تواصلوا}}[222] وأخرخ البزار من حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ: {{ بينما رجل في حلة له , وهو ينظر في عطفيه إذ خسف الله به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة}}[223]قال في اللباب : { دلت الآية على أنه خرج بأظهر زينة وأكملها , وليس في القرآن إلا هذا القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة , والأولى ترك هذه التقديرات لأنها متعارضة , ثم إن الناس لمّارأوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب في الدنيا : {{ ياليت لنا مثل ماأوتي قارون إنه لذو حظ عظيم }} من الحال , وهؤلاء الراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار , وأن يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدينا , فأما الذين أوتوا العلم – وهم أهل الدين – قال بن عباس : يعني الأحبار بني إسرائيل , قال مقاتل : أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة , فقالوا أي ما عند الله من الجزاء والثواب { خير لمن آمن } وصدّق بتوحيد الله وعمل صالحا , لأن للثواب منافع عظمية خالصة عن شوائب

---

[220] البخاري {5790}

[221] تفسير ابن كثير{ 448/3-449}

[222] أخرحه البخاري في الأدب المفرد{12} وأبوداود في السنن{301/2-302} والترمذي{83/2} وابن ماجه{552/2} وابن حبان رقم {2039} والحاكم {306/2-}وابن المبارك في الزهد{724} والرواية الثانية قال عنه في المجمع {152/8} رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن موسي بن أبي عثمان الأنطاكي لم أعرفه وبقية رجاله تقات وصححه شيخ الألباني في سلسلة الصحيحة {588/2}

[223] مسند البزار {170} وصححه الألباني في السلسلة:{11/4} رقم الحديث:{1507}

المضار دائمة .وهذه النعم على الضدّ في هذه الصفات }[224]قال ابن عطية رحمه الله تعالى: ثم أخبر تعالى أن قارون خرج على قومه , قدأظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا , وأخبر تعالى عن الذين أوتو العلم والمعرفة بالله تعالى ,وحق طاعته والإيمان به أنهم زجروا الأغمار الذين تمنواحال قارون , وحملوهم على طريقة المثلى من أن النظر والتمنّي إنما يكون في أمورالآخرة , وأن حال المؤمن العامل الذي ينتظر ثواب الله خير من حال كل ذي دنيا, ثم أخبر تعالى عن هذه النزعة وهذه القوة في الخير في الدين أنه لا يلقّاها أي : لا يمكّن منها ويخوّلها إلا الصابر على طاعة الله عز وجلّ , وعن شهوات نفسه , وهذا هو جماع الخير كله}[225] في هذه القصة تدل على المال إذا لم يسخر صاحبه فيما أمره الله تعالى ورسوله ﷺ ,ولم يصنه عما نهي الله تعالى عنه ورسوله ﷺ يلبس الله صاحبه التعاسة والإزهاق في الدينا ويوم القيامة العذاب الأليم لما ضيعه في ماله من حق الله تعالى فيه.,كانت قصة قارون عبرة للناس في طلب المال وكيفية انفاقه , وإسناده إلى الواهب الله سبحانه, وإنما جعل الله سبحانه وتعالى الدار الآخرة للذين يتواضعون له سبحانه ولخلقه وهم الذين يتقون الله سبحانه بفعل ما أمر به وترك ما نهي الله عنه, ومما رزقهم ينفقون في وجوه الخير قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: { وتلك الدار الآخرة ,} يعني ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لشأنها . يعني تلك التى سمعت بذكرها, وبلغك وصفها{ نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض }} أي رفعة وتكبرا على الإيمان والمؤمنين { ولا فسادا } عملا بالمعاصي, قال عكرمة ومسلم البطين : الفساد أخذ المال بخير حق, قال أبو معاوية : الذي لايريد علوّا هو من لم يجزع من ذلّها , ولم ينافس في عزها, وأرفعهم عند الله أشدّهم تواضعا, وأعزّهم غدا ألزمهم لذّل اليوم , ذكر إسماعيل بن أبي خالد قال: مرّ علي بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسرا لهم ,فسلّم عليهم فدعوه إلى طعامهم , فتلا هذه الآية { تلك الدار الآخرة --- الأية} ثم نزل و أكل معهم .ثم قال: قد أجتبكم فأجيبوني, فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم. وقيل : لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب . والمراد إنما ينتفع بتلك الدار من اتقى , إن لم يتق

---

[224] للباب {15/ 294}
[225] المحرر الوجيز{6/615-616}

فتلك الدار عليه لا له لأنها تضره ولا تنفعه.[226] قال إمام ابن كثير رحمه الله تعالى: { يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول , جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوّا في الأرض , أي ترفعا على خلق الله ' وتعاظما عليهم وتجبّرا بهم , وفسادا فيهم , والفساد : أخذ المال بغير حق,}[227]

[226] تفسير القرطبي {320/13}
[227] صحيح تفسير ابن كثير{ 451-450/3}

المبحث الثالث
أصحاب الجنتين

لقد بينّ الله سبحانه وتعالى, في القرآن الكريم ماجري لأصحاب الجنتين , وما دار بينه وبين صاحبه المؤمن , وما كان نهاية ما رزقه , قال الله تعالى: {{ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحد هما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا۝كلتا الجنّتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجّرنا خالهما نهرا۝وكانت له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا۝ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظنّ أن تبيد هذه أبدا۝وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رّددت إلى ربّى لأجدنّ خيرا منها منقلبا۝قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّك رجلا۝لكنّا هو الله ربى ولا أشرك بربي أحدا۝ولولا إذ دخلت جنّتك قلت ما شاء الله لا قوّة إلا بالله إن ترن أنا أقّل منك مالا وولدا۝فعسى ربّى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا۝أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا۝وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربّى أحد۝ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وماكان منتصرا۝هنالك الولاة لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا۝واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان على الله كل شيئ مقتدرا۝المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرا عند ربّك ثوابا وخير أملا }} الكهف 32-45}

نستفد من هذه الأيات الكريمات :

الأول: أن الله سبحانه وتعالى ضرب هذا المثل في القرآن الكريم للمؤمن العابد القانت المطيع لله بما أمر به ورسوله ﷺ , وللكافر المتكبر العاصي لأمر الله تعالى , وأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه من الأموال وزروع الكثير والبساتين , والخدم والأعوان والبنين , مما يوجب عليه الإيمان بالله سبحانه وإخلاص العبادة له ,وانقياد لأوامره وأن يشكر الله تبارك وتعالى ويعترف بما أنعمه عليه ,من المال والجنات والبساتين والأولاد , وينفقها في مرضات الله سبحانه , ويتواضع لله ويرحم

الفقراء والمساكين , والمحتاجين, وأنه لا حول له ولاقوة له, إنما هذه النعم عطاء من الله له وتفضلا منه تعالى ,قال الله سبحانه وتعالى: { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزير الحكيم۝يأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّي تؤفكون}سب{3-2}

الثاني: كان هذا الكافر له ثمر كثيرة في بستانه , لم ينقص الله منه شيئا – مع كفره به فكأن هذه الجنة كانت تثمر أكثر من غيرها من البساتين امتحانا منه تعالى له وابتلاءا منه ثم يحاور صاحبه الذي آمن بالله تعالى متكبرا عليه ومفتخرا عليه بكثرة ماله , وأولاده وأنه أعز منه, هذا هو صفة المتكبر يتكبر ويفتخر بشئ ليس له إنما هو تفضل من الله الكريم الواهب بل يجب عليه أن يشكر الله به ويخدمه في طاعة ربه وطلبا لثوابه يوم معاده ,

الثالث: أنه دخل جنته وهو يشرك بالله تعالي وينكر البعث يوم القيامة ويعتقد أ ن هذه الثمار لا تنتهى أبدأ ,وبما أعطاه الله من المال والثمار يعتقد بهذا ,أن الساعة للبعث والحساب والنشور والجزاء ليست قائمة أبدا, لوكان هناك البعث والنشور والحساب, ورددت إليه , حتما سوف يكون عندي خيرا منقلب , ولايدري هذاالكافر أن حسن المنقلب إلى الله يكون بتوحيده تعالى واتباع شرعه , وخضوع له , وألا يريد بما أعطاه الله فسادا وتكبرا في الأرض, وأن يحسن فيما أعطاه الله إلى الفقراء والمساكين و المحتاجين , وصلة الأرحام , كما أحسن المالك الملك الرازق إليه .

الرابع: موفق المؤمن ب هذا الكافر ,هو أن يعظه ويذكره أيكفر بالله العظيم الذي جعل أصل خلقته من تراب ثم بعد ذلك خلقه الله من نطفة المهين , ثم جعله إنسانا متستقيما معتدلا , والرب الذي كفرت به وأشركت به , وأنكرت قدرته وجحدت نعمته, هو ربّى خالقي رازقي , وهو الذي أخلص له العبادة , لا أشرك بعبادته أحدأ أي كان , ولو استسلمت له وآمنت به واعترفت بنعمته التي انعمه عليك , وقلت حين دخلت في جنتك , وأنت في صفة العبد الشاكر لربه تعالى,

ماشاء الله , ليس لي في هذا قوة , إنما هي من محض هبة الله تعالى , وإذا كنت أقل منك مالا ولدا , فالله الذي أخلص له العبادة, قد يأتيني خيرا مماعندك ,إنى رضيت به ربا. وإنما جعل الدار الآخرة للذين لا يحبون فسادا في الأرض ولاعلوا ,وأن العاقبة للذين يؤمنون به ولا يشركون به شيئا,قال تعالى: { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحين۝إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين۝{الأنبياء{105}

الخامس: يحذر الكافر من عقوبة الله سبحانه وتعالى , أنه يجب عليه الإيمان به وتصديق بوعده وأن أمم المتكبر السالفة أخذ هم الله بعذاب أليم بسبب عصيانهم , ولم يراعوا حق الله عليهم , وإذا لم يتب ويرجع إليه , سوف يرسل الله إلى جنته حسبانا فيهلكها, أويذهب مائه فلن يستطيع له طلبا بعد ذلك, وبعد الوعظ والتحذير تمادى صاحبه الكافر في كفره وعتوّه وتكبره وتفاخره بما عنده , فجاء ماحذره وأحيط بثمره في الجهات كلها, كما أحاط الجنود معسكرا, ماكان عنده قدرة أن يحول بينه وبين الجنة, وأصبح يقلب كفّيه نادما من حيث لا ينفع الندم , ذاكر بما نصحه صاحبه لكن فات الأوان , وتمني ياليتني لم أشرك بالله شيئا, هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا.

السادس: ثم لما ضرب مثلا للمؤمن والكافر في جنتيهما, وضرب للمؤمين مثل الحياة الدنيا وما فيها من الأولاد والأموال والزروع كماء أنزله من السحاب فأختلط به بما تنب في الأرض مما يأكل الناس والأنعام , ثم أصبح بعد حين هشيما تثيره الرياح ليس لها قيمة في حياة الناس , واعلموا ذلك أيها المؤمنون الذين آمنوا بالله تعالى ,لا تكونوا كمثل هذا الكافر الذي أنكر البعث, فإن ربكم الله على كل شيئ قدير, إذن فاعتبروا بهذا المثل في الحياة الدينا , وسرعة زوائلها إلى اعتبار يوم البعث والنشور يوم تخرجون من قبوركم سراعا كما ينبت النبات بعد نزول الأمطار مباشرة

ثم اعلموا أيها المؤمنون وتيقنّوا أن المال والبنون ليس إلا زينة حياة الدينا وتفاخر بها بين أهلها , وتكاثر, والذي يبقي من الدينا وينفع , عبادة الله تعالى وحده لا شريك له, وذكره وتسبيحه وتهليله

وتحميده تعالى هي الصالحات الباقيات ,هذا هو خير عند الله سبحانه وتعالي من جمع الدينا , وثوابه عنده أعظم منها , وخير أمل للمؤمنين,

ذكر ابن الجوزي عن ابن عباس ﵄ : هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي أبوهما وترك لهما أموال, فاتخذ أحدهما الجنان والقصور, وكان الآخر زاهدا في الدنيا , فكان إذا عمل أخوه شيئا من زينة الدنيا , أخذ مثل ذلك فقدّمه لآخرته, حتّى نفد ماله , فضربهما الله عز وجلّ مثلا للمؤمن والكافر الذي أبطرته النعمة, قال: أن المسلم لما احتاج , تعرض لأخيه الكافر , فقال الكافر : أين ما ورثت عن أبيك ؟ فقال: أنفقته في سبيل الله, فقال الكافر: لكني ابتعت به جنانا وغنما وبقرا , والله لا أعطيتك شيئا أبدا حتّى تتبع ديني, ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها , ويرغّبه في دينه,}[228]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول جلّ ثناؤه: قال: لما عاين جنته, ورآها ومافيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطّرة , شكّ في المعاد إلى الله : ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا , ولا تفنى ولا تخرب , وما أظنّ الساعة التى وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث , ثم تمّنى أمنية أخرى على شك منه, فقال { ولئن رددت إلى ربّى} فرجعت إليه – وهو غير موقن أنه راجع إليه:{لأجدنّ خيرا منها منقلبا} يقول: لأجدنّ خيرا من جنتي هذه عند الله – إن رددت إليه- مرجعا ومردّا . يقول: لم يعطنى هذه الجنة في الدنيا إلا ولى عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه,}[229]

قال الماوردي : وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان:

---

[228] زاد الميسر{139/5}
[229] تفسير الطبري{263-262/15}

أحدهما: ما حكاه مقاتل بن سليمان أنه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالا جزيلا , قال ابن عباس ثمانية آلاف دينار. فأخذ أحدهما حقه وهو مؤمن فتقرب به إلى الله تعالى , وأخذ الآخر حقه منه وهو كافر فتملك به ضياعا منها هاتان الجنتان, ولم يتقرب إلى الله تعالى بشيء منه, فكان حاله ما ذكره الله من بعد, فجعله الله تعالى مثلا لهذه الأمة.

والقول الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة , وليس يخبر عن حال متقدمة, ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة , وجعله زجرا وإنذارا}[230]

وذكر المراغي في تفسيره للأية : { بعد أن أمر الله نبيه -ﷺ- بصبر نفسه مع فقراء المؤمنين ,وعدم طاعة أولئك الأغنياء من المشركين الذين طلبوا منه ﷺ طرد هؤلاء الصعاليك , وأن يعين لهم مجلسا , وللسادة مجلسا آخر حتى لا يؤذوهم بمناظرهم البشعة, وروائحهم المستقذرة , وحتى لا يقال إن السادة ومواليهم يجتمعون في صعيد واحد, ويتحدثون وإيّاهم حديث النّد للند , وذلك امتهان لكبريائهم وخفض من عزتهم- قفى على ذلك بمثل يستبين منه أن المال لا ينبغى أن يكون موضع فخار, لأنه ظل زائل, وأنه كثيرا ما يصير الفقير غنيا والغي فقيرا, وإنما الذي يجب أن يكون أساس التفاخر, وعمدة التفاضل, هو طاعة الله وعبادته, والعمل على ما يرضيه في الكرامة حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم}[231]{ وأحاط به هذا العقاب لا لمجرد الكفر و لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم , وإنما أحاط به العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير, فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه كما سلبت النعمة عن قارون حين قال: { إنما أوتيته على علم عندي}, وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة لأنها تجمع قوما يرونهم أحط منهم وطلبوا من

[230] تفسير الماوردي {306/3}
[231] تفسير المراغي{148-147/15}1

النبي ﷺ طردهم عن مجلسه }[232] قلت كذلك عبرة لكل من جعل نعمة الله الترفع عن عبادة الله تعالى , ولم يؤدي الحقوق الواجبة في هذه النعم, وذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أن الله تعالى بين حال الأخوين في الدنيا هذه في سورة الكهف , وبين حالهم في الأخرة في سورة الصافات في قوله تعالى: { قال قائل منهم إنّي كان لى قرين ۝ يقول أئنك لمن المصدقين ۝ أءذا متنا وكنّا ترابا وعظاما أءنّا لمدينون ۝ قال هل أنتم مطلعون ۝ فاطلع فرءاه في سواء الجحيم ۝ قال تالله إن كدت لتردين ۝ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ۝ أفما نحن بميّتين ۝ إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ۝ إن هذا لهو الفوز العظيم ۝ لمثل هذا فليعمل العاملون ۝ {51-60}[233] ثم ذكر إمام القرطبي في تفسيره قولا عن الحكماء قولهم: إنما شبه الله تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع , كذلك الدنيا لا بيقى على أحد , ولأن المال لا يستقيم على حالة كذلك الدنيا, ولأن الماء لا بيقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى , ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتلّ كذلك لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها, ولآن الماء إذا كان بقدر كان نافعا منبتا , وإذا جاوز المقدار كان ضارّا مهلكا, وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضّر}[234] قال أيضا : وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لأن في المال جمالا ونفعا , وفي البنين قوّة ودفعا , فصار ا زينة الحياة الدنيا , لكن معه قرينة الصفة للمال واليني, لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعو ها نفوسكم , وهو ردّ على عيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف, فأخبر تعالى أن ماكان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى , كالهشيم حين ذرته الريح , إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الآخرة, وكان يقال: لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغدا مع غيرك , ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغدا لغيره}[235] { وجه النظم أن الكفار , لما افتخروا بأموالهم وأنصار هم على فقرأء المسلمين , بينّ الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار, لاحتمال أن يصير الغني فقيرا, والفقير غنيا, وأما الذي يجب المفاخرة به فطاعة الله وعبادته , وهو حاصلة

[232] التنوير {328/15}
[233] تفسير القرطبي {10/ 401} مع التصرف فيه اليسير
[234] تفيسر القرطبي {412/10}
[235] المرجع السابق

لفقراء المسلمين , وبيّن ذلك بضرب هذا المثل مثل حال الكافرين والمؤمنين والسبب وقوعه في هذه الشبهة أنه لما أعطاه المال والجاه في الدنيا, ظن أنه إنما أعطاه ذلك, لكونه مستحقا له , والاستحقاق باق بعد الموت , فوجب حصول الإعطاء والمقدمة الأولي كاذبة , فإن فتح باب الدنيا على الإنسان, يكون في أكثر الأمر للاستدراج }[236] وذكر صاحب الأضواء رحمه الله تعالى: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن هذا الرجل الكافر الظالم لنفسه, الذي ضربه مثلا مع الرجل المؤمن في هذه الآيات لرؤساء الكفار, الذين افتخروا بالمال والجاه على ضعفاء المسلمين الفقراء ءكما تقدم , أنه دخل جنته في حال كونه ظالما لنفسه وقال: إنه ما يظن أن تهلك جنته ولا تفنى , لما رأى من حسنها ونضارتها , وقال: إنه لا يظن الساعة قائمة , وإنه إن قدّر أن يبعث ويرد إلى ربه ليجدن عنده خيرا من الجنة التى أعطاه في الدنيا,}[237] في هذه القصة عبر كثير ة للمؤمن منها أنه لايترك طاعة الله ورسوله ﷺ والدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى مهما يكون محيطا به ظروف حياة الصعبة, كما يفهم من القصة , أنه كان فقيرا,أن الغني ليس محل العبرة إنما العبرة هي طاعة الله تعالى وإخلاص العبودية لله تعالى, فلهذا يجد العبد من الله العزة والمحبة والولاية والنصرة , حيث نصر الله تعالى هذا المؤمن الفقير على هذا الكافر المتكبر الذي كان ينكر البعث والنشور, ويعتقد أن الله تعالى أحبه أكثر منه, فأرسل الله سبحانه وتعالى علي جنته حسبانا من السماء فأصبح زلقا وأذهب الله النهر فيها, ولم يبقى له منها شيئ,

من الفوائدة في هذه القصة للمؤمن أيضا أن لايقنط من رحمة الله تعالى قد يكون هذا الكافر أسلم بعد ذلك قال شيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: ولا يستعبد من رحمة الله ولطفه , أن صاحب هذه الجنة, التي أحيط بها, تحسنت حاله, ورزقه الله الإنابة إليه , وراجع رشده , وذهب تمرده وطغيانه بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه , وأن الله أذهب عنه ما يطغيه,

---

[236] اللباب في تفسير{488-483/12}
[237] أضواء البيان { 130-129/4}

وعاقبه في الدنيا , وإذا أراد الله بعبده خيرا عجل له عقوبة في الدنيا , وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول ولا ينكره إلا ظالم جهول}[238]

ومن الفوائد في هذه القصة: تسلية المؤمن في قوله تعالى تعالي { هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخيرأملاا} أي في تلك الحال التى أجري الله فيها العقوبة على من طغى, وآثر الحياة الدنيا, والكرامة لمن آمن , وعمل صالحا, وشكر الله ودعا غيره لذلك ,وتبيّن وتوضح أن الولاية لله الحق, فمن كان مؤمنا به تقيا, كان له وليا, فأكرمه بأنواع الكرامات , ودفع عنه الشرور والمثلات , ومن لم يؤمن بربه ويتولاه, خسر دينه ودنياه فثوابه الدنيوي والأخروي خير ثواب يرجى ويؤمل}[239]

ومن الفوائد أيضا : إعتبار بحال الذى أنعم الله عليه نعما دنيوية , فألهته عن آخرته وأطغته وعصى الله فيها, أن مآلها الانقطاع والاضمحلال, وأنه وإن تمتع بها قليلا, فإنه يحرمها طويلا, وأن العبد ينبغي له – إذا أعجبه شيئ من ماله أو ولده-أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها, وأن يقول: ما شاء الله , لا قوة إلا بالله }ليكون شاكرا لله متسببا لبقاء نعمته عليه}[240]

ومن الفوائد: وفيه الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه, وخصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين , وفخر عليهم, وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء ووجد العاملون أجرهم}[241]

---

[238] تفسير السعدي{478}
[239] المرجع السابق
[240] المرجع السابق
[241] المرجع السابق

المبحث الرابع:

فتنة أصحاب الجنة

لقد قصّ الله سبحانه وتعالى هذه القصة في القرآن الكريم, ليكون للمؤمن عبرة فيما أعطاه الله من النعم , حتى لايكون حاله كحالهم, وأن يتجنب أن يضيع حقوق الله تعالى عليه وحقوق الفقرأء والمساكين وذي الحاجات, قال تبارك وتعالى: {{ إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ۝ ولا يستثنون ۝ فطاف عليها طائف من ربّك وهم نائمون ۝ فأصبحت كالصريم ۝ فتنادوا مصبحين ۝ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ۝ فانطلقوا وهم يتخافتون ۝ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ۝ وغدواعلى حرد قادرين ۝ فلما رأوها قالوا إنّا لضالون ۝ بل نحن محرومون ۝قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ۝ قالوا سبحان ربنّا إنّا كنا ظالمين ۝ فأقبل بضعهم على بعض يتلاومون ۝ قالوايا ويلنا إنّا كنّا طاغين ۝ عسى ربنّا أن يبدلنا خيرا منها إنّا إلى ربنا راغبون ۝ كذلك العذاب ولعذاب الأخرة أكبر لو كانوا يعملون} القلم {17-32}

بين الله تعالى نوع الإمتحان الذي امتحن به أصحاب الجنة, هو أنهم إبتلاءهم بمنع المساكين والفقراء حقهم في وقت الحصاد خلاف عادة أبيهم٬

من فوائد هذه الأية: قوله ابن عطية رحمه الله تعالى: يريد تعالى قريشا أي امتحنّاهم وأصحاب الجنة – فيما ذكر- قوم إخوة, كان لأبيهم جنّة وحرث مغل, فكان يمسك منه قوته ويتصدق على المساكين بباقيه, وقيل: بل كان يحمل المساكين معه في وقت حصاده وجدّه فيجزيهم منه, فلما مات الشيخ فقال ولده : نحن جماعة , وفعل أبينا كان خطأ فلنذهب إلى جنتنا ,لا يدخل علينا مسكين اليوم ولا نعطي منها شيئا , قال: فبيّتوا أمرهم وعزمهم على هذا , فبعث الله طائفا باليل من النار أو غير ذلك فاحترقت, فقيل: أصحبت سواد, وقيل: بيضاء كالزرع اليابس المحصود, فلما أصحبوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم قد أخطؤوا الطريق, ثم تبيّنوها فعلموا أن الله تعالى أصابهم فيها فتابوا حينئذ وأنابوا وكانوا مؤمين من أهل الكتاب , فشبه الله تعالى قريشابهم في أنه امتحنهم بمحمد ﷺ وهذا كما امتحن أولئك بفعل أبيهم وبأوامر شرعهم, فكما حلّ بأولئك العقاب في جنتهم كذلك يحل بهؤلاء في جميع دنياهم , ثم التوبة معروضة لمن بقي منهم كما تاب أولئك}[242]

من فوائد هذه الآيات: ذكر بعض المفسرين: أن الله تعالى ابتلى أهل مكة لما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولم يؤمنوا بما جاء به من الله تعالى بالقحط كما ابتلى أصحاب الجنة لما منعوا حقوق المساكين.:{{ إنا بلوناهم} بلونا أهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط { كما بلونا أصحاب الجنة} يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين, وكان لرجل صالح , وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الريح , أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة, فيجمع لهم شيئ كثير, فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر, فحلفوا ليصرمنّها وقت الصباح خفية عن المساكين.[243] قلت كذلك الواقع هو ,في حال كثير يكون

[242] تفسير ابن عطية{373/8}
[243] تفسير البيضاوي{433/3}-

رجل صالح ينفق ماله في سبيل الله للفقراء والمساكين, ويوسع على عباد الله تعالى كما وسع الله إليه, ويحسن إلى الخلق كما أحسن الخالق إليه, ثم بعد موته يطرد أهله المساكين وتقطع الأرحام , وتعصى الله تعالى فيما ترك من الأموال, فبعد وقت يسير , ترى أن الله تبارك وتعالى المالك الملك سلب عنه هذه النعمة, وصاروا فقراء.بعد معصية الله تعالى فيما أعطاهم فيها

فإذا أنعم الله على الإنسان يجب عليه أن يسخره في طاعة الله تعالى, وفي مرضاته,وإلا قد يمنع رزقه بسبب هذا الذنب, وأخرج عبدبن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والمعصية فإن العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم , وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل , وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلا رسول الله ﷺ فطاف عليها الآية قد حرموا خيرا جنتهم بذنبهم}[244] فهذا الحديث وإن كان ضعيفا لكن ثبت عنه ﷺ أن في الصباح ينزل الله تعالى ملكين,فأحدهما يدعو للذين ينفقون أموالهم في مرضات الله بالبركة والنماء, والأخر يدعو على الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله بل يبخلون بما أتاهم الله تعالى من فضله,بالتلف والخسارة ومحق البركة فيها, وأخرج إمام البخاري ومسلم والنسائي وابن جرير في تهذيب الآثار من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: { ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلقا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا} [245] وأخرج ابن جرير أيضا من طريق أبي سعيد الخدري ﷺ والطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة أيضا مرفوعا بلفظ:{{ إن ملكا بباب من أبواب الجنة يقول: من يقرض اليوم يجز غدا, وملك بباب آخر يقول: اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا}[246] وأخرج أبو داود الطيالسي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ.: { ما اطلعت الشمس قط إلا بعث الله عز وجل بجنبها ملكان يناديان يسمعان الخلائق كلها إلا الثقلين , اللهم عجل لمنفق خلفا , وأعط ممسك تلفا, وما أتت الشمس قط إلا بعث الله عز

---

[244] الحديث ضعيف جدا في إسناده عمربن صبح قال ابن : كان يضع الحديث وقال الدارقطني متروك وفي سنده ليث ابن أبي سليم

[245] صحيح البخاري رقم {1442}ومسلم {2383} والنسائي في السنن الكبري{9178} وبن جرير التهذيب الآثار{445}

[246] تهذيب الآثار لإبن جرير{446} وصحيح ابن خبان {3333}والطبراني في الأوسط{5083}

وجل بجنبها ملكان ينا ديان يسمعان الخلائق إلا الثقلين ما قل وكفى خير مما كثر وألهى}[247] هذه الروايات كلها تدل أن الإمساك عن النفقة الواجب معصية الله تعالى قد يضيق الله عليه بسببه, الذي أمسك يتلف الله ماله والذي أنفق يخلف الله عليه ويأجره,فأصحاب الجنة أرادوا أن يضيقوا على الفقرا والمساكين فضيق الله عليهم, قال الفراء : قد قدروا أمرهم وبنوا عليه ظنهم, وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى الفقراء , ففي نفس الأمر لم يمنعوهم منه, :{{ قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرها فجزاهم الله بأن منعهم خيرا , ويحتمل أن يكون من التقدير بمعني التضيق لقوله تعالى{ ومن قدرعليه رزقه } أي مضيّقين على المساكين إذ حرموهم ماكان أبوهم ينيلهم , ولوذكروا الله واحسانه إليهم لامتثلوا ماأمربه من مواساة المساكين, واقتفوا سنة أبيهم في ذلك , فلما غفلوا عن ذكر الله تعالى , وعزموا على منع المساكين ابتلاهم }}[248] , من فوائد هذه الأيات أيضا: تشابه الموافق بين المؤمن مع صاحبه الكافر في سورة الكهف فيما قام به من وعظه وارشاده مع ما قام به أوسطهم الذي هو أعدلهم وأفضلهم وأعقلهم هلا تسبحون الله } قيل إن القوم لما عزموا على منع الزكاة واغتروا بالمال والقوة , قال لهم أوسطهم : توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب , فلما رأوا العذاب ذكرهم أوسطهم كلامه ,[249] ومن فوائد ها : قولهم: { عسى ربنّا أن يبدلنا خيرا منها إنّا إلى ربنا راغبوا} فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرا منها ,ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله , ويلحون عليه في الدنيا فإن كانوا كما قالوا فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرا منها , لأن من دعا الله صادقا , ورغب إليه ورجاه أعطاه سؤله}[250] ويدل على سعة رحمة الله تبارك وتعالى على عباده , إذا أحدث العبد التوبة والإنابة والرجوع , ومن طلب منه مغفرة ذنوبه غفر الله له. وأعطاه الله نعمه الكثير , كلما يشكر العبد ربه زاد عليه أنعامه الكثيرة. {قيل إنهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعنّ كما صنع أبونا فدعو الله

[247] مسند أبي داود الطيالسي{979}
[248] تفسير أبوحيان {307/8}
[249] اللباب في تفسير {292/19}
[250] تفسير السعدي {880}

وتضرعو فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها,[251] كما قال الله تبارك وتعالى:{ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذنا هم بما كانوا يكسبون}{96} الأعراف.

ومن فوائها أيضا في هذه الأية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به العبد لأنهم عزموا على أن يحولوا بين المساكين وبين البستان,أما لو همّ العبد بفعل المعصية, ثم لم يعزم على ذلك ولم يعمله فلا يكتب له تلك الهم, لما جاء في صحيح إمام البخاري عن النبي ﷺ : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النّار. قيل : يارسول الله, هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه}[252]أما إن كان ما يخطر ببال العبد من غير عزم فلا يؤاخذ به . بوّب إمام النووى في صحيح مسلم باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذاهم بسيئة لم تكتب. ثم أخرج إمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ, قال الله عز وجلّ إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة , وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوه حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا} [253]ثم قال إمام النووى: فقال الإمام المازري –رحمه الله – مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين الهم والعزم, وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث, قال القاضي عياض رحمه الله – عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب ’إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا: إن العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية, فإذا عملها كتبت معصية ثانية فإن تركها خشية لله تعالى كتبت حسنة كما في الحديث: إنما تركها من جراي } فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدة نفسه الأمارة بالسوء في

[251] مقاصد القرآن {269/14}
[252] صحيح البخاري{380}
[253] صحيح مسلم {128}

ذلك وعصيانه هواه حسنة, فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولايصحبها عقد ولا نية وعزم}[254]

قال إمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن الصغائر أيضا شهوة المحرمات وتمنيها درجات الشهوة في الكبر والصغر بحسب تفاوت درجات المشتهي فشهوة الكفر والشرك كفر وشهوة البدعة فسق , وشهوة الكبائر معصية فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب , وإن تركها عجزا بعد بذله مقدوره في تحصيلها استحق عقوبة الفاعل لتنزيله منزلته في أحكام الثواب والعقاب , وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع , ولهذا قال النبي ﷺ إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار , قالوا هذا القاتل يارسول الله فما بال المقتول, قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه فنزله منزلة القاتل لحرصه على قتل صاحبه في الإثم دون الحكم وله نظائر كثيرة في الثواب والعقاب}[255] فإذا لم يخطر ببال المكلف ولا دعته نفسه إليه بل استمر على العدم الأصلي لم يثب على تركه , وإن خطر بباله وكف نفسه عنه لله وتركه اختيارا أثيب على كف نفسه وامتناعه فإنه فعل وجودي والثواب إنما يقع على الأمر الوجودى دون العدم المحض, وإن تركه مع عزمه الجازم على فعله, لكنه تركه عجزا فهذا وإن لم يعاقب عقوبة الفاعل, لكن يعاقب على عزمه وإرادته الجازمة التي إنما تخلف مرادها عجزا , ودلت على ذلك النصوص الكثيرة فلا يلتفت إلى ما خالفها كقوله تعالى: { وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء } وقوله في كاتم الشهادة فإنه آثم قلبه, ولكن يؤاخذ بما كسبت قلوبكم . وقوله : يوم تبلى السرائر }[256] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ومن هذا الباب : ما ثبت في الصححين عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيح مقيم}فإنه إذا كان يعمل في الصحة والإقامة عملا ثم لم يتركه إلا لمرض أو سفر , ثبت أنه إنما ترك لوجود العجز والمشقة لالضعف النية وفتورها , فكان له من الإرادة الجازمة التي لم يتخلف عنها الفعل إلا لضعف

[254] شرح صحيح مسلم للنووى {1/
[255] مدارك السالكين{114/1}
[256] الفوائد {123/1}

القدرة ' ما للعامل والمسافر , وإن كان قادرا مع مشقة كذلك بعض المرض, إلا أن القدرة الشرعية هي يحصل بها الفعل من غير مضرة }[257] {يعني إن الذي لا يؤاخذبه هي الأحاديث الطارئة التى لاثبات لها ولااستقرار في النفس, ولا ركون إليها- قال باب تجاوز الله تعالى لهذه الأمة عن حديث النفس وخواطرها. أي هذا باب معقود في بيان الأحاديث التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى تجاوز وسامح لهذه الأمة المحمدية ببركة نبيها عليه الصلاة والسلام حديث النفس, وخواطر القلوب إذا لم تقل أو تفعل, واعلم أن للنفس ثلاث أمور: خاطر لا يقصد ولا يندفع ولا يستقر, وهم وعزم}[258]

---

[257] مجموع الفتاوي

[258] المفهم{123/2}

المبحث السادس
ابتلاء أهل القرية بسلب النعمة

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه دمر اقتصاد دولة لما كفرت بأنعم الله تعالى

قال الله تبارك وتعالى: { وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون}النحل {112} ضرب الله تعالى مثلا في هذه القصة لقرية كانت لها كل أسباب استثمار الاقتصادية,وهي الأمن والإستقرار في القرية كلها, وأيضا تجلب إليها رزقها في كل مكان من العالم, فصارت أكثر مكانا أمنا وازدحاما للبضاعة , ولكن لما كفرت هذه النعمة.ولم تشكر المولي بدل مكان الرزق جوعا وحل مكان الأمن خوفا, فألبسها الله تعالى لباسين لا يمكن معهما وجود الرزق هما لباس الجوع والخوف, بما كانوا يعملون بمخالفتهم أوامر الله تعالى,وهكذا يدمر الله الإقتصاد,كما هو واقع المشاهد الآن أن أكثر الدول المتقدمة إقتصاديا,مع يراه الناس من زخارفها وجمالها وإظهار حسنها, لكن لما دبّ إليها الخوف وفقد الأمن في العالم والحروب , وأكل حقوق الضعفاء والمساكين, ظهر في العالم مايسمى بتراجع الإقتصادي في العالم, وأكثر الدول تقدما في الاقتصاد يشكوا تراجعا خطيرا في اقتصادها, فإذن الخوف والجوع هما سلاح لتدمير اقتصاد الدول , جعلهما الله تعالى على كل من لايشكره على نعمه كما ضرب لنا مثلا في هذه القصة , وكما وجد الأمثال الكثيرة الواقعية كأهل سبأ, وغيرهم, ذكر شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: { يقول الله تعالى ذكره: ومثّل الله مثلا لمكة التى سكانها أهل الشرك بالله , هي القرية التى كانت آمنة مطمئنة, وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى , ويقتل بعضها بعضا ,

ويسبى بعضها بعضا , وأهل مكة لا يغار عليهم, ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها. وقوله : { مطمئنة} يعنى قارّة بأهلها, لا يحتاج أهلها إلى النجع, كما كان سكان البوادى يحتاجون إليها { يأتيها رزقها رغدا} يقول: تأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة , وقوله {من كل مكان} يعنى :من كل فج من فجاج هذه القرية, ومن كل ناحية فيها}[259]

هذه القصة المباركة نستفيد منها:

من فوائد هذه الأية :أ هل القرية المذكورة فيها هي مكة المكرمة , إختلف المفسرون في ذلك ذهب جمهور المفسرين أن المثل ضرب لمكة التى جعلها الله سبحانه وتعالى قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان, فلما كفرت بماأنعم الله عليها من بعثة محمد ﷺ , الذي جاء منهم ,أذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانت أهلها تعمل من كفر بالله وعصيان أمر رسوله ﷺ , ومن نقلو ا هذا المذهب منهم إمام ابن جرير الطبري كما مر كلامه في ذلك. ذكر ابن عطية في تفسيره: قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة : القرية المضروب بها المثل مكة كانت بهذه الصفة التى ذكر الله,[260] والأية عند عامة المفسرين قالوا: أراد بالقرية مكة, يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ماذكر}[261] وقال صاحب البيان في مقاصد القرآن : والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وامتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي ﷺ فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم , أي بيّن الله لها شبها,[262]

وذهب بعض المفسرين: إنه مثل مضروب لأيّ قرية كانت على صفة من سائر القرى قال القرطبي : إنه مثل مضروب لأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى ,فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة, ويجوز أن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا

---

[259] تفسير الطبري{382/14}
[260] المحرر الوجيز{417/5}
[261] تفسير البسيط{214/13}
[262] فتح البيان{325/7}

من مثل عاقبتها,[263] قال إبن الجوزي في هذه القرية قولان: أحدهما : أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح, والثاني : أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون قاله الحسن ,[264]}

وأما القول الثالث: هي ما يروي عن حفصة : أنها المدينة فذلك جاءت عنها على سبيل التمثيل لا على وجه التفسير,

والصحيح أنها مثل ضرب لمكة المكرمة زادها الله شرفا, لوجوه منها لقوله تعالى بعد ذكر القصة ذكر بعثة الرسول ﷺ, { لقد جاءهم رسول منهم فأخذهم العذاب وهم ظالمون}النحل {113} وفسر المقصود بالرسول هو محمد ﷺ,

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى وصفها بالأمن والكثرة الزرق يأتي إليها من كل مكان.قال الله سبحانه وتعالى: { وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم والآخر قال ومن كفر فأمتّعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النّار وبئس المصير} البقرة126 و يرجح أيضا قوله تعالى { أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون}

وذلك لما دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال: اللهم أشدد وطأتك على مضر وأجعلها عليهم سنين كسني يوسف}[265] ويرجح هذا المذهب أيضا ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ,فقال: { إن النبي ﷺ لمّا رأي من الناس إدبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف, فأخذتهم سنة حصّت كل شيئ, حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف, وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع, فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم, وإن قومك قد هلكوا فأدع الله لهم قال الله تعالى:{ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين} إلى قوله { إنكم

[263] المرجع السابق
[264] زاد المسير 797}
[265] البخاري ومسلم {483} ومسلم {675}

عائدونۨ يوم نبطش البطشة الكبرى} فالبطشة يوم بدر, وقد مضت الدخان والبطشة وللزام وآية الروم}[266]

ومن فوائد هذه الآية أيضا : ما ذكره الإمام الشنقيطي : وعلى كل حال, فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل , وألا يقابل نعم الله بالفكر والطغيان , لئلا يحل به ما حلّ به ما حل بهذه القرية المذكورة , ولكن الأمثال لايعقلها عن الله إلا من أعطاه الله علما لقوله: { وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون}[267]{اعلم أنه –تعالى – هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة , وهدّدهم أيضا بآفات الدنيا , وهي الوقوع في الجوع والخوف كما ذكر – في هذه الأية . هذه القرية كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يغار عليها مطمئنة قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتجاع كما يفعله سائر العرب,{ يأتيها رزقها رغدا من كل مكان} يحمل إليها من البر والبحر{ فكفرت بأنعم الله} فأذاقهم لباس الجوع ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين, وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتّى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتّة , وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الطمأنينة والخصب, ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة , وهو محمد ﷺ فكفروا به , وبالغوا في إيذائه , فسلط الله عليهم البلاء وعذبهم بالجوع سبع سنين, وأما الخوف فكان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم وقوله آمنة إشارة إلى الأمن, وقوله : مطمئنة} إشارة إلى الصحة لأن هواء هذه البلد لمّا كان ملائما لأمزجتهم, فلذلك اطمأنوا واستقرّوا فيه.في هذه الأية, هو أن للباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال : فكساهم الله لباس الجوع أو يقال : فأذاقهم الله طعم الجوع,

والجواب : من وجوه:

الأول: أن ما أصابهم من الهزال والشحوب , وتغيير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم,

والثاني: أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان:

[266] صحيح البخاري مع الفتح {567/2} ورقم الحديث{1007}-

[267] أضواء البيان{451/3}

أحدهما: أن المذوق هو الطعام , فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع .

والثاني: أن ذلك الجوع كان شديدا كاملا, فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس, فالحاصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق , وحالة تشبه الملبوس .

ولباس الجوع والخوف : ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيّر الحال}[268] الظلم وكفران نعم وعدم أداء الحقوق فيها , وتكذيب الرسول يؤدى إلى البأساء والضراء مثل الجوع والخوف وحلول النقم لأ ن الظلم مما يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا كما قال الله تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} أما المؤمنون فينجيهم الله تعالى من كل كرب وسوء كما قال الله سبجانه { وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم يحزنون}الزمر{61} قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: وهذه القرية هي مكة المشرفة التى كانت آمنة مطمئنة , لا يهاج فيها أحد , وتحترمها الجاهلية الجهلاء , حتىّ إن أحد هم يجد قاتل أبيه وأخيه , فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنعرة العربية , فما حصل لسواها , وكذلك الرزق الواسع, كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر, ولكن يسر الله لها الزرق يأتيها من كل مكان , فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه , يدعوهم إلى أكمل الأمور, وينهاهم عن الأمور السيئة , فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم ,فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد والخوف الذي هو ضد الأمن وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم { وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}[269]

---

[268] اللباب {174-172/12}

[269] تفسير السعدي{451}

المبحث السادس:
ثلاثة الذين أغناهم بعد الفقر والمرض:

وأخرج إمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء في باب أحاديث الأنبياء من أبي حديث هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى بدا الله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحبّ إليك ؟ قال: لو حسن وجلد حسن, ويهذب عنّي هذا قد قذرنى الناس , قال: فمسحه فذهب عنه فأعطى لونا حسنا فقال: أي المال أحبّ إليك ؟ قال: الإبل أو قال البقر- هو شك في ذلك – إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر . فأعطى ناقة عشراء فقال: يبارك لك فيها, وأتى الأقرع فقال: أيّ شيئ أحب إليك ؟ قال: شعر حسن ويذهب عنّى هذا قد قذرنى الناس . قال: فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا, قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟ قال: البقر, قال: فأعطاه بقرة حاملا, وقال: يبارك لك؟ فيها, وأتى الأعمى فقال: أيّ شيئ أحبّ إليك؟ وأتى الأعمى فقال: أي شيئ أحبّ إليك ؟ قال: يردّ الله إلى بصرى فأبصر به الناس , قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره , قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطاه شاة والدا, فأنتج هذان وولد هذا , فكان لهذا واد من إبل , ولهذا واد من بقرة , ولهذا واد غنم . ثمّ إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري, فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسأل بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلّغ عليه في سفري, فقال له : إن الحقوق كثيرة , فقال له : كأنّى أعرفك , ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر , فقال : إن كنت كاذبا فصيّرك الله إلى ما كنت , وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا, فردّ عليه هذا, فقال: إن كنت كاذبا فصيّر الله إلى ما كنت, وأتى الأعمى في صورته , فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال في سفرى فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك, وأسالك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري, فقال: قد كنت أعمى فردّ الله بصرى , فقيرا فقد أغناني, فخذ ما شئت, فوالله لا أجهدك اليوم بشيئ أخذته لله, فقال: أمسك مالك, فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك}[270]

[270]فتح الباري {6/564-565} رقم الحديث 3464{

قال الحافظ رحمه الله تعالى: وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم , ولعل هذا هو السّر في ترك تسميتهم , ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك,والذي يظهر لي أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك, وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها, وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم, وتبليغهم مآربهم, وفيه الزجر عن البخل , لأحمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى,[271] قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة , فمن لم يعرف النعمة , بل كان جاهلا بها . لم يشكرها . ومن عرفها ولم يعرف المنعم عليه بها , فقد كفرها , ومن عرف النعمة والمنعم بها , وأقربها ولم يجحدها, ولكن يخضع له و يحبه ويرض به وعنه, واستعمالها في محبته وطاعته, فهذا هو الشاكر لها , فلا بدّ في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم , وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له }}[272]

وهذا الحديث الشريف الذي ذكر النبي ﷺ قصة الثلاثة من بني إسرائيل لما فيها من العبرة والعظة منها:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى قد يغيّر الأحوال من السئية إلى الحسنة كما غير أحوال الثلاث من المرض والفقر, إلى الصحة والجمال والغنى,

الثاني: أن الله تعالى قد يبتلى عبده بالخير كما يبتليه بالشر قال الله تعالى{ ونبلوكم بالخير والشر فتنة}}{{ وبلوناهم بالحسنات والسيّئات لعلهم يرجعون} كما روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قوله: ابتلينا بالشر فصبرنا وابتلينا بالخير فلم نصبر عليه, ويجعل الله سبحانه وتعالى ذلك تمحيصا ما في قلوب العباد من الإيمان والصبر والخضوع له والذل وإخلاص العبودية له, ولهذا يظل المؤمن عابدا لله في حالة الرخاء :عبادة الشكر واستعمال النعمة في طاعة الله تعالى, والاعتراف بالمنعم له بها مع كمال الخضوع له والذل وأن يتبرء من كل حول وقوة إلا بحول الله

---

[271] فتح الباري المرجع السابق
[272] مدارك السالكين{23/1}

تعالى وقوته, وفي حالة الضيق والعسر : عبادة الصبر والالتجاء إلى الله تعالي والمطلوب من العبد في هذه الحالة الرضا بقضاء الله تعالى والصبر على البلاء, كما ابتلاء الله سبحانه وتعالى أولياؤه بالفقر والجوع والأذي فصبروا على ذلك كله, فإن أشدّ الناس بلاءا الأنبياء ثم غيرهم من الصالحين المؤمنين وهكذا قال الله تعالى:{{ ولنبلونكم بشيئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشرّ الصابرينّ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعونّ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون س البقرة{153} قال ابن كثير رحمه الله تعالى: و الصبر صبران : فصبر على ترك المحارم والمآثم , وصبر على فعل الطاعات والقربات , والثاني: أكثر ثوابا لأنه المقصود, وأما الصبر الثالث: وهو الصبر على المصائب والنوائب فذاك أيضا واجب كالاستغفار من المعايب كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الصبر في بابين: الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان والصبر لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء , فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلّم عليهم إن شاء الله ,وفي تفسيره الآية { الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإليه راجعون} أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما شاء , وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرّة يوم القيامة, فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده , وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة . فقال{ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة} ثناء من الله عليهم, قال سعيد بن جبر : أي أمنة من العذاب { أولئك هم المهتدون} قال أمير المؤمنين عمربن الخطاب ﷺ: نعم العدلان ونعمت العلاوة,{ عليهم صلوات من ربهم ورحمة} فهذا العدلان { وأولئك هم المهتدون} فهذه العلاوة , وهي ما توضع بين العدلين , وهي زيادة في الحمل , وفكذالك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا}}[273] قد يصل المؤمن الصابر إلى درجة العليا لصبره لله تعالى. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكرها, أو في نقمة فيصبر

[273] صحيح تفسير ابن كثير {1/186-187}

عليها, كما جاء في الحديث: {{ عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له: إن أصابته سرّاء فشكر كان خيرا له , وإن أصابته ضرّاء فصبر كان خيرا له}ا[274]

و لفظ الحديث عند إمام مسلم رحمه الله {{ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير, وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له, وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له }} إذن لا بد أن يبلي الله عز وجل عبيده ويتصرف فيهم لكي يتبيّن المؤمن وغيرهم. وقد يفهم من هذا الحديث أن هؤلاء الثلاث إمتحنوا بالضراء فصبروا, فلما امتحنوا بالمال والصحة والجمال, سقط الإثنان , ونجح الواحد,

الثالث: ليس من الحرام أن يسأل العبد ربه أن يحسنه بالجمال من حسن الوجه وجمال الشعر, وإذا كان عليه بعض الأمراض التي يفر منه المجتمع أن يسأل الله تعالى أن يذهبه منه وهذا لا ينافي الصبر ولا ينافي الرضي بقضائه,وكذا أن يسأل ربه بأحب الأموال إليه من البقر والإبل والغنم والخيل وغير ذلك.

الرابع : أن الإبل والبقر فيهما كبر وخيلاء.وصاحب البقر والإبل قد يتأثران بما فيهما من خلق الكبر والخيلاء. وقد أخرج إمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { رأس الكفر نحو المشرق , والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل , الفدادين , أهل الوبر , والسكينة في أهل الغنم}} وفي الرواية {{ الإيمان يمان , والكفر قبل المشرق , والسكينة في أهل الغنم والفخر والرياء في الفدّادين أهل الخيل والوبر}} وحديث جرير زاد {{ والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة في أصحاب الشاء}}[275]

فإن كان الأعمي أسرع إجابة لأمر الله تعالى وأكثر خضوعا لله, واعترافا بالمنعم عليه والشكر له ,لما فيه من التواضع والسكينة له سبحانه وتعالى وتذكرا لحاله في وقت المرض والفقر, ولما جاء الملك

---

[274] صحيح تفسير بن كثير{185/1} والحديث في صحيح مسلم رقم{ 2675}
[275] شرح مسلم للنووي {1/ 142-243}

الذي تمثل بابن سبيل الذي لا حول له وقوة له إلا بالله تعالى, ثم بمساعدة هذا الذي كان أعمي, جاء جوابه جواب المؤمن الذي يؤمن أن الأمر بيد الله تعالى يتصرف في شؤون الخلق كيف يشاء, ولا يحول بينه وبين ما يريد من زرق الله تعالى, قد كنت فقيرا مثلك فأغناني الله تعالى وأعمي فشفاني الله تعالى, ولوحلت بينك وبين الذي يريده من الأغنام ما شكرت الله تعالى الواهب الرازق , خذ ما شئت وضعه حيث شئت, فهذا ﷺ وأثني عليه فقال أمسك مالك, فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك}

الخامس: أن عدم الإنفاق في سبيل الله تعال وفي مرضات الله تعالى , وإعطاء حق المال إلى مستحقيها يجلب سخط الله تعالى على صاحبه كما سخط على رجلين من بني إسرائيل,

السادس: قد يبقي المال عند من لا يعطي حق الله تعالى كما فعل بهذين رجل من بني إسرائيل لكي تزاد عليهما الابتلاء والامتحان به ونغمة و عذابا عليهم, وكذلك عدم الاعتراف بالمنعم عليه به يجلب غضب الله تعالى وعليه وسخطه, وأن المال من زينة الحياة الدنيا ليبتلي به عباده كما قال الله تعالى: { إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاۜ وإنّا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزاۜ} الكيف{6}

السابع: ما يتعلق بالكلمة { بدا الله} قال الحافظ رحمه الله تعالى:" بتخفيف الدال المهملة بغير همز أي سبق في علم فأراد إظهاره , وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا لأن ذلك محال في حق الله تعالى. وقد أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بهذا الإسناد بلفظ: {{ أراد الله أن يبتليهم}} فلعل التغيير فيه من الرواة }[276]

لفظ بدا الله : " جاءت من طريق همام وروا عن همام ثلاثة هم:

---

[276] فتح الباري{565/6}-

عمروبن عاصم وعبد الله بن رجا الغداني فقد أخرجها البخاري في ورابة الموجودة معنا بلفظ : {{ بدا الله أن يبتليهم}} وشيبان بن فروخ, ’أخرجها مسلم في الزهد والرقائق{2964}بلفظ : {{فأراد الله أن يبتليهم}} وإذا نظرنا إلى حال عبد الله بن رجاء نجد أن يحي بن معين وعمروبن علي اتهماه بكثرة التصحيف, قال يحي بن معين : كثير التصحيف وقال عمروبن علي: صدوق كثير الغلط والتصحيف ليس بحجة, ولهذا أعل العلامة الألباني في مختصر صحيح البخاري :{ اللفظ بعبد الله ابن رجاء الغداني, فقال عند لفظة : أراد الله " قلت وهي رواية مسلم , وهذا هو المحفوظ , وفي إسناد الأولي { عبد الله بن رجاء} وهو الغداني وفي حفظه كلام قال الحافظ في التقريب صدوق يهم قليلا}[277]

ويبين الله تعالى في القرآن الكريم أن تقديم محبة هذه الأمور المذكورة و الشهوات والرغبات على محبة الله تعالى و رسوله ﷺ ومحبة مايحبه من الطاعات التي حبها يدل على محبة الله تعالى رسوله صلى الله عليه , ويكون سببا من التخلي عن أوامر الله تعالى فتحصل الذل والهوان للمسلم في الدنيا والآخرة , قال الله تعالى: {{قل إن كان ءاباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين}} التوبة{24}هذه المذكورات في الآية إذا قدمها على محبة الله تعالى كان دليلا على بعده عن الله تعالى وذكر الأبناء لما جلبت ذكرهم المحبة عبرفي الآية صدر في المحبة , وقد لا يتبعون آباؤهم في دينهم وأخلاقهم , قال ابن القيم رحمه الله تعالى:{ الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان إلا في اعتدال القامة ونطق اللسان , ليس همهم إلا مجرد نيل الشهوات بأي طريق أفضت إليها, فهؤلاء نفوسهم , نفوس حيوانية , لم تترق عنها إلى درجة الإنسانية, فضلا عن درجة الملائكة , فهؤلاء حالهم أخسّ من أن تذكر, وهم في أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات التى هم على أخلاقها وطباعها, فمنهم : من نفسه كلبيّة ,لو صادف جيفة تشبع ألف كلب لو عليها وحماها من سائر الكلاب ,

---

[277] مختصر صحيح البخاري للألباني {446/2}

ونبح على كل كلب يدنو منها فلا تقربها الكلاب إلى على كره منه وغلبة ولا يسمح لكلب بشيء منها وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق. ميتة أو ذكي خبيث أو طيب, ولا يستحي من قبيح , إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث إن أطعمته بصبص بذنبه ودار حولك , وإن منعته هرّك ونبحك}[278]

[278] مدارك السالكين{1042-1043} في فصل : الذنوب صغائر وكبائر: بصبص الكلب : حرك ذنبه طمعا وخوفا,وهرك: نبح وكشر عن أنيابه هرير الكلب: صوته دون النباح

المبحث السابع:

المبحث الأول:

بيع الحرام:

لنبدأ هذا البحث بحديث النبي ﷺ لأن في هذا الزمان وصل حال الناس منزلة الحرص على طلب المال , وشدة الحرص عليه, مما أدي ذلك على ترك أحكام الشريعة , وصار شعارهم المال في أي وجه كان , ونريد أن نبيّن جانب فنتة المال اليوم من حيث فتن بعضهم ببيع الحرام , وترك أوامر الله تعالى ورسوله ,وانشغلوا به عن الجهاد في سبيل الله تعالى , وأعرضوا عن صلاة الجماعات والجمع والمناسبات ,وغير ذلك وأي فتنة أشد من أن يغفل المسلم بعرض الدنيا عن عبادة الله تعالى,وأخرجه إمام أبو داود عليه رحمة الله تعالي في سننه في باب في النهي عن العينة, قال بسنده عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ {{إذا تبايعتم بالعينة , وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع , وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه حتي ترجعوا إلى دينكم}} [279]

وصححه علامة المحدث الألباني رحمه الله .وهذا الحديث الشريف يصور لنا حال الذل الذي وصل إليه المسلمون اليوم, من إنشغالهم لطلب الدنيا بأي طريقة كانت أمن حلال أو من حرام ,وقد أخرج إمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله }} [280] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: {{ ليأتيّن على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أو من حرام}} وهذا المال قد أدي إلى ارتكاب المعاصي, وترك الصلاة , وقطع الأرحام, حتى أصبح مفهوما خاطئا أن رجل الصالح الصادق من عند المال, وإن كان يحارب الله ليلا ونهارا. ويخالف شريعة الله جهرة أمام الناس, والمال صنع عجائب في حياة المسلمين, حتي وصل الخداع باستحالال دم المسلم لأجل إستئلاء على ممتلكاته الشخصية,

فعن أبي موسي الاشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ{ إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم فانظروا كيف تعملون} [281]

---

[279] سنن الإمام أبي داود رقم الحديث {3462}وصحفة 623}وقال شيخ الألباني رحمه الله تعالى: وهو حديث صحيح لمجموع طرق } الصحيحة ج1/ق1/ص42}

[280] صحيح البخاري كتاب البيوع باب قوله تعالى:{{ ياأيها الذين آمنوا لا تأكل الربا أضعافا مضاعفة} الرقم الحديث:2083}

[281] أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم{694} وأبو نعيم في الحلية{112/4} والبيهقي في شعب الإيمان رقم{10294}

وبسبب ما يجلبه حب المال من آفات على صاحبه خاف الرسول ﷺ على أمته من الافتتان به في الدين,قد يبيع صلاته وصيامه وزكاته وعبادته بعرض الدنيا القليل,

وفي صحيح إمام البخاري ومسلم رحمهما الله ,من حديث عمروبن عوف ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار لما جاءه مال البحرين: {{ أبشروا وأملوا ما يسركم , والله ماالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم, فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم}}[282]قال الحافظ رحمه الله :لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه ,فتمتنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك. قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدينا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشرّ فتنتها,فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها – وقال أيضا : وهذه الخشية يحتمل أن يكون سببها علمه أن الدنيا ستفتح عليهم ويحصل لهم الغنى بالمال,وقد ذكر ذلك في أعلام النبوة مما أخبر ﷺ بوقوعه قبل أن يقع فوقع, قال الطبي: فائدة تقديم المفعول هنا الاهتمام بشأن الفقر, فإن الوالد المشفق إذا حضره الموت , كان اهتمامه بمال ولده . فأعلم ﷺ أصحابه أنه وإن كان لهم في الشفقة عليهم كالأب ,لكن حاله في أمر المال يخالف حال الوالد لولده, وأنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخشاه الوالد,ولكن يخشى عليهم من الغنى الذي هو مطلوب الوالد لولده }[283]

وبسسبب ما يجلب حب المال من مخاطر ة والمنافسة غير المحمود , وحتى يكون نهاية المنافسة لدنيا الإقتتال والمعصية ,وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: {{ إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي٬ ولكني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم}} [284], ولقد أخبر نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عن أعظم ما يسفد على الأمة دينها وعزها ومجدها . أخرج إمام الترمذي وأحمد والطحاوي في مشكل الآثار والقضاعي في مسند الشهاب والطبراني من حديث كعب بن عياض ﷺ

---

[282] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم الحديث{ 6425} واللفظ له والإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث: {296}

[283] فتح الباري{275/11}

[284] أخرجه الإمامين البخاري رفم {6426} ومسلم {2296} واللفط له-

أن النبي ﷺ قال: {{ وإن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال}}[285] وهوحديث صحيح . وأخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار بسند صحيح عن ابن مسعود قوله: {{ إن لكل أمة فتنة وإن فنتة هذه الأمة الدراهم}} [286]قال الطحاري : وكان قوله: {{ فتنة أمتي المال}} تعم الرجال والنساء من أمته}} وقال المناوي[287] قال القاضي : أراد بالفتنة الضلال والمعصية لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة وينسي الآخرة , قال سبحانه وتعالى: {{ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم}} التغابن15} وفيه أن المال فتنة}} وقال إمام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذا خبر منه ﷺ بأن كل الأمم افتتنت فأمم منهم افتتنت عن توحيده بالأصنام فعبدوها, وقوم بالشمس فتألهوها, وقوم بالقمر,وقوم بالكواكب, وقوم بنبي كان فيهم عبدوا عزيرا فقالوا: ابن الله , ومنهم من افتتنوابالعجل عبدوه, والنصارى افتتنوا بعيسي فقال قوم منهم: هو الإله,وآخرون منهم قالوا: وهو ابن الله, وجعل فتنة هذه الأمة في حب الدينار والدرهم, فغلب على أكثرهم حب المال, فكدّر عليهم عبودية المتكبر المتعال}} [288]وإنما جعل الله هذاالمال لتحيق العبادة لله وحده لاشريك له ولإقامة به شرائع الدين, وشكر لله به وإسناده إليه سبحانه وتعالى,ويجب على المسلم أن يعبّد كل ما يمتلك لله وحده, وهذا هو عنوان السعادة في الدنيا والآخرة,

وأخرج إمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا نزل عليه, فيحدثنا فقال لنا ذات يوم : {{ إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة}}[289]

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {{ لو أن لابن آدم واديان لتمني واديا ثالثا, وما جعل المال إلا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة}}

---

[285] سنن الترمذي {2336} وأحمد {160/4} والطحاوي في مشكل الأثار{4325} والقصاعي في مسند الشهاب {1022} والطبراني{404/19}-

[286] تهذيب الآثار لابن جرير {509}-

[287] فيض القدير{507/2}-

[288] كتاب السرالمكتوم في التفرق بين المالين المحمود والمذموم{107}

[289] في المسند {218/5} في الكبيررقم {3300-3301}-

وعن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت : كان رسول الله ﷺ يقول إذا دخل بيته{{ لو كان لإبن آدم واديان من ذهب لأبتغي إليهما ثالثا, إنما جعل المال لتقضى به الصلاة وتؤتي به الزكاة}}[290] والحديث صحيح بمجوع شواهده}}

وأخرج إمام البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال: {{ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض, وقيل : وما بركات الأرض؟ قال زهرة الدنيا..... وإن هذا المال خضرة حلوة , وإن كل ماأنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضرة....}}[291] الحديث قال الزين بن المنير: في الحديث وجوه من التشبيهات بديعة: أولها: تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره, ثانيها: تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة في الأعشاب, ثالثها: تشبيه الاستكثار منه والادخار له بشرّه في الأكل والامتلاء منه, ورابعها: تشبيه الخارج من المال مع عظمته في النفوس حتّى أدى إلى المبالغة في البخل به بما تطرحه البهيمة من السلح ففيه إشارة بديعة إلى استقذاره شرعا, وخامسها: تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالاتها سكونا وسكينة, وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها, وسادسها: تشيبه موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها, وسابعها: تشيبه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن يتقلب عدوّا , فإن المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حبّا له وذلك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سببا لعقاب مقتنيه, وثامنها: تشبيه آخذه بغير حق بالذي يأكل ولا يشبع }[292] } وقال إمام القرطبي : { وكذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها, ويمنع ذا الحقّ حقّه في الآخرة بدخوله النار, أما مثل المقتصد, فقوله ﷺ: {{ إلا آكلة الخضر}} إلى آخره . وذلك مثل المقتصد لأن الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع , ولكنها من الجنبة التي ترعاها المواشي بعد تهيّج البقول. فضرب النبي ﷺ آكلة الخضر من المواشي مثلا لمن يقتصد في

---

[290] في الكبير رقم {790}وأبو يعلي رقم{446}-
[291] صحيح البخاريك{6427} ومسلم{1052}
[292] فتح الباري :{279-278/11}

أخذه الدنيا وجمعها, ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقّها}[293] , قال إمام النووي رحمه الله تعالى: { ومعناه : أن نبات الربيع وخضره يقتل حبطا بالتخمة لكثرة الأكل, أو يقارب القتل, إلا إذا اقتصر منه على اليسير الذي تدعو إليه الحاجة, وتحصل به الكفاية المقتصدة, فإنه لا يضر, وهكذا المال هو كنبات الربيع مستحسن تطلبه النفوس وتميل إليه, فمنهم من يستكثر منه ويستغرق فيه غير صارف له في وجوهه, فهذا يهلكه أو يقارب إهلاكه , ومنهم من يقتصد فيه فلا يأخذ إلا يسيرا, وإن أخذ كثيرا فرقه في وجوهه. كما تثلطه الدابة لا يضره , قال : قال الأزهري : فيه مثلان: أحدهما: للمكثر من الجمع المانع من الحق, وإليه الإشارة بقوله ﷺ : {{ إن مما ينبت الربيع ما يقتل}} لأن الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منه الدابة حتى تهلك , والثاني:للمقتصد وإليه الإشارة بقوله ﷺ {{ إلا آكلة الخضر}} لأن الخضر ليس من أحرار البقول, وقال القاضي عياض رحمه الله :ضرب ﷺ لهم مثلا بحالتي المقتصد والمكثر, فقال ﷺ : أنتم تقولون إن نبات الربيع خير, وبه قوام الحيوان وليس هو كذلك مطلقا, بل منه ما يقتل أو يقارب القتل, فحالة المبطون المتخوم كحالة من يجمع المال ولا يصرف في وجوهه, فأشار ﷺ إلى أن الاعتدال والتوسط في الجمع أحسن , ثم ضرب مثلا لمن ينفعه إكثاره وهو التشبيه بآكلة الخضر, وهذا التشبيه لمن صرفه في وجوهه الشرعية, ووجه الشبه أن هذه الدابة تأكل من الخضر حتى تمتلىء خاصرتها ثم تثلط , وهكذا من يجمعه ثم يصرفه والله أعلم}[294]

قال الدكتور موسى شاهين : {{ والتحقيق أن التمثيل يعطينا ثلاث حالات, لأن الربيع ينبت البقول الحارة التى تضر وتقتل أو تقارب كثرت أو قلت , وهذه الحالة تشبها حالة جمع المال من غير حله, والكسب غير الطيب , كما ينبت الخضر الذي لا يضر تناوله بإعتدال , أو تناوله بكثرة مع التحايل على صرفه, وهذه الحالة تشبها حالة جمع المال من حلّه باعتدال, أو الإكثار منه بطريق مشروع مع أداء حقه وإنفاقه في وجوه الخير, الحالة الثالثة بطريق المفهوم وهي حالة الإكثا مع

[293] المفهم لما أشكل في صحيح مسلم كتاب الزكاة باب : الغني عني النفس{98/4}

عدم التمكن من التصريف, وهذه تقتل أو تلّم كالأولى, وهذه الحالة تشبهها حالة جمع المال ولو من حلّه والإكثار منه وجمعه مع عدم أداء حقّه. فالمال وزهرة الدنيا شرّ في حالتين من ثلاث, وحتى الثالثة في ترتيبنا محفوف بالأخطار, فأي خير هو؟ إنه في ذاته خير لا ينتج إلا خيرا, لكنه لابد له من أعراض في جمعه وفي إنفاقه , وهذه الأعراض شرّها ينتج شرّا , وخيرها ينتج خيرا , وشرّها أكثر من خيرها , فكيف لا يخاف الحريص على أمته , العزيز عليه عنتها, الرءوف الرحيم بها,كيف لا يخاف عليها هذه الشرور في وقت تبتعد فيه عن تعاليم دينه الحنيف}[295] قال الحافظ : أن صورة الدنيا حسنة مونقة والعرب تسمي كل شيء مشرق ناضرا أخضر والحاصل أنه ﷺ شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده بالنسبة إلى اليابس والحلو مرغوب فيه على انفراده بالنسبة إلى الحامض , فالإعجاب بهما إذا اجتمعا أشدّ, وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضراوات لا تبقى ولا تراد للبقاء}[296] قال القاري : والمعني إنّي أخاف عليكم أن كثرة أموالهم عند فتح بلادكم تمنعكم من الأعمال الصالحة , وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث فيكم الأخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه وما يتعلق بهما من لوازم الأمور الدنيوية والإعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الأحوال الأخرى,[297] قال النووى : وفيه التحذير من الاغترار بالدنيا والنظر إليها والمفاخرة بها وفيه استحباب الحلف من غير استحلاف إذا كان فيه زياة في التوكيد والتفخيم ليكون أوقع في النفوس}[298] قال ابن رجب رحمه الله :{{ فلهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير حقها بالبهائم الراعية من خضر الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله, فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها, فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها إما أن يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه, وهو من مات على ذلك من

---

[295] فتح المنعم شرح صحيح مسلم {415/4}
[296] الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح محمد الأمين بن عبد الله الأرمي {129/12}
[297] الكوكب الوهّاج شرح صحيح مسلم {180/12}-
[298] شرح صحيح مسلم للإمام النووي {4/ 1317}

غير توبة منه وإصلاح حال, فيستحق النار بعمله, قال تعالى: {{ والذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثوى لهم}} محمد:12 وهو هو الميت حقيقة فإن الميت من مات قلبه كما قيل:

ليس من مات فستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وإما أن يقارب موته ثم يعافى, وهو من أفاق من هذه السكرة وتاب وأصلح عمله قبل موته}}[299]

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:{{ ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه, ولا يأخذه بإشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة, والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء}}[300]

وما هي العينة التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث الشريف:

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: {{ فنجد في هذا الحديث – على إيجازه- ذكر المرض الذي شاع حتى أحاط بالمسلمين, فذكر رسول الله ﷺ نوعين من المرض على سبيل التمثيل لا التحديد:

النوع الأول: هو وقوع المسلمين في بعض المحرمات بالاحتيال عليها وهم على علم بها, وهذا كامن في قوله عليه الصلاة والسلام : {{ إذا تبايعتم بالعينة}} فالعينة كما هي معروف في كتب الفقه-: نوع من البيع يشير هذا الحديث إلى تحريمه, ومع ذلك رأى بعض العلماء- فضلا عن غيرهم – جواز هذه المبايعة,{{ إذا تبايعتم بالعينة}} أي إذا استحللتم ما حرم الله ورسوله بأدني الحيل باسم هذا البيع, والحقيقة أنه ستار, وأنه استدانة مقابل زيادة , وهذه ربا مكشوف, فحذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من أن نقع في هذا الاحتيال لاستحال ما حرم الله, فذلك أخطر من أن يقع المسلم في الحرام وهو يعلم أنه حرام , لأنه يرجى له يوما ما أن يعود إلى ربه ويتوب لعلمه بأنه حرام , أما إن زين له الشيطان سوء عمله لسبب من الأسباب, إما بالتأويل الخطأ, أو بالجهل البالغ , فظن أن عمله لا شيءفيه, فبدهي أن لا يخطر في باله يوما ما أن يتوب إلى الله عز

[299] اللطائف المعارف ص{673-674}
[300] الوصية الصغري ص{ 304-307}

وجل , فكان خطر المحّرم المستحل فكريا واعتقاديّا أشد بكثير من المحرم المكشوف, فالذي يأكل الربا, ويعلم أنه ربا,ويعتقد أنه ربا, هذا مع أنه يحارب الله ورسوله}} [301] قلت أسرع إلى الرجوع والتوبة من ذاك. و احتيال بشرع الله تعالي يؤدي إلى الذل والهوان واستحال ما حرم الله تعالي قال الشوكاني رحمه الله تعالى {{ واستدل ابن القيم على عدم جواز العينة بما روي الأوزاعي عن النبي ﷺ أنه قال: {{ يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع}} قال: وهذا الحديث وإن كان مرسلا فإنه صالح للاعتضاد به بالإتفاق وله من المسندات ما يشهد له, وهي الأحاديث الدالة على تحريم العينة, فإنه من المعلوم أن العينة عند من يستعملها إنما يسميها بيعا, وقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد ثم غير اسمها إلى المعاملة وصورتها إلى التبايع الذي لا قصد لهما فيه البتة, وإنما هو حيلة ومكر وخديعة لله تعالى.}}[302]

وقد ذهب إلى عدم جواز بيع العينة إمام أبو حنيفة وإمام مالك وإمام أحمد وذهب إمام الشافعي وأصحابه إلى جواز بيع العينية, والصحيح أن بيع العينة حرام . قال ابن القيم : قال المحرمون للعينة: الدليل على تحريمها من وجوه.

أحدها: أن الله تعالى حرم الربا ,والعينة وسيلة إلى الربا , بل هي من أقرب وسائله والوسيلة إلى الحرام حرام أحدهما: بيان كونها وسيلة والثاني: بيان أن الوسيلة إلى الحرام حرام.

فالأول: فيشهد له به النقل والعرف والنية و القصد , وحال المتعاقدين ثم قال أما النقل فيما ثبت عن ابن عباس :{{ أنه سئل عن رجل باع من رجل حريرة بمائة , ثم اشتراها بخمسين؟ فقال: دراهم بدراهم متفاضلة , دخلت بينهما حريرة } وفي كتاب محمد ابن عبد الله الحافظ المعروف بطين عن ابن عباس : أنه قال {{ إتقوا هذه العينة, لا تبيعوا دراهم بدراهم بينهما حريرة} وفي كتاب الحافظ بطين عن أنس { أنه سئل عن العينة – يعني بيع الحريرة – فقال : إن الله لا يخدع , هذا

---

[301] التصفية والتربية وحاجة المسلمين 7-8-9} بتصرف اليسير
[302] نيل الأوطار {295/5}

مما حرم الله ورسوله}} وقول الصحابي :{{ حرم رسول الله كذا أو أمر بكذا وقضي بكذا وأوجب كذا}} في حكم المرفوع اتفاقا عند أهل العلم إلأ خلافا شاذا لا يعتد به ولا يؤبه له,[303]

الفصل الثاني

[303] عود المعبود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية {338}

تحوي هذا الفصل إلى عدة المباحث هي

المبحث الأول: فتنة كثرة التسوّل.
المبحث الثاني : من يجوز له المسألة
المبحث الثالث: تحذير المؤمن عن فتنة المال.
المبحث الرابع: فتنة الشح والبخل
المبحث الخامس: فقد المصداقية في طلب الرزق,
المبحث السادس: شدّ ةالحرص .

المبحث الأول:

فتنة كثرة التسوّل:

مما افتتن كثيرا من الناس اليوم كثرة التسول لأجل تكثير الأموال ولإشباع رغباتهم البهيمية, وتمتع بها كما تتمتع الكفار والحيوان , وترى كثيرا من أبناء المسلمين يبيع دينه لأجل أن الله تعالى أباح للمؤمنين السعي وراء طلب الرزق, وأن الأموال تعبتر أجلّ نعمة الله تعالى على الناس لإقامة حياة السعيدة , ويجب طلب المال وشكر الله تعال فيها وإن من شكره تعالى أن تطلب المال ثم تصرفه في وجوه الخير , ولكنه المشكل أن هذا المتسول جعل حرفته لكسب الرزق التسول, حتى يخرج به حدّ المشروع. لقد جاء في لسان النبي ﷺ ذم التسول لتكثير حطام الدنيا به, وهذه الشهوات والرغبات, إنما جعلها الله معينا للمؤمن لعبادة الله تعالى وكذلك جعلها الله سبحانه وتعالى ابتلاءا ليمتحن بها من يكون أعماله صالحا. عابدا لله وقانتا له, قال الله سبحانه تعالى : {{إنّا

جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاۜ وإنّا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا} الكهف {8}

في هذه الأية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى جعل هذه الزينة والشهوات التي هي على ظاهر الحياة الأرض ليبتلي بها عباده أيهم أحسن عمالا,ثم هذه الآية تشير أن هذه الزينة بما فيها الأموال إنما تكون ظاهرة فوق الأرض فقط, وكأنما وافق النبي ﷺ تفسير ها عند قوله ﷺ فيما أخرجه إمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ: {{ يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنين ويبقي عمله}} وهذه الأموال إذا لم يسخر في عبادة الله تعالى, و لم تصرف في وجوه المشروع,وإلا فسيتركها على ظاهر الأرض لغيره , ثم يكون وزر كسبه عليه, وذكر ابن عطية رحمه الله تعالى: الآية بسط في التسلية, أي : لا تهتم للدنيا وأهلها, فأمرها وأمرهم أقلّ لفنائه وذهابه, فإنا إنما جعلنا على الأرض زينة أو امتحانا وخبرة}[304]

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: { والآية بسط في التسلية, أي لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فإنا إنما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لأهلها, فمنهم من يتدبر ويؤمن , ومنهم من يكفر, ثم يوم القيامة بين أيديهم فلا يعظمنّ عليك كفرهم فإنا نجازيهم. وأن الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المعجب المراى, فابتلى الله بها عباده لينظر أيّهم أحسن عملا. أي من أزهد فيها وأترك لها, ولا سبيل للعباد إلى بغضة ما زيّنه الله إلا أن يعينه على ذلك ولهذا كان عمر ﷺ يقول فيما ذكره البخاري: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زيّنته لنا, اللهم إني أسألك أن ننفقه في حقه. فدعا الله أن يعينه على إنفاقه في حقه. وهذا معنى قوله عليه السلام : {{ فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس كان كالذي يأكل ولا يشبع}} وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له منها بل همّته جمعها, وذلك لعدم الفهم عن الله تعالى ورسوله, فإن الفتنة معها وعدم السلامة غالبة , وقد أفلح من أسلم وزرق كفافا وأقنعه الله بما آتاه. وقال ابن عطية: كان أبي ﷺ يقول: في قوله: {{ أحسن عملا} أحسن العمل أخذ بحق وإنفاق

[304] المحرر الوجيز{566/5}

في حق مع الإيمان, وأداء الفرائض واجتناب المحارم والإكثار من المندوب إليه.}[305] قال في اللباب رحمه الله تعالى: { قال القاضي: وجه النظم كأنه يقول: يا محمد إنّي خلقت الأرض, وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع والمصالح , وأيضا فالمقصود من خلقها بما فيها من المصالح ابتلاء الخلق بهذه التكاليف, ثم إنهم يكفرون ويتمرّدون, ومع ذلك , فلا أقطع عنهم موادّ هذه النعم , فأنت أيضا يا محمد لا يهمّك الحزن , بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين}[306] ولا ينبغي المسلم أن يجري وراء المال والزينة, ولهذا لا بد لمسلم أن يأخذ بتعاليم النبوية الشريفة في هذا الباب يخبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض , من مآكل لذيذة ومشارب ومساكن طبية, وأشجار , وأنهار وزروع وثمار, ومناظر بهيجة , ورياض أنيقة وأصوات شجية ,وصور مليحة وذهب وفضة , وخيل وإبل ونحوها , الجميع جعله الله زينة لهذه الدار فتنة واختبارا. { لنبلوهم أيّهم أحسن عملا} أي: أخلصه وأصوبه, ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات , فانية مضمحلة, وزائلة منقضية, وستعود الأرض صعيدا جرزا, فقد ذهبت لذاتها, وانقطعت أنهارها, واندرست آثارها, وزال نعيمها , هذه حقيقة الدنيا , قد جلاّها الله لنا كأنها رأي عين, وحذرنا من الاغترار بها, ورغبنا في دار يدوم نعيمها, ويسعد مقيمها, كل ذلك رحمة بنا, فاغترّ بزخرف الدنيا وزينتها, ومن نظر إلى ظاهر الدنيا ,دون باطنها , فصحبوا الدنيا صحبة البهائم , وتمتعوا بها تمتع السوائم , لا ينظرون في حق ربهم, ولا يهتمون لمعرفته, بل همهم تناول الشهوات , من أيّ وجه حصلت , وأيّ حالة اتفقت , فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت , قلق لخراب ذاته, وفوات لذاته, لا لما قدمت يداه من التفريط والسيئات. وأما من نظر إلى باطن الدنيا , وعلم المقصود منها ومنه, فإنه تناول منها, ما يستعين به على ماخلق له , وانتهز الفرصة في عمره الشريف , فجعل الدنيا منزل عبور, لا محل حبور, وشقّة سفر, لا منزل إقامة,فبذل جهده في معرفة ربه, وتنفيذ أوامره, وإحسان العمل, فهذا بأحسن المنازل عند الله, وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم وسرور و تكريم , فنظر إلى باطن الدنيا , حين نظر المغتر إلى ظاهرها وعمل لآخرته , وحين عمل البطال لدنياه فشتان مابين الفريقين وما أبعد

[305] تفسير القرطبي{355-354/10}
[306] {426/12}

الفرق بين الطائفتين}[307] نقل شيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه الماتع الأضواء عن الزمخشري قوله في معنى هذه الأية الكريمة {ما عليها} يعنى ما على الأرض مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها. وقال بعض العلماء : كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص. على هذا القول: فوجه كون الحيّات وغيرها مما يؤذي زينة للأرض . لأنه يدل على وجود خالقه, واتصافه بصفات الكمال والجلال, ووجود ما يصلح به هذا العلم في شيئ زينة له. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع البيان المذكورة فيه : أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه- ,قلت هذا من أجمل أسلوب القرآن الكريم الذي يدل دلالة قاطعة أنه من عند الله تعالى,وأنه كلام رب العالمين حيث يأتي لفظ عام في بعض المواضع منه, ثم يأتي تفاصله في مواضع الأخري.- قال وإذا علمت ذلك , فاعلم أن قوله في هذه الآية الكريمة { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها} قد صرح في مواضع أخر ببعض الأفراد الداخلية فيه, كقوله تعالى: المال والبنون زينة الحياة الدنيا} الآية وقوله: { والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة} الآية إلى غير ذلك من الآيات.}[308] هذه الأمور المذكورة التي تعتبر من زينة هذه الحياة جعل لها الشريعة سبيلا لتملكها من غير إسراف و لاالتفريط, ثم استخدامها في مرضات الله سبحانه وتعالى, وتسخيرها لتحقيق عبودية لله تعالى, وقال شيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى: وهذا الذي أوضحنا من أنه جل وعلا جعل ما على الأرض زينة لها ليبتلي خلقه, ثم يهلك ما عليها ويجعله صعيدا جرزا : فيه أكبر واعظ للناس, وأعظم زاجر عن اتباع الهوى, وإيثار الفاني على الباقي}[309]

فلهذا ميزان الشرع في باب التسوّل يجب على المسلم ألا يتجاوز حد الذي أجاز له النبي ﷺ ,فلما تجاوز الناس في المسألة نزعت البركة في أموالهم وترى كثيرا منهم عندهم الأموال الكثيرة , لكنه لا نغنيه شيء , ويزداد حرصا على الأموال يوما بعد يوم ,نذكر الأحاديث الواردة في تحريم المسألة و في

[307] تفسير السعدي{471}
[308] أضواء البيان {22/4}
[309] أضواء البيان{24/4}

كراهيتها وفي ذمها حتى لا يزداد بها الناس فتنة, وأخرج إمام أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل رحمه الله في صحيحه باب من سأل النّاس تكثرا من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { ما يزال الرجل يسأل الناس, حتي يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم, و قال : إن الشمس تدنو يوم القيامة حتّى يبلغ العرق في نصف الأذن , فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم , ثم بموسى,ثم بحمد ﷺ}. وزاد عبد الله: حدثني الليث حدثني ابن أبي جعفر : {{ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتّى يأخذ بحلقة الباب, فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم}}[310] وفي رواية عند إمام البيهقي عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال:خرجنا إلى الشام نسأل, فلما قدمنا المدينة قال لنا ابن عمر ﷺ : أتيتم الشّام تسألون ؟ أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما تزال المسألة بالرجل حتّى يلقى الله ومافي وجهه مزعة}[311] وأخرج الإمام بن ماجه في سننه : باب من سأل عن ظهر, من حديث أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {{ من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرة جنهم فيستقلّ منه أو ليكثر}[312] وأخرج أيضا من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ من سأل وله ما يغنيه , جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا في وجهه }} قيل: يارسول الله : وما يغنيه ؟قال خمسون درهما, أو قيمتها من الذهب }}[313]وفي الحديث يدل على كراهية السؤال قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى باب كراهية السؤال والترغيب في تركه . ما يدل على أن السؤال هذا النوع عنده مكروه . والذي يظهر لي أنه حرام بهذه الصفة أي من غير احتياج ,والصحابي عبد الله بن عمر ﷺ كأنه يذهب إلى حرمة هذا النوع من التسول , والله أعلم ولهذا قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : باب النهي عن المسالة : مقصود الباب وأحاديثه النهي عن السؤال , واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة , واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين أصحهما:

---

[310] فتح الباري {383/3}ومسلم مع شرح النووي{باب كراهة المسألة للناسرقم الحديث{103-104-}-

[311] السنن الكبري للبيهقي{387/8} كتاب الزكاة رقم الحديث{7947}

[312] سنن ابن ماجه {1838}وصحح الحديث الالباني تخريج المختارة {267-269}

[313] سنن لابن ماجه {1840} وصححه الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة{499} والحديث النساني والدارمي والترمذي والطحاوي والحاكم وأحمد وابن عدي أنظر السلسلة الصحيحة , المجلد الأول قسم الثاني{899}

أنها حرام لظاهر الأحاديث ,والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط : أن لا يذل نفسه , ولا يلح في السؤال , ولا يؤذي المسؤول, فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق والله أعلم}[314] وبوّب إمام الترمذي رحمه الله تعالى في كتابه الماتع الجامع :باب ماجاء في النهي عن المسألة: ما يدل على أن مذهبه حرمته,و الإمام أبي داود رحمه الله. بوب في كتابه السنن :باب كراهية المسألة: ما يشير أنه يذهب إلى كراهية السؤال من غير مسوغ الشرعي:}[315] ثم إن الإمام البغوي رحمه الله تعالى في ذكره الحديث تحت باب تحريم السؤال إلا من ضرورة ووعيد السائل,ما يبيّن أنه يذهب أيضا إلى كونه حرام ثم كلام إمام الخطابي رحمه الله في شرح معنى الحديث : وهذا يحتمل وجوها, منها أنه يأتي يوم القيامة ساقطا ذليلا لاجاه له ولاقدر من قولهم : لفلان وجه في الناس, أي قدر ومنزلة. ومنها أن يكون وجهه الذي يلقى به عظما لا لحم عليه , إما أن تكون العقوبة نالت موضع الجناية , وأما أن تكون علامة وشعارا يعرف به لا من عقوبة مسته في وجهه. ذكره الخطابي}[316] وفي مسند الدرامي أيضا ما يدل على أن ما ذهب إليه حرمة التسؤل من غير مسوغ الشرعي . قال: باب النهي عن المسألة}[317] والدارقطني رحمه الله تعالى ظاهر ما بوّب في السنن مايدل على حرمة التسول من غير ضرورة قال باب الغنى الذي يحرم السؤال: ثم ذكرالأحاديث التى لا تخلو عنها مقال }[318]في هذا الحديث الشريف النبوي تحذير واضح عن سؤال الناس دائما بدون مسوغ الشرعي , ويأتى يوم القيامة على هذا الوصف الذي يكون علامة عليه, والذي يسأل ليجمع كثيرا من الأموال من غير حاجة, يأتي يوم البعث والنشور ليس على وجهه قطعة لحم ,

وفي الحديث دليل على حرمة التسول لكي يجمع أكبر قدر ممكن من الأموال من دون ضرورة الشرعي, لقد وقع في هذه الفتنة كثير من المسلمين اليوم, حتي بعض الدعاة ويسخرون الناس منهم لأجل كثرة التسوّل. بين الناس من أجل ذلك لايستمع بعض الناس إلى وعظهم, وكانت هذه

---

314 شرح صحيح مسلم للإمام النووي{106/4}
315 سنن أبي داود{285} وجامع الترمذي{170}
316 شرح السنة للبغوي{118/6}
317 فتح المنّان شرح المسند الجامع{188/7}
318 سنن الدار قطني{27/3}

الفعلة مشهورة في قديم الزمان بين القصاص في نهاية المجلس يعطونهم النوال, وصار التسوّل من أبرز صفات بعض الدعاء إلى دين الله تعالى من غير مسوغ الشرعي, إنما لمصلحة أنفسهم فقط. وأيضا هناك صنف أخر من المتسوّلين جعلوا ذلك حرفة لهم ويزداد أموالهم به ويأكلون أموال الضعفاء والمساكين باسم عادة السيئة, باسم أن فلان سيده لابد أن يعطيه ما عنده ولوكان فقيرا, وهؤلاء معروفون في بعض مجتمعات الإفريقية, يبني قصورا ويشتري سيارات ويحتفظ كثيرا من الأموال عن طرق التسوّل.و الحديث النبوي الشريف يحذر أمثال هؤلاء المتسوّلين, الذين يأكلون أموال الناس بهذه طريقة, وأهمهم جمع المال , ليس عند أحدهم منهم الحياء الذي يمنعه عن بسط اليد للمسألة ,ولا ينفقو طاقاتهم لكي تستفيد المجتمع منه,بل كانوا كالمرأة التى لا تنتظر من زوجها سوى النفقة كل يوم, وهم كذلك ينتظرون من الناس عطاياهم , الأمر أشد خطورة حينما يجعلون التسوّل أفضل حرفة ومهنة عرفته البشرية,بل يسخرون من أصحاب الجد والتعب والعمل لكسب أرزافهم من طريق المشروع الحلال,كما جاءت الأخبار بذلك,يتهمونهم بقلة الذكاء والخبرة وغيرذلك من أقوالهم, هؤلاء منهم الشعراء وغيرهم المعروفين بالمتسولين, وفي الحديث ما يدل على تحريم هذا النوع من التسول.قال الخطاب رحمه الله تعالى: { يحتمل أن يكون المراد أنه يأتى ساقطا لا قدر له ولاجاه, أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الاعضاء لكونه أذل وجهه بالسؤال, أو أنه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعار الذي يعرف} وقال ابن جمرة رحمه الله تعالى :معناه أنه ليس في وجهه من الحسن شيئ, لأن حسن الوجه هو بما فيه من اللحم. ومال المهلب إلى حمله على ظاهره , وإلى أن السرّ فيه أن الشمس تدنو يوم القيامة, فإذا جاء لا لحم بوجهه كانت أذية الشمس له أكثر من غيره, قال: والمراد به من سأل تكثرا هو غنى لا تحل له الصدقة , وأما هو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه. وفي هذا الحديث أن هذا الوعيد يختص بمن أكثر السؤال لا من ندر ذلك منه, ويؤخذ منه جواز سؤال غير المسلم لأن لفظ الناس يعم }[319] والذنب يكون أعظم من سأل

[319] فتح الباري{3/384-385}

أموال الناس لأجل مصلحة الدين ثم هو ينفقه في مصالحه خاصة, وهنا يكمن الفتنة في التسول. فإنه خالف قوله فعله,}} فليتقوا الله ويقولوا حقا للناس وهذه الفتنة أشد حينما ترى الدعاة يتسوّلون لكي يقوم به المصالح المسلمين , وتراهم بعد ذلك يبنون قصورا لأنفسهم ,كأنهم خالدين في هذه الحياة الدنيا وكأنهم لا يحاسبون على أفعالهم,وتراهم كل يوم بين الناس يسألهم لأجل بناء المساجد والمدراس ,لأبناء المسلمين,ثم هو ينفق هذه الأموال في مصالحه الخاصة , والله المستعان, وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ من سأل الناس أموالهم تكثرا, فإنما يسأل جمرا. فيستقلّ أو ليستكثر}}[320] قال القاضي رحمه الله تعالى: معناه أنه يعاقب بالنار, قال ويحتمل أن يكون على ظاهره , وأن الذي يأخذه يصير جمرا يكوى به كما ثبت في مانع الزكاة}[321] وفي الحديث منع كثرة التسوّل تكثرا ووعيد شديد على أن أخذ الأموال على هذه الطريقة كثرت أو قلت إنما يسأل العذاب الأليم,والذين ابتلوا بهذه الحرفة يجب عليهم أن يدرسوا أحاديث رسول الله ﷺ قبل أن يقدموا على العمل, حتى يعلم حكم الله تعالى ورسوله ﷺ فإن المسألة في غاية الخطورة جدا.: وهذا محمول على كل من سأل سؤالا لا يجوز له وخص الوجه بهذا النوع لأن الجناية وقعت به إذ قد ذل من وجهه ما أمر بصونه عنه وتصرف به في غير ما سوغ, ومن دعاء الإمام أحمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك.}[322] وبوّب الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه باب ماجاء في النهي عن المسألة من حديث سمرة بن جند ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن المسألة كدّ يكدّ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو أمر لا بد منه}} وقال هذا حديث حسن صحيح[323] }وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عامر اليحصبي قال: سمعت معاوية يقول: إياكم وأحاديث , إلا حديثا كان في عهد عمر. فإن عمر كان يخيف الناس في الله عزوجل سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : {{ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين}} وسمعت رسول الله ﷺ يقول: {{ إنما أنا خازن .

---

[320] صحيح مسلم مع شرح النووي{109/4} رقم الحديث{105}
[321] صحيح مسلم مع شرح الإمام النووي{109/4}
[322] الكوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم{143/12}
[323] سنن الترمذي{681} وصححه الالباني

فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه . ومن أعطيته عن مسألة وشرّه كان كالذي يأكل ولا يشبع}[324] وعند الإمام البخاري رحمه الله تعالى من حديث حكيم بن حزام أن حكيم بن حزام ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني, ثم سألته فأعطاني , ثم سألته فأعطاني, ثم قال: {{ يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة, فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه, ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه, كالذي يأكل ولا يشبع, اليد العليا خير من اليد السلفى}} قال حكيم: فقلت: يارسول الله , والذي بعثك بالحق, لا أرزأ أحدا بعد شيئا حتى أفارق الدنيا, فكان أبو بكر ﷺ يدعو حكيما إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ,ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه فأبي أن يقبل منه شيئا. فقال عمر: إنّي أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم, أنّي أعرض عليه حقه من هذا الفي فيأبي أن يأخذه فلم يرزأحكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي}[325] قال حافظ بن حجر رحمه الله تعالى: قال ابن أبي جمرة : في حديث حكيم فوائد, منها أنه قد يقع الزهد مع الأخذ, فإن سخاوة النفس هو زهدها . ومنها أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الزرق , فتبيّن أن الزهد يحصل خيرى الدنيا والآخرة, وفيه ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة, لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيئ الكثير فبيّن بالمثال المذكور أن البركة من خلق الله تعالى, وضرب لهم المثل بما يعهدون, فالآكل إنما يأكل ليشبع فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة , وكذلك المال ليست الفائدة في عينه وإنما هي لما يتحصل به المنافع , فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم ,}[326] {إن هذا المال}أي : في الميل إليه , وحرص النفوس عليه كفاكهة متصفة بأنها خضرة في المنظر, وحلوة في الذوق , وكل منهما يمال إليه على انفراده فكيف إذا اجتمعا ,في الحديث: جواز إعطاء السائل من مال واحد مرتين وموعظته, والحث على الاستغناء عن الناس بالصبر والتوكل على الله, وأنه لا يجبر أحد على الأخذ, وإنما أشهد عمر على حكيم , خشية سوء فبرأ ساحته بالإشهاد, وفيه ذم المسألة}[327] وذكر الدكتور

---

[324] صحيح مسلم {1037}-
[325] فتح الباري {380/3} رقم الحديث{1472}
[326] فتح الباري{381/3}-
[327] منحة الباري {563/3}

موسي في شرحه لهذا الحديث المبارك كلاما مفيدا قال: ولا يختلف اثنان ممن يرفعون رءوسهم في أن سؤال الإنسان من الغير مذلة, وإراقة لماء الوجه,وصدق رسول الله ﷺ حين يقول: مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم}} فالسؤال يذيب لحم الوجه وشيئا فشيئا, وسؤالا بعد سؤال يكلح وجه السائل في الدنيا, ويبعث يوم القيامة معلما واضحا مفضوحا بين الخلائق, فوجهه عظام وهيكل لا لحم فيه, بل كل سؤال يسأله السائل مع القدرة على الإستغناء عنه يؤثر في الوجه علامة خدش, فإذا تعدد كان خدوشا فإذا زاد أذاب لحم الوجه. منظر بشع وعقاب من جنس العمل. من لم يحفظ ماء وجهه في الدنيا, لم يجد لحم وجهه في الآخرة . لقد كان السائل يسأل في الدنيا ليزداد مالا, وليزداد من وراء ذلك وجاهة ومكانة فكان عقابه في الأخرة نقيض دوافعه وأهدافه}[328] وأخرج الإمام النسائي رحمه الله تعالى في سننه من حديث عائذبن عمرو أن رجلا أتي النبي ﷺ, فسأله فأعطاه, فلما وضع رجله على أسكفة الباب, قال رسول الله ﷺ {{ لو تعلمون مافي المسألة , مامشى أحد إلى أحد يسأله شيئا}[329] وقد ذهب إلى تحريم السؤال ابن أبي ليلي وإنها تسقط به العدالة,}[330] قال الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى: الحديث دليل على قبح كثرة السؤال, وأن كل مسألة تذهب من وجهه قطعة لحم حتى لا يبقى فيه شيئ لقوله: لا يزال , ولفظ الناس عام مخصوص بالسلطان كما يأتي, والحديث مطلق في قبح السؤال مطلقا, وقيده البخاري بمن يسأل تكثرا لا من سأل لحاجة, فإنه يباح له ذلك ويأتي قريبا بيان الغنى الذي يمنع من السؤال.قال: قال ابن العربي قوله : {{ إنما يسأل جمرا}} معناه: أنه يعاقب بالنار, ويحتمل أن يكون حقيقةأي: أنه يصير ما يأخذه جمرا يكوى به كما في مانع الزكاة}}[331] { والمسألة المحرمة أن يسأل بمعنى الفقر ليس بفقير أو يظهر من الفقر أكثر مما هو به والمكروهة أن يسأل وله أوقية,ولا يحرم ذلك عليه, لأن النبي ﷺ أعطى حكيما مرات, وكان يملك أكثر من ذلك, غير أنه كان فمن تجوز الصدقة له لأنه من المؤلفة قلوبهم , ولوكان حراما, ما

---

[328] فتح المنعم شرح صحيح مسلم{390/4}
[329] صحيح سنن النسائي للإمام الألباني {224/3}
[330] عون العمبود{2113}
[331] سبيل السلام {68/4}

أعطاه إياه غير أنه كره ذلك له.. ومن اضطر إلى المسألة, ففرض عليه أنه يسأل, ولا يكون المسئول حينئذ أفضل منه, لأن موسى والخضر عليهما السلام استطعما أهل قرية.ومن سأل على غير وجه الفقر المعروف, لأمر نزل به لحاجة أصابته أو حمالة تحمل بها, أو دية لزمته أو ليكافئ على ما يؤتى إليه فهذا حلال ولايكون المسئول أفضل من السائل}[332] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : من سأل الناس أموالهم إلحافا فأعطوه كرها, وإنما يأكل النار}[333] قال: قال أبو عبيد: وهذا التشديد في مسألة فيما نري- إنما هو من أجل أن الصدقة أوساخ الناس . فلا تحل إلا المضطر إليها وهو الذي ليس عند أهله ما يغذيهم أو يعشيهم , ومن أجل أن الله قد حرم أموال الناس بعضهم على بعض إلا بطيب أنفسهم , وقل ما سأل أخاه مسألة إلا كرهها المسئول , فإن أعطاه بغير طيب النفس , فلم يطب للسائل ما أخذ ,وإن منعه وهو كاره , فأثم السائل بادخاله المكروه على أخيه ومن كان سائلا لا محالة فمسألة الصالحين أيسر من مسألة غيرهم لأن الصدقة أوساخ الناس , وأوساخ الصالحين أحق من أوساخ غيرهم , لأن الصالح أجدر أن تطيب بما يعطى نفسه, ولا يكره ما سأل , لما يرغب فيه من ثوابه ممن سواه. وأشد المسائل وأخبثها ما كانت على وجه المسكنة والتكثير, فإن استوهب الرجل أخاه الشيء على غير وجه المسكنة والتكثير , فهو أسهل إن شاء الله}[334]

[332] كتاب الأموال المالكي{198}
[333] كتاب الأموال للزنجوي{1123}
[334] المرجع السابق{1124}

المبحث الثاني

من يجوزله المسألة

ثم هذا البحث أبين فيه على من يجوز له المسألة,ومتى يجوز بالأدلة الشرعي,لأن الله تعالى جعل رسوله ﷺ أسوة وقدوة لأمة المسلمين, ولو نظرنا في مصنفات الحديث نجد أن أكثرهم ذكروا أحاديث عن النبي ﷺ ما يدل على أنه يجوز التسؤل لفئة خاصة, ولحالة خاصة, وفي صحيح مسلم يذهب الإمام النووي في تبويبه قال باب من تحلّ له المسألة} وأخرج إمام مسلم في صحيحه من حديث قبيصة بن مخارق الهلاليّ. قال: تحمّلت حمالة , فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها, فقال : {{ أقم حتّى تأتينا الصدّقة , فنأمر لك بها} قال: ثم {{ يا قبيصة ! إن المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك, ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش {أو قال: سدادا من عيش} ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة. فحلت له المسألة , حتى يصيب قواما من عيش { أو سدادا من عيش} فما سواهنّ من المسألة يا قبيصة! سحتا يأكلها صاحبها سحتا}}[335] وفي رواية أبي عبيد من طريق الأوزاعي عن هارون بن رياب عن أبي بكر- وهو كنانة بن نعيم قال: كنت عند قبيصة بن المخارق, فأتاه نفر من قومه يسألونه في نكاح صاحب لهم , فلم يعطهم شيئا, فلما ذهبوا , قلت : أتاك نفر من قومك يسألونك في نكاح صاحب لهم , فلم تعطهم شيئا وأنت سيّد قومك ؟ فقال: إن صاحبهم لو كان فعل كذا وكذا لشيئ قد ذكره – كان خير له من أن يسأل الناس , أني سمعت رسول الله ﷺ يقول الحديث} قال الألباني رحمه الله تعالى : رجاله ثقات غير محمد بن كثير وهو الصنعاني أبو يوسف وهو صدوق كثير الغلط}[336] وذكر الإمام النساني رحمه الله تعالى في باب فضل من لا يسأل الناس شيئا: [337] في شرح الحديث النبوية قوله: تحلمت حمالة: وهي المال الذي يتحمله الإنسان أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين, كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك, وإنما تحل له المسألة , ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير

---

[335] وأبوداود {1640}والنساني {1/360-363} والدارمي {396/1}وابن أبي شيبة في المصنف {58/4} وأبوعبيدة في الأموال {1720}وابن صحيح مسلم {1311/4} رقم جارود{367} والبيهقي {21/5} وأحمد{477/3} {60/5 ,وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع{7964} الحديث1044}

[336] الإراء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل{209}

[337] انظر سنن النسائي:باب فضل من لا يسأل الناس شيئا}صحيح سنن النسئي للألباني{225}

معصية. وقوله:{ حتى يصيب قواما من عيش}أو سدادا من عيش, القوام والسداد بكسر القاف والسين وهما بمعني واحد, وما يغني من الشيئ وما تسدّ به الحاجة, وكل شيئ سددت به شيئا فهو سداد بالكسر, ومنه سداد الثغر والقارورة, وقولهم: سداد من عوز. قوله ﷺ: { حتى يقوم ثلاثة من ذوي الجحي من قومه لقد أصابت فلافا فاقة}فيقولون: لقد أصابته فاقة, والحجى مقصور وهو العقل, وإنما قال ﷺ من قومه لأنهم من أهل الخبرة بباطنه, والمال مما يخفى في العادة فلا يعمله إلا من كان خبيرا بصاحبه, وإنما شرط الحجى تنبيها على أنه يشترط في الشاهد التيقظ فلا يقبل من مغفل, وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث, وقال الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا وحملوا الحديث على الاستحباب , وهذا محمول على من عرف له ماله, فلا يقبل قوله في تلفه والإعسار إلا ببينة, وأما من لم يعرف له مال فالقول قوله في عدم المال.}[338] وشرح هذا الحديث الإمام أهل القرطبة الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: قوله : تحملت حمالة: أي ألزمتها نفسي , والحمالة: مالزم الإنسان تحمّله من غرم أو دية. وكانت العرب إذا وقعت بينهم ثائرة اقتضت غرما في دية أو غيرها, قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك. والقيام به , حتى ترتفع تلك الثائرة ولا شك أن هذا من مكارم الأخلاق, ولايصدر مثله إلا عن سادات الناس وخيارهم, وكانت العرب لكرمها إذا علمت بأن أحدا تحمّل حمالة بادروا إلى معونته, وأعطوه ما يتّم به وجه مكرمته, وتبرأ به ذمتّه, ولو سأل المتحمّل في ذلك الحمالة لم يعدّ ذلك نقصا, بل شرفا وفخرا , ولذلك سأل هذا الرجل رسول الله ﷺ في حمالته التى تحمّلها على عاداتهم, فأجابه ﷺ إلى ذلك بحكم المعونة على المكرمة ووعده النبي ﷺ بمال من الصدقة, لأنه غارم من جملة الغارمين المذكورين في آية الصدقات}[339] قال العيني رحمه الله تعالى في شرحه قول النبي ﷺ : { تحملت حمالة} الحمالة – بفتح الحاء وتخفيف الميم- هي المال الذي يتحمله الإنسان, أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين,}[340]

---

[338] شرح صحيح مسلم للإمام النووي{1311/4}-
[339] المفهم{87/3}
[340] شرح سنن أبي داود للعيني{384/6}

والخطابي : صاحب الحمالة, وهي الكفالة , والحميل الكفيل والضمين , وتفسير الحمالة: أن يقع بين القوم التشاجر في الدماء والأموال, وتحدث بسببها العداوة والشحناء, ويخاف منها الفتن العظمية, فيتوسط الرجل منهم, ويسعى في إصلاح ذات البين, ويضمن ما لأصحاب الدم أو المال يترضاهم بذلك حتى تسكن الثائرة, وتعود بينهم الألفة, فهذا رجل صنع معروفا, وابتغى بما أتاه صلاحا, فليس من المعروف أن تورّك الغرامة عليه في ماله, ولكن يعان على أداء ما تحمله منه ويعطى من الصدقة قدر ما تبرأ به ذمته, ويخرج من عهدة ماتضمنه}[341] { ما يتحمله عن غيره من دية أو غرامة لدفع وقوع حرب يسفك الدماء بين الفريقين. ذكره ابن الملك, قال الطبي : أي ما يتحمله الإنسان من المال أي يستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين فتحل له الصدقة إذا لم تكن الحمالة في المعصية. وفي النيل : وشرط بعضهم أن الحمالة لابد أن تكون لتسكين فتنة, وقد كانت العرب إذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة في دية أو غيرها قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به حتى ترتفع تلك الفتنة الثائرة, ولا شك أن هذا من مكارم الأخلاق , وكانوا إذا علموا أن أحدهم تحمل حمالة بادروا إلى معونته وأعطوه ما تبرأ به ذمته وإذا سأل لذلك لم يعد نقصا في قدره بل فخرا}[342] والإمام البغوي رحمه الله تعالى قال: وفقه الحديث أن النبي ﷺ جعل من يحلّ له من المسألة من الناس ثلاثة : غينا وفقيران , فالغني صاحب الحمالة وهو أن يكون بين القوم تشاحن في دم أو مال, فسعى رجل في إصلاح ذات بينهم وضمن مالا يبذل في تسكين تلك النائرة فإنه يحلّ له السؤال, ويعطى من الصدقة قدر ما تبرأ ذمته عن الضمان وإن كان غنيا.}[343]

الفقيران الذان يجوز لهما المسألة نذكر ما قال شراح الحديث ثم بعد ذلك نستخلص الفوائد والحكم في الحديث الشريف, في شرح سنن أبي داود للعيني رحمه الله تعالى: و الحديث فيه دليل على أنها تحرم المسألة إلا لثلاثة: الأول لمن تحمل حمالة , وذلك أن يتحمل الإنسان عن غيره دينا أو دية أو يصالح بمال بين طائفتين فإنها تحلّ له المسألة, وظاهره وإن كان غنيا فإنه لا يلزمه

[341] معالم السنن{57/2} مع شرح العين{384/6-385}
[342] عون المعبود{2111}
[343] شرح السنة{125/6}

تسليمه من ماله وهذا هو أحد الخمسة التى تحل لهم أخذ الصدقة وإن كانوا أغنياء .والثاني: من أصاب ماله آفة سماوية أو أرضية كالبرد والغرق, ونحوه بحيث لم يبق له ما يقوم بعيشه حلت له المسألة حتى يحصل له ما يقوم بحاله ويسد خلته, والثالث: من أصابه فاقة ولكن لا تحل له المسالة إلا بشرط أن يشهد له من أهل بلده لأنهم أخبر بحاله ثلاثة من ذوى العقول لا من غلب عليه الغباوة والتغفيل, وإلى كونهم ثلاثة ذهبت الشافعية للنص فقالوا لا يقبل في الإعسار أقل من ثلاثة. وذهب غيرهم إلى كفاية الإثنين قياسا على سائر الشهادات, وحملوا الحديث على الندب, ثم هذا محمول على من كان معروفا بالغني ثم افتقر, أما إذا لم يكن كذلك فإنه يحل له السؤال وإن لم يشهدوا له بالفاقة يقبل قوله. والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين أو إن لم يكن المسئول السطان}[344] {{ جائحة}} وهي غالب العرف ما ظهر أمره من الآفات , كالسيل يغرق متاعه, والنار تحرقه , والبرد يفسد زرعه وثماره, ونحو ذلك فإذا أصاب الرجل شيء من ذلك وافتقر, حلت له المسألة, ووجب على الناس أن يعطوه الصدقة من غير بينة يطالبونه بها على ثبوت فقره واستحقاقه إياها, وقال: قال الشيخ محي الدين : إنما شرط تنبيها على أنه يشترط في الشاهد التيقظ, فلا تقبل من مغفل, وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار, فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث. وقالت الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا وحملوا الحديث على الاستحباب , وهذا محمول على من عرف له ماله فلا يقبل قوله في تلفه والاعسار إلا ببيّنة, وأما من لم يعرف له ماله فالقول قوله في عدم المال قال: قال الخطابي رحمه الله تعالى: وليس هذا من باب الشهادة, لكن من باب التبيّن والتعرف, وذلك أنه لا مدخل لعدد الثلاثة في شيئ من الشهادات, فإذا قال نفر من قومه أو جيرانه ومن ذوي الخبرة بشأنه أنه صادق فيما يدعيه أعطي, قال: قلت الصواب ما قاله الخطابي, لأنه أراد أن يخرج بالزيادة عن حكم الشهادة إلى طريق انشار الخبر واشهاره , وأن المقصد بالثلاثة هنا الجماعة التي أقلها أقل الجمع , لا نفس العدد فأفهم, ثم قال: قال: الخطابي

---

[344] عون معبود{2113}-

والثانية : أن الحد الذي ينتهي إليه العطا في الصدقة هو الكفاية التي يكون بها قوام العيش, وسداد الخلة, وذلك يعتبر في كل إنسان بقدر حاله ومعيشته , ليس فيه حد معلوم ويحمل عليه الناس كلهم مع اختلاف أحوالهم,}[345] " قال القاضي رحمه الله تعالى: إشتراط هنا ثلاثة وحكم الشهادة اثنان والخبر واحد, ولعله أراد أن يخرج بالزيادة عن حكم الشهادة إلى طريق اشتهار الخبر وانتشاره, وأن المقصد بالثلاثة: هنا جماعة هي أقل الجمع لا نفس العدد, إذ ليس للثلاثة في هذا الباب أصل. والحجا: العقل , مقصور. وشرط العقل هنا في الشاهد دليل على اعتباره في الشهادة والخبر , وأن المغفل لا يلتفت لقوله, وشرط في الذي أصابته فاقة معرفة الناس ذلك, ولم يشترط في الذي أصابته جائحة , لأنها مشهورة معلومة. وهذا حكم من طلب بحق فادعى العدم, وقد عرف بمال أنه إن كانت جائحة وتلف ماله معلوما , وإلا كلف إثبات ذلك ولم ينفعه دعواه وهكذا يكون حكمها في الصدقة,}[346]{ و: الحجي} العقل, واشتراطه لأن من عدمه لا يحصل بقوله ثقة, ولا يصلح للشهادة. أو لعله عبّر به عما يشترط في المخبر والشاهد من الأمور التي توجب الثقة بأقوالهم ويكون الموصوف بها عدلا مرضيا, ومن قومه لأنهم أعلم بدخيلة أمره , واستظهر بالثالث ليلحق بالمنتشر, ولم يحتج فيمن أصابته الجائحة إلى مثل هذا لظهور أمر الجائحة فأما الفاقة فتخفى.

وفيه حدّ الإباحة إلى زوال الموجب لها ثم عوده إلى الأصل السابق الممنوع.}[347]

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: قالوا: والمحتمل بحمالة في بر وإصلاح , والمتداين في غير فساد كلاهما يجوز له أداء دينه من الصدقة, وإن كان الحميل فإنه يجوز له أخذ الصدقة إذا وجب عليه أداء ما تحمل به , وكان ذلك يجحف به.قال أبو عمر : من حجة الشافعي ومن ذهب مذهبه فيما عنه ظاهر حديث مالك في هذا الباب , وحديث قبيصة بن المخارق وقد ذكرناه بإسناده في التمهيد , وفيه : لا تحل الصدقة إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل بحمالة فحلت له المسألة حتى- يعني

---

[345] شرح سنن أبي داود للعيني{385/6}
[346] إكمال المعلم بفوائد مسلم{577/3}
[347] الفهم {88/3-}

ما تحمل به-ثم يمسك.فقوله : ثم يمسك دليل على أنه غني لأن الفقير ليس عليه أن يمسك عن السؤال مع فقره , ودليل آخر وهو عطفه ذكر الذي ذهب ماله وذكر الفقير ذي الفاقة , على ذكر صاحب الحمالة , فدل على أنه لم يذهب ماله, ولم تصبه فاقه حتى يشهد له بها}[348] قال النسدي: وهذا كناية عن كون تلك الفاقة محققة, لا مخيّلة حتى لو اشتهد عقلاء قومه بتلك الفاقة لشهدوا بها. والفرق بين هذا القسم والقسم السابق, أن الفاقة في القسم الأول ظاهرة بين غالب الناس, و هذاالقسم خفيّة عنهم. قال : قال الخطابي فيه أي في الحديث- وذلك أنه قد جعل من تحل له المسألة من الناس أقساما ثلاثة: غنيا وفقيرين, وجعل الفقر على ضربين : فقرا ظاهرا وفقرا باطنا, فالغني الذي تحلّ له المسألة هو صاحب الحمالة -كما تقدم – ثم قال : فهذا الرجل صنع معروفا وابتغي بما أتاه صلاحا, فليس من المعروف أن تورّك الغرامة في ماله, ولكن يعان على أداء ما تحمله منه, ويعطى من الصدقة قدر ما يبرأ به ذمّته, ويخرج من عهدة ما تضمّنه منه.

وأما النوع الأول: من نوعي أهل الحاجة , فهو رجل أصابته في ماله , فأهلكته والجائحة في غالب العرف هي ما ظهر من الآفات , كالسيل يغرق متاعه والنار تحرقه, والبرد يفسد زرعه وثماره ونحو ذلك من الأمور, وهذه أشياء لا تخفى آثارها عند كونها ووقوعها, فإذا أصاب الرجل شيئ منها, فذهب ماله وافتقر, حلّت له المسالة, ووجب على الناس أن يعطوه الصدقة من غير بيّنة, يطالبونه بها على ثبوت فقره,واستقاقه,

وأما النوع الآخر: فإنما هو فيمن كان له ملك ثابت, عرف له يسار ظاهر, فادعي تلف ماله من لص أو خيانة ممن أودعه أو نحو ذلك من الأمور التي لا يبين لها أثر ظاهر في المشاهد والعيان , فإن كان ذلك ووقعت في أمره الريبة في النفوس لم يعط شيئا من الصدقة إلا بعد استبراء حاله, والكشف عنه بالمسألة من أهل الاختصاص به, والمعرفة بشأنه, وذلك معنى قوله : {حتي يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: قد أصابت فلانا الفاقة}} واشتراطه الحجا تأكيد لهذا المعنى, أي لا

[348] الإستذكار{9/202-203}

يكونون من أهل الغباوة والغفلة ممن يخفى عليهم بواطن الأمور, ومعانيها , وليس هذا من باب الشهادة, لكن من باب التبيّن والتعرف, وذلك أنه لا مدخل لعدد الثلاثة في شيئ من الشهادات , فإذا قال نفر من قومه أو جيرانه أو من ذوي الخبرة بشأنه: فإنه صادق فيما يدّعيه أعطي الصدقة}}[349] : فهؤلاء جملة من تحل لهم المسألة.وهم ستة أصناف . صاحب الفتق وصاحب الجائحة وصاحب الفاقة سوى الذين يسأله محرمه والذي يسأل السلطان والذي قد أثقله الغريم, فأما الفتق. فالحرب تكون بين الفريقين فيقع بينهم الدماء والجراحات فيتحلها رجل ليصلح بذلك بينهم ولحقن دمائهم فيسأل فيها- وإن كان غنيا- حتى يؤديها وهو صاحب الحمالة والحمالة الكفالة- وأما صاحب الجائحة: فرجل أصابت ماله جائحة فذهبت به فإنه يسأل حتى يصيب سدادا من عيش, وهو ما يسد به حاجته, ثم يمسك وكل شيئ سددت به حالا فهو سداد.

وأما الفاقة : فالحاجة والفقر.وقوله : { حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجا من قومه أن قد حلت له المسألة} يقول: حتى تبلغ الحاجة منه مبلغها ليشهد له ثلاثة من ذوي العقول من قومه أن حلت له المسألة, ولا ينبغي لهم أن يشهدوا له حتى يكون بحال ألا أن يكون عنده ما يغذي أهله أو يعشيهم, وإنما أرخص لهؤلاء في المسألة دون غيرهم, لأن صاحب الحمالة إنما يسأل في دين غيره , يريد بذلك الاصلاح وتسكين الحرب بين الناس . وصاحبا الجائحة والفاقة ,إنما يسألان من الحاجة التي أصابتهما والذي يسأله محرمه إنما يسأله أن يصل رحمه , وقد أمر الله تعالى بصلة الرحم ,والذي يسأل السلطان, إنما يسأل من حقه في بيت مال المسلمين وصاحب الغرم المثقل, إنما يسأل في دينه وقد فرض الله للغارمين من الصدقات سهما معلوما}[350]

في شرح هذا الحديث مع ما مضى فيه من أقوال العلماء نستنتج منه مايأتي:

الفائدة الأولي: أن الإنسان إذا حمل حمالة يجوز له المسألة,وإن كان غنيا, ويمكن أن نقول أيضا فيما يتعلق بمصالح العامة, كبناء المساجد والمدارس, والمستشفيات, وإذا أنفق ذلك من ماله

[349] شرح سنن النسائي المسمي ذخيرة العقبي في شرح المجتبي{137-136/23}
[350] كتاب الأموال للزنجويه{1135}

الخاصة جاز له ذلك, وفيه دليل واضح أن الذي تحمل الحمالة من الدم والدفع التشاحن والخصومات وغيرها جاز له ذلك, وفي سياق الحديث دليل ذلك,هو قوله ﷺ تحملت الحمالة, ولم يستفصل النبي ﷺ أمره أغني هو أو فقير هو,

قال شيخ عثيمين رحمه الله تعالى: وعلى كل حال: {{ إصلاح ذات البين}} أن يكون بين جماعة وأخرى عداوة وفتنة فيأتي آخر ويصلح بينهم, لكن قد لا يتمكن من الإصلاح إلا ببذل المال, فيقول: أنا ألتزم لكل واحدة منكم بعشرة آلاف ريال بشرط الصلح, ويوافقون على ذلك, فيعطى هذا الرجل من الزكاة ما يدفعه في هذا الإصلاح , فيعطى عشرين ألفا.

وإذا وفّى من ماله فإنه لا يعطى , لأنه إذا وفّى من ماله لا يكون غارما فليس عليه دين.

لكن بنبغى التفصيل فيقال: يعطى من الزكاة في حالين:

1-إذا لم يوف من ماله , فهنا ذمته مشغولة, فلابد أن نفكه,

2-إذا وفى من ماله بنية الرجوع على أهل الزكاة, لأجل ألا نسد باب الإصلاح, وقد قال الله تعالى: {{ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس}} {النساء114}ولأن الحال قد تقتضي الدفع فورا . وفي حالين يعطى فيهما من الزكاة:

1-إذا دفع من ماله بينة التقرب لله, لأنه أخرجه لله فلا يجوز الرجوع فيه.

2-إذا دفع من ماله ولم يكن بباله الرجوع على أهل الزكاة}},[351]

والفائدة الثانية: إذا أصابت الإنسان جائحة كارثة سماوية وأرضية في ماله,

يجوز له المسألة ,لأن فقره بات ظاهرا أمام كل الناس,ولايحتاج له الشهدات من قومه,

[351] االشرح الممتع على زاد المستقنع{6/232-233}

والفائدة الثالثة: ورجل الذي أصابته فاقة, وهذا يحتاج أن يشهد له ثلاثة من قومه أهل العقول السليمة, حتى يحل له المسألة فهؤلاء الثلاثة يجوز لهم المسألة على قدر الحاجة,و في الآخير لابد له الشهداء من قومه وأن يكونوا أهل العلم والخبرة في حاله, وأن يكونوا مرضيين, والشهادة بالثلاثة في هذا الباب قد جاء به النص, قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والمسألة في الأصل حرام , وإنما أبيحت للحاجة والضرورة, ولأنها ظلم في حق الربوبية, وظلم في حق المسئول , وظلم في حق السائل.

أما الأول: فلأنه بذل سؤاله وفقره وذله واستعطاءه لغير الله. وذلك نوع عبودية فوضع المسألة في غير موضعها, وأنزلها بغير أهلها, وظلم توحيده وإخلاصه وفقره إلى الله وتوكله عليه ورضاه بقسمه, واستغنى بسؤال الناس عن مسألة رب العالمين .وذلك كله يهضم من حق التوحيد, ويطفئ نوره ويضعف قوته.وأما ظلمه للمسئول : فلأنه سأله ماليس عنده , فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه. وعرضه لمشقة البذل, أو لوم المنع, فإن أعطاء أعطاه على كراهة. وإن منعه منعه على استحياء وإغماض, هذا إذا سأله ماليس عليه. وأما إذا سأله حقا هو له عنده , فلم يدخل في ذلك, ولم يظلمه بسؤاله. وأما ظلمه لنفسه: فإنه أراق ماء وجهه. ذلّ لغير خالقه, وأنزل نفسه أدنى المنزلتين, ورضى لها بأبخس الحالتين. ورضى بإسقاط شرف نفسه, وعزة تعففه , وراحة قناعته وباع صبره ورضاه وتوكله, وقناعته بما قسم له , واستغناءه عن الناس بسؤالهم, وهذا عين ظلمه لنفسه, إذ وضعها في غير موضعها, وأخمل شرفها, ووضع قدرها وأذهب عزها, وصغرها وحقرها, ورضى أن تكون نفسه تحت نفس المسئول , ويده تحت يده ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع.}}[352]

وأخرج الإمام البخاري في:باب الاستعفاف عن المسألة: من حديث أبي هريرة ﷺ, ومن أبي الزبير ابن العوّام ﷺ ,والإمام مسلم :باب كراهة المسألة للناس من حديث أبي هريرة أيضا. والإمام النسائي في

[352] جامع الفقه لابن القيم{3/49-50}

المسألة: من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {{ والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه } ورواية مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {{ لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره, فيتصدق به ويستغني به من الناس,خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك. فإن اليد العليا أفضل من اليد السلفى, وابدأ بمن تعول}} ورواية الثالثة عنده أيضا:{{لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب, فيحملها على ظهره فيبيعها, خير له من أن يسأل رجلا يعطيه أو يمنعه}}[353]والإمام ابن ماجه في باب كراهة المسألة, من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن جده . ورواية الزبير بن العوّام رضي الله عنه عند البخاري: عن النبي ﷺ قال: {{ لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه}}[354] وأخرجه البيهقي من حديث الزبير ابن العوام ﷺ أيضا وأبي هريرة ﷺ: باب فضل الاستعفاف والاستغناء بعمل يديه وبما آتاه الله عزوجلّ من غير سؤال:}}[355] وفي هذه الأحاديث الشريف بيّن فيها النبي ﷺ أن الأفضل للمؤمن العمل من المسألة ولو يأخذ حبلة إلى الغابات فيحطتب خير له من ذلك كما أخرج الإمام البخاري في الأدب الفرد من حديث أنس ابن مالك ﷺ عن النبي ﷺ { إن قامت الساعة وفي يدأحدكم فسيلة, فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها, فليغرسها}[356] قال شيخ الألباني رحمه الله تعالى: { ولا أدل على الحض على الاستثمار في هذه الأحاديث الكريمة , لا سميا الحديث الأخير منها, فإن فيه ترغيبا عظيما على اغتنام آخر فرصة من الحياة في سيبل زرع ما ينتفع به الناس بعد موته , فيجرى له أجره , وتكتب له صدقته إلى يوم القيامة. وقد ترجم الإمام البخاري في المصدر السابق – الأدب- لهذا الحديث بقوله: {{ باب اصطناع المال}}.[357] وهذا يدل

---

[353] فتح الباري {380/3} رقم الحديث 1470}شرح صحيح مسلم مع والنسائي {2583} وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي {224/2}- النووي{1309/4} رقم الحديث{1042}

[354] فتح الباري {380/3} رقم الحديث 1471} وابن ماجه{ص320} ورقم الحديث{1836}

[355] السنن الكبري كتاب الزكاة{383/8} رقم الحديث{7941-7942}- وأخرجه أبو يعلى الموصلي{36/2} رقم الحديث{675}والطبرائي المعجم الكبير{252-250} وشرح السنة للبغوي{1613-1616}والإمام أحمد في المسند {1432-1374} وغيرهم

[356] الأخرج الحديث الإمام أحمد {183/3-} والطيالسي {رقم2068} رقم 479}وصححه شيخ الألباني {ج1ق38/1}الفسيلة : هي النخلة الصغيرة - والبخاري الأدب{

[357] السلسلة الصحيحة{1/ق38/1}

على أن النبي صلي الله عليه وسلم وجه الأمة إلى خير العمل كون ذلك بيده أفضل من السؤال.قال الإمام النووى رحمه الله تعالى: فيه الحث على الصدقة , وعلى الأكل من عمل يده والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في أموات}[358] { وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك, و لو لا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها .وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال و من ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسئول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل, وأما قوله: {خير له} فليست بمعنى أفعل التفضيل إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الاكتساب والأصح عند الشافعية أن سؤال من هذا حرام , ويحتمل أن يكون المراد بالخير فيه بحسب اعتقاد السائل وتسميته الذي يعطاه خيرا وهو في الحقيقة شر والله أعلم}[359] { والمراد أن ما يلحق الإنسان بالاحتزام من التعب الدنيوي خير له مما يلحقه بالسؤال من التعب الأخروي فعند الحاجة ينبغي له أن يختار الأول ويترك الثاني}[360] من أن يريق ماء وجهه بالسؤال من الناس, فهو إن لم يجد من الحرف إلا الاحتطاب, فهو خير له من أن يسأل الناس أمرا دنيويا وفي الحديث: فضيلة الاكتساب بعمل اليد, حتى قيل: إنه أفضل المكاسب, وقال الماوردي: أصول المكاسب: الزراعة والتجارة والصناعة }[361] في هذا الحديث كراهية السؤال لكل من فيه طاقة على السعي والاكتساب , وفيه ذم المسألة, وحمد المعالجة والسعي والتحرف في المعيشة, وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ – في ذم المسألة كثيرة صحاح , فيها شفاء لمن تدبرها ووقف على معانيها, وهي تفسير معنى هذا الباب وتوضح المراد من حديثه – والله الموفق للصواب}[362] وهذه أقوال العلماء كلها تدل على ظاهرة ماافتتن بها بعض أبناء المسلمين٬ألا هي التسؤل سواء كان في مساجد وطرقات وشوارع وغير ذلك , لتكثير من أموالهم من دون ضرورة الشرعي, وإن ذلك لفتنة حب الشهوات وحب زينة الحياة الدنيا, المال

[358] شرح صحيح للنوي{1309/4،}
[359] فتح الباري{380/3}
[360] شرح سنن ابن ماجه السندي{400/2}-
[361] منحة الباري{562/3}
[362] التمهيد لابن عبد البر{321/18}

طيب لذيذ يساعد الإنسان على حصول كثير من متاع حياة الدنيا, وإشباع رغبات الناس ,و حاجياتهم, هذا لمن وفقه الله تعالى على طلب المال على وجهه المشروع,ونفقته على مرضات الله تعالى,ولم يجعل أكبر همه جمع المال من كل جهات, ولهذا ينبغي لهؤلاء المتسولين أن يتذكروا أن هذا المال, موفقهم مع الله يوم القيامة شديد.ولهذا جاء الأحاديث عن النبي ﷺ, لمنع المسألة إلا فيما لابد فيه, بل وجه الأمة إلى أشرف الكسب هو عمل اليد,بل الذي يسأل الناس كثيرا من غير ضرورة يأتي يوم القيامة وله علامة على وجه يعرفه الناس بها, وكان النبي ﷺ يربي أصحابه رضي الله عنهم عدم الإلحاف في المسألة وأخرج الحديث إمام مسلم رحمه الله تعالى والنسائي وغيرهما من حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ { لا تلحفوا في المسألة. فوالله ! لا يسألني أحدكم منكم شيئا, فتخرج له مسألته منّي شيئا, وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته}[363] وكذا يجب على المسلم أن يتأدب بتوجيهات النبي ﷺ ,و في هذا الحديث دعاؤه على الملحف في المسألة بمحق البركة فيها, وأنظر إلى هذا الحديث كيف يوصي النبي ﷺ أصحابه وأمة الإسلامية ويحثهم القناعة واستغناء بالله أخرج النسائي رحمه الله تعالى باب من الملحف من حديث أبي سعيد ﷺ قال: سرحتني أمي إلى رسول الله ﷺ فأتيته وقعدت,فاستقبلني, وقال: {{ من استغنى أغناه الله –عز وجل- ومن استعف أعفّه الله –عز وجلّ, ومن استكفى كفاه الله – عز وجل- , ومن سأل وله قيمة أو قية, فقد ألحف} فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية ! فرجعت ولم أسأله}[364] ورسول الله ﷺ يعقد المبايعة مع أصحابه رضي الله عنهم, أن لا يسألوا حدا شيئا. وأخرج أبو دارد في سننه: باب كراهية المسألة: من حديث عوف بن مالك ﷺ قال: كنّا عند رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال:{{ ألا تبايعون رسول الله ﷺ – وكنا حديث عهد ببيعة – قلنا : قد بايعناك , حتى قالها ثلاثا وبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل: يارسول , إنّا قد بايعناك, فعلام نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس, وتسمعوا وتطيعوا وأسرّ كلمة خفية قال: { ولا تسألوا الناس شيئا}قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل أحدا

---

[363] شرح مسلم للنووى{1307/4} رقم الحديث{100} وسنن النسائي رقم {2591}

[364] صحيح سنن النسائي {227/2} رقم 2594} قال الألباني حسن صحيح وصحيح أبي داود {1440 }الصحيحة {1719}}

أن يناولـه}[365] لقد ضمن النبي ﷺ لكل مؤمن صحيح العقيدة عابد لله بدخول الجنة إذا ترك مسألة الناس أخرج أبوداود رحمه الله تعالى من حديث ثوبان – وكان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله ﷺ : {{ من تكفّل لي أن لا يسأل الناس شيئا فأتكفّل له بالجنة؟} فقال ثوبان : أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا}[366] {في فوائد: منها ما ترجم له المنصف رحمه الله, وبيان فضل من لايسأل الناس شيئا من أموالهم تعففا, حيث يجازى بالجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت, ولاخطر على قلب بشر. {ومنها} بيان دناءة سؤال الناس, فإنه مذلة ومذمة,و إراقة لماء الوجه,{ومنها}: بيان فضل ثوبان ﷺ حيث وعده رسول الله ﷺ بالجنة, وقد وفى هو بما التزمه, كما بينته روايتا أحمد وابن ماجه السابقتان,{ومنها}: ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الالتزام بوفاء ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ.والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمأب هو حسبنا ونعم الوكيل}[367] ولقد أمر النبي ﷺ أمته أن تتوكل على الله وأن تسأله في رفع الفاقة عنها وأن لا تنزلها على الناس أخرج أيضا من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: { من أصابه فاقة فأنزلها بالناس لم تسدّ فاقته, ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى: إما بموت عاجل أو غنى عاجل}}[368] وإن كان لابد له من المسألة إما أن يسأل صاحب السلطان لأن ذلك لايكون قد ذل نفسه لإعطائه من بيت مال المسلمين,وكل ذلك يدل على أن المسلم يجب عليه أن يبتعد من إذلال نفسه أمام شهوات المال, الذي حسابه عند الله شديد.وترى الناس اليوم يتكالبون لأجل هذا المال وأرحام قطعت لأجله, وأوامر الله ورسوله لقد ضعيت لأجله, والأباء لا يربون أولادهم تربية صحيحة الإسلامية لأجل هذا المال. وأصبح التباغض والتحاسد والتبدابر, واتباع سنن الكفار والاقتداء بهم , وتأدب بأدابهم,وكان كل هذه بسبب فتنة المال.

---

[365] سنن أبي داود 285}رقم 1642} وصححه الألباني -
[366] سنن أبي داود رقم {1643}
[367] ذخيرة العقبي {185/23}-
[368] -مرجع السابق{1645}

المبحث الثالث

تحذير المؤمن من فتنة المال

ولقد حذر الله سبحانه تعالى عباده المؤمنين من فتنة زينة الحياة الدنيا بما فيها الأموال التى افتنت كثيرا من الناس, ويبنون قصورا كأنهم خالدين في هذه الحياة الدنيا, وكأن لسان حالهم يقول: ليس هنالك حساب ,أطلب الأموال من أي جهة كان , أمن حلال أو من حرام وضرب الله سبحانه وتعالى مثالا لهذه الحياة ولهذه الزينة فيها, وبين للمؤمنين حقيقة الحياة الدنيا , ولا ينبغي لإنسان المؤمن أن يكون أكبر أهمه دنيا التى هي هذه الزينة الموجودة على ظاهرها , إنما هي التفاخر والتكاثر بين الناس, لكن هذه الأموال لا ينتفع بها إنتفاعا صحيحا إلا إذا استخدمها في مرضات الله, لما ذكر الله تعالى صفات الذين آمنوا بالله ورسله ووصفهم أنهم هم الصديقون , والشهداء ولهم عند الله المالك الملك حسن ثواب وأجر عظيم , ثم بيّن حال الكفار الذين كذبوا بالله وآياته ورسوله أنهم هم أصحاب الجحيم, ثم وجه الله تعالي خطابه إلى أصحاب العقول السليمة, يخبر هم حقيقة الدنيا, وحقيقة هذه التنافس فيها, وحقيقة التكاثر بينهم بأموالهم وأولادهم, {{ علموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الأخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ومالحياة الدنيا إلا متاع الغرورۚ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم}} الحديد{20} {هذه آية وعظ وتبيين لأمر الدينا وضعة منزلتها ,وأنما سادّة مسدّ للمفعولين للعلم , لأنها لا تدخل على اثنين وهي- وإن كفّت عن العمل- فالجملة بعدها نافية.

والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الأشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا , وأما ماكان من ذلك في طاعة الله تعالى , وسبيله, وما كان من الضرورات التي تقيم الأود وتعين على الطاعات, فلا مدخل له في هذه الآية , وتأمل حالة الملوك بعد فقرهم يبين لك أن جميع ترفهم لعب ولهو. والزينة : التحسين الذي هو خارج من ذات الشيء , والتفاخر هو بالأنساب والأموال وغيرها والتكاثر هو الرغبة في الدنيا وعددها لتكون العزة للكاثر على المذهب الجاهلي.

ثم ضرب تعالى مثلا للدنيا فالكاف في قوله تعالى {كمثل} في موضع رفع صفة لما تقدم, وصورة هذا المثل أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك, فيشبّ ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس, ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويضمحل أمره, وتصير أمواله لغيره وتتغير رسومه, فأمره مثل مطر أصاب أرضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق, ثم هاج أي يبس واصفر ثم تفرق بالرياح واضمحلّ , واختلف المتأولون في لفظة {الكفار} هنا- فقال بعض أهل التأويل: هو من الكفر بالله تعالى, وذلك أنهم أشدّ تعظيما للدنيا, وأشدّ إعجابا بمحاسنها, وقال آخرون منهم: هو من كفر الحب أي ستره في الأرض , وهم الزراع وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة الذي لا عيب فيه, ثم { وفي الآخرة عذاب شديد}} كأنه تعالى قال: والحقيقة ما هنا ثم ذكر العذاب أولا تهمما به من حيث الحذر في الإنسان ينبغي أن يكون أولا, فإذا تحذّر من المخاوف مدّ حينئذ أمله, فذكر الله تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان , ومتاع الغرور} معناه: الشيئ الذي لا يعظم الاستمتاع به إلا مغترّ . وقال عكرمة وغيره : متاع الغرور : القوارير, لأن الفساد والآفات تسرع إليها , في الدنيا كذلك أو أشد.[369]} { يقول تعالى ذكره : اعملوا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم, وماهي إلا{ لعب ولهو} تتفكهون به{ وزينة} تتزيّنون بها { وتفاخر بينكم} يفخر يعضكم على بعض بما أولي فيها من رياسها{ وتكاثر في الأموال والأولاد} يقول تعالى ذكره : يباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد. { كمثل غيث} وذلك مطر{ أعجب الكفار نباته ثم يهيج} يقول تعالى ذكره: ثم ييبس ذلك النبات { فتراه مصفرا} بعد أن كان أخضر نضرا . وقوله: {{ ثم يكون حطاما} يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطاما, يعنى به أن يكون نبتا يابسا متهشّما { وفي الأخرة عذاب شديد} يقول تعالى ذكره : في الآخرة عذاب شديد للكفار { ومغفرة من الله تعالى ورضوان} لأهل الإيمان بالله ورسوله,}[370]

[369] المحرر الوجيز {8/234-235}
[370] تفشير الطبري{22/416}-

{ فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبغى: اعلموا أن الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي , وقال قتادة : لعب ولهو: أكل وشرب وقيل : إنه على المعهود من اسمه قال: مجاهد: كل لعب لهو , وقيل : للعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة , أي شغل عنها. وقيل اللعب الاقتناء وللهو النساء { وزينة} الزينة ما يتزين به , فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة , وكذلك من تزين في غير طاعة الله , وتفاخر بينكم: أي يفخر بعضكم على بعض بها ,لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال , وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة, وقيل معنى أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء, وعن علي ﷺ قال لعمّار : لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح, فأحسن طعامها العسل هو بزقة ذبابة, وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان ,وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة , وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة , وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال, وأما المنكوح فالنساء}[371]

قال سعيد بن جبير : الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة , فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة , فنعم المتاع ونعم الوسيلة}[372] يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها { إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد} أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال تعالى: { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة والله عنده حسن المآب}[373]

قال الله سبحانه وتعالى: { ياأيهاالذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعملوا أنما أموالكم وأولادكم فتنة}{الأنفال 28}في هذه الأية الكريم يبين الله تعالى فيها فتنة المال والولد, لإنهما يلهيان العبد عن طاعة الله تعالى, وحب المال في الإنسان قد يؤديه إلى طلبه

---

[371] تفسير القرطبي{
[372] اللباب{488/18}
[373] تفسير ابن كثير{312/4}

بطرق الحرام, وقد يمنع عن أداء ما أوجب الله عليه, وحب المال في قلب الإنسان قد يكون خائنا بسببه, وقد يؤدي إلى تفاخر بين الناس, وإلى البغي , قال الله تعالى تنبيها للمؤمنين اعملوا هذه الأموال والأولاد فتنهوا بذلك, كم من الناس من كان فقيرا متواضعا عابدا لله يصل رحمه يرحم عباد الله,ويؤدي أوامر الله تعالى ويتجنب عن معصيته, ويأمر بالعروف وينهي عن المنكر, ويلتزم بسنة النبي ﷺ, فلما أعطى من المال انقلب على وجهه خسر الدنيا والأخرة, تراه متكبرا ويضيع أوامر الله تعالى ويقطع رحمه و لايرحم عباد الله تعالى ويرتكب معصية الله ويترك الإلتزام بالسنة , ويأمر بالمنكر ويهي عن المعروف, ويحارب الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر, ويستسخر بأولياءالله, ويكفر بنعمة ربه وخالقه, وينفق ماله في صدّ عن سبيل الله تعالى, ويكون معينا للشيطان في تنفيذ خطته في إضلال عباد الله تعالى. وفي هذه كلها خائن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بماعهدا إليه,من إقامة أمر الله.

:{ وهذا تنبيه على الحذر من الخيانة التى يحمل عليها المرء حب المال وهي خيانة الغلول وغيرها, فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام. وعطف الأولاد على الأموال لاستيفاء أقوي دواعي الخيانة فإن غرض جمهور الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأبناءهم من بعدهم, وقد قرن الأموال والأولاد في التحذير. ونجده في القرآن – وجيء في الإخبار عن كون الأموال والأولاد فتنة بطريق القصر قصرا ادعائيا لقصد المبالغة في إثبات أنهم فتنة, وجعل نفس الأموال والأولاد فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما يشأ عنها, فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة}[374] ويبين أبو السعود في تفيسره للأية أن الأموال والأولاد فتنة{ لأنهما سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله تعالى عز وجل ليبلوكم في ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخياية كأبي لبابة { وأن الله عنده أجر عظيم } لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه}[375] إن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى

[374] تفسير التحرير والتنوير{324/9-325}
[375] تفسير أبو السعود{483/2}-

على ذوى الألباب, إذ أموال الإنسان عليها مدار معيشته وتحصيل رغائبه وشهواته ودفع كثير من المكاره عنه, من أجل ذلك يتكلف في كسبها المشاق ويركب الصعاب, ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام ويرغبه في القصد والاعتدال, ويتكلف العناء في حفظها وتتنازعه الأهواء في إنفاقها, ويفرض عليه الشارع فيها حقوقا معينة : كالزكاة ونفقات الأولاد والأزواج وغيرهم , وأما الأولاد فحبهم مما أودع في الفطرة فهم الأفئدة وأفلاذ الأكباد لدى الآباء والأمهات , ومن ثم يحملها ذلك كل ما يستطاع بذله في سبيلهم من مال وصحة وراحة.فحب الولد يحمل الوالدين على اقتراف الذنوب والآثام في سبيل تربيتهم والإنفاق عليهم , وتأثيل الثروة لهم , وكل ذلك قد يؤدي إلى الجبن عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق أو الأمة , وإلى البخل بالزكاة والنفقات المفروضة والحقوق الثابتة, كما يحملهم ذلك على الحزن على من يموت منهم بالسخط على المولى والاعتراض عليه إلى نحو ذلك من المعاصي. كنوح الأمهات وتمزيق ثيابهم ولطم وجوههن, وعلى الجملة ففتنة الأولاد أكثر من فتنة الأموال, فالرجل يكسب المال الحرام ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل الأولاد. فيجب على المؤمن أن يتقى الفتنتين , فيتقى الأولى بكسب المال من الحرام وإنفاقه في سبيل البر والإحسان , ويتقى خطر الثانية من ناحية ما يتعلق منها بالمال ونحوه بما يشير إليه الحديث. ومن ناحية ما أوجبه الدين من حسن تربية الأولاد وتعويدهم على الدين والفضائل وتجنيبهم المعاصى والرذائل}[376] لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب وصادة عن الأمور الآخرة فصاروا من هذه الحيثية محنة يختبر الله بها عباده وإن كانوا من حيثية زينة الحياة الدنيا كما في الأخرى . عن عبد الله بن مسعود قال: ما منكم من أحد إلا وهو يشتمل على فتنة , لأنه مضلات الفتن , وقال زيد: فتنة الاختبار اختبرهم وقرأ{ ونبلوكم بالشر والخير فتنة} { والله عنده أجر عظيم} فآثروا حقه على أموالكم وأولادكم ليحصل لكم ماعنده من الأجر المذكور,[377]} : جعل الأموال والأولاد فتنة, لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده, { والله عنده أجر عظيم}فعليكم أن تنوطوا

---

[376] تفسير المراغي {9/194-195}-

[377] فتح البيان{163/5

بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم , وتزهدوا في الدنيا, ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد, حتى تورطوا أنفسكم من أجلها, كقوله{ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا} الكهف:46 [378]} يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيها المؤمنون إنما أموالكم التى خولكموها الله, وأولادكم التى وهبها الله لكم, اختبارا وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فها والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها, { وأن الله عنده أجر عظيم} يقول: واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم , على طاعتكم إيّاه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم , التى اختبركم بها في الدنيا , وأطيعوا الله فيما كلّفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.[379]}: لما كان الدّاعي إلى الإقدام على الخيانة هو حب الأموال, والأولاد نبّه تعالى على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك.[380]} أمر تعالى الناس هذه الآية الكريمة أن يعلموا أن أموالهم وأولادهم فتنة يختبرون بها, هل يكون المال والولد سببا للوقوع فيما لا يرضي الله ؟ وزاد في موضع آخر أن الأزواج فتنة أيضا كالمال والولد, فأمر الإنسان بالحذر منهم أن يوقعوه فيما لا يرضي الله , ثم أمره إن اطلع على ما يكره من أولئك الأعداء الذين هم أقرب الناس له, وأخصهم به هم الأولاد والأزواج أن يعفو عنهم ويصفح ولا يؤاخذهم فيحذر منهم أولا, ويصفح عنهم إن وقع منهم بعض الشيء , وذلك في قوله في التغابن: {ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم15} [381]: الأموال والأولاد فتنة واختبار يمتحن به المؤمن الصادق الإيمان, فإن كان كسب المال حلالا وإنفاقه في وجوه الخير, نجا صاحبه من إثمه وطغيانه, وإن ربي الوالد ولده تربية دينية خلقية, وأطعمه الحلال الطيب خلص من الحساب يوم الآخرة. وإن كان العكس في كل ذلك عرّض نفسه للعقاب والإثم. قد عرف من سبب

[378] تفسير الكشاف{575-574/2}
[379] تفسير الطبري{126/11}
[380] اللباب{498/9}
[381] أضواء البيان {411/2}

النزول أن وجود الأموال والأولاد لأبي لبابة في بني قريظة هو الذي حمله على ملاينتهم[382]}: ولما كان العبد ممتحنا بأمواله وأولاده فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده , وأنها عارية ستؤدى لمن أعطاها ,وترد لمن استودعها { وأن الله عنده أجر عظيم} فإن كان لكم عقل ورأي فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة, فالعاقل يوازن بين الأشياء ويؤثر أولاها بالإيثار وأحقها بالتقديم.[383]}ذكر ابن الجوزي في معنى هذه الأية أن الأموال والأولاد : أي بلاء وشغل عن الآخرة.فالمال والأولاد يوقعان في العظائم . قال ابن قطيبة: أي إغرام . يقال :فتن فلان بالمرأة وشغف بها أي أغرم بها, وقال الفراء: قال أهل المعاني: إنما دخل من في قوله تعالى: {{إن من أزواجكم }} لأنه ليس كل الأزواج, والأولاد أعداء , ولم يذكر {{من }}في قوله تعالى: {{ إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنها لا تخلوا من الفتنة, واشتغال القلب بها, [384]} وكذلك قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى الأموال والأولاد : بلاء واختبار وشغل عن الآخرة . يقع بسببهما الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام{ والله عنده أجر عظيم } قال بعضهم : لما ذكر الله العداوة أدخل فيه {من } للتبعيض, فقال : {إن من أزواجكم وأولادكم} لأن كلهم ليسوا {بأعداء} ولم يذكر {من } في قوله: { إنما أموالكم وأولادكم فتنة} لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب. وكان عبد الله بن مسعود ﵁ يقول: لا يقولنّ أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة, فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلا مشتمل على فتنة, ولكن ليقل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن. ثم ذكر حديثا بسنده عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران , يمشيان ويعثران, فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه, ثم قال : {صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة} نظرت إلى هذين

[382] تفسير المبين{316/5}
[383] تفيسر السعدي{319/9}
[384] زاد المسير لابن الجوزي{285/8}

الصبيين يمشيان , فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[385] } وخص الأموال والأولاد بتوجه النهي عن الاشتغال بها انشغالا يلهي عن ذكر الله, لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها, وتشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها, وأما ذكر الأولاد فهو إدماج لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم وقضاء الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسي عن ذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغير هما,[386] }

قال الله سبحانه وتعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرونّ ۝ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين}المنافقون(10-9) في هاتين الأيتين الكريمتين يبين الله سبحانه أن من فتنة المال أن تلهى عن ذكر الله تعالى, وكذلك الأولاد, وفي طلب الأموال قد يترك الإنسان بماأوجبه الله عليه من الطاعات, ولهذا يحذر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فنتة المال والأولاد هي ترك ما أوجبه الله عليهم ورسوله من العبادات لأجل المال والولد, لم يخلق الله الإنسان لأجل المال والولد إنما خلق لعبادته تعالى كما قال الله تعالى: { وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدوني} ياابن آدم خلقت لعبادة الله تعالى , وخلق لك مافي الأرض, كما قال الله تعالى: هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا}} أما إن ألهاه ماله ولده عن عبادة الله تعالى فذلك هو الخاسر في الدينا والآخرة, ثم أمر المؤمنين بإنفاق ما أعطاهم الله من الأموال, قبل أن يندموا حين لا ينفع الندم , وأن لا يفتتنوا بهذه الأموال عن مرضات الله تعالى ويؤثروا حياة الدنيا على الآخرة فيكونوا على هذا الحال حتى يأتيه الموت حينها يريد أن يؤخر أجله لينفق ماله, ويتصدق من ماله ليكون

---

[385] تفسير البغوي{144/8} والحديث أخرج أبوداود باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يخدث {20/2} والترمذي في المناقب {278/10-1279} وقال : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد, والنسائي في الجمعة باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة{108/3} وابن ماجه في اللباس باب لبس الأحمر للرجال برقم { 3600} 1190/2} وابن حبان برقم{2230} والحاكم{287/1} والإمام أحمد {304/5} وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم {3757}

[386] تفسير التحرير والتنوير{251/28} -

من الصالحين, هذه الأموال التى افتتن كثيرا من الناس,و في البحث عنها فتنة وبلايا ومعصية الله تعالى إلا من رحم الله تعالى, وتضيع الصلوات وترك صلاة الجماعة والجمعات, والركوب الصعاب والمشقات والحكايات في الباب كثيرة, وقطعت الأرحام من أجلها وتحاسد الإخوة لأجلها, وطلب العون من السحرة والمشركين والشياطين لأجلها, وذبح للجن والشياطين لأجل كثرة الأموال, وبيع الحرام ,و الإقتال وأكل أموال الناس بالباطل , والتسول من غير الحاجة إليه, وإذلال المسلم نفسه وإهانته لأجل المال, وعدم الثقة بالله و فقد التوكل على الله تعالى. وتري هذا الصنف من الناس يثق ما في يديه أكثر مما عند الله تعالى, وعقيدة التوكل على الله تعالى في طلب الزرق أصبح قليلا إلا من رحم الله تعالى, وهذا الصنف من الناس يثقون السحرة والكهنة والمشركين, ما لا يثقون به الله سبحانه المالك الملك الرزاق الواهب, ولهذا حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن لا يلهيهم أمولهم وأولادهم عن طاعة الله تعالى,ثم بين لهم سبيل الذي ينجيهم من فتنة المال هو الإنفاق في سبيل الله تعالى قبل فوات الأوان.:حذر المؤمنين أخلاق المنافقين: أي لا تشتغلو ا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا –لأجل الشح بأموالهم -: { لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} وقوله: { عن ذكر الله } أي : عن الحج والزكاة وقيل: عن قراءة القرآن وقيل عن إدامة الذكر , وقال الضحاك: عن الصلوات الخمس, قال الحسن: عن جميع الفرائض كأنه قال: عن طاعة الله – قلت هو الصحيح أن المال قد يشغل صاحبه عن هذه العبادات, - كلها[387]} : أي يا أيها المؤمنون المصدقون بالله تعالى ورسوله ﷺ لا تشغلكم الأموال وتدبيرها والأولاد والعناية بشؤونها عن القيام بذكر الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل وأداء فرائض الإسلام وحقوق الله تعالى.ثم حذر من المخالفة وتوعد اللاهين بالدنيا, أي ومن يلتهي بالدنيا ومتاعها وزخارفها وزينتها, ويصرف عن الدين وطاعة ربه وذكره , فإنه من الخاسرين الكاملين في الخسران , الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة لأنه باع خالدا باقيا بفان زائل ثم حثّ المؤمنين على الإنفاق في طاعته فقال أي وأنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير , شكرا على

[387] اللباب {117/19}

النعمة , ورحمة بالفقراء , ورعاية لمصلحة الأمة العامة, من قبل مجيء أسباب الموت ومشاهدة علاماته, فيقول الواحد منكم : هلا أمهلتني وأخّرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة, فأتصدق بمالي, وأكن من الصالحين المستقيمين.[388] }

{:- لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره الصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود, والمراد نهيهم عن اللهو بها. وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذل قال : { ومن يفعل ذلك} أي للهو بها هو الشغل{ فأولئك هم الخاسرون} لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.[389] }: الإلهاء: الاشتغال بشهوة ولذة وذكر الله عام في التوحيد والصلاة والدعاء وغير ذلك من فرض ومندوب هذا قول الحسن وجماعة من المفسرين, وقال الضحاك وعطاء وأصحابه: المراد بالذكر الصلاة المكتوبة والأول أظهر.[390] }{ لا تلهكم } لا تشغلكم { أمولكم} والتصرف فيها , والسعي في تدبير أمرها : والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال, وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها{ ولآ أولادكم} وسروركم بهم وشفقتكم عليهم , والقيام بمؤنهم, وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم , وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد, وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله { عن ذكر الله} وإيثاره عليها{ ومن يفعل ذلك} يريد الشغل بالدنيا عن الدين{ فأولئك هم الخاسرين} في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني : من قبل أن يأتي أحدكم الموت} من قبل أن يرى دلائل الموت , ويعاين ما ييأس معه من الإمهال, ويضيق به الخناق, ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول,فيتحسر على المنع, ويعضّ أنامله على فقد ما كان متمكنا منه. عن ابن عباس ﷺ-: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت, فلا تقبل توبة , ولا ينفع عمل عنه, فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها.[391] }: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره , فإن في ذلك الربح والفلاح , الخيرات الكثيرة, وينهاهم عن أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره , فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس, فتقديمها على محبة الله, في ذلك الخسارة العظيمة ولهذا قال

---

388 تفسير المنير{612-611/14}
389 تفسير البيضاوي{409/3}
390 المحرر الوجيز{315/8}
391 الكشاف{129-128/6}

تعالى: { ومن يفعل ذلك } أي يلهه ماله وولده عن ذكر الله { فأولئك هم الخاسرون} للسعادة الأبدية والنعيم المقيم , لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى قال تعالى: { إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم} وقوله { وأنفقوا مما رزقناكم} يدخل في هذا النفقات الواجبة من الزكاة والكفارات ونفقة الزوجات والمماليك ونحو ذلك ,والنفقات المستحبة, كبذل المال في جميع المصالح , وقال { مما رزقناكم} ليدل ذلك على أنه تعالى لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم, بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم ويسر لهم أسبابه.فليشكروا الذي أعطاهم, بمواساة إخوانهم المحتاجين وليبادروا بذلك ,قبل الموت الذي إذا جاء لم يمكّن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير,[392]

قال الله سبحانه وتعالى: { وقالوا: نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ۝ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا}سبأ35-36} في هذه الأية بين الله تعالى فيها أن كثر الأموال والأولاد لا يقربكم من الله شيئا, إنما يقربكم إلى الله تعالى العبادات وابتغاء مرضات الله تعالى, وإتباع سنة النبي ﷺ , والإلتزام بالشرع, قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل, وأنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ , وأن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى كفر به مترفوها وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها,{ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً} أي ممن اتبع الحق {و ما نحن بمعذبين} أي أولا لسنا بمبعوثين فإن بعثنا فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا, سيعطينا أكثر من ذلك في الأخرة ولا يعذبنا, فأجابهم الله تعالى, بأن بسط الرزق وتضييقه مشيئة الله إن شاء بسطه لعبده وإن شاء ضيّقه, وليست الأموال والأولاد بالتي تقرب إلى الله زلفى وتدني إليه, وإنما الذي يقرب منه زلفى, الإيمان بما جاءت به المرسلون, العمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان, فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمأئة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله { وهم في الغرفات

---

[392] - تفسير السعدي{865/28}

آمنون}أي في المنازل العاليات المرتفعات جدا ساكنين فيها مطمئنين}[393] { افتخروا بكثرة الأموال والأولاد, واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم, واعتنائه بهم, وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا, ثم يعذبهم في الآخرة}[394] { والمعنى أن الله فضلنا عليكم بالأموال والأولاد في الدنيا وذلك يدل على أنه قد رضي ما نحن عليه من الدين { وما نحن بمعذبين} في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا ورضاه عنا أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا, وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله , ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم , فأبطل الله ظنهم ,وأمر نبيه ﷺ بأن يجيب عنهم ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم وتحقيقا للحق الذي عليه يدور أمر التكوين,}[395] { وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحد إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله , والأولاد لاتقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاة والطاعة}[396]

قال الله سبحانه وتعالى: { سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفرلنا يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعلمون خبير}الفتح 10 ويحذر ا الله عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل هؤلاء المنافقين , الذين شغلهم اصلاح الأموال وطلبها عن طاعة الله تعالى والخروج مع النبي ﷺ إلى الجهاد, بل الإصلاح الأموال وتنميتها,والإخلاد إلى الأرض ,وتقديم حب الشهوات والزينة على الجهاد في سبيل الله , والدعوة إلى دين الله تعالى ونشر الإسلام وتعليم أمر دينهم. كذلك شغل السعى وراء طلب الرزق كثيرا من المسلمين عن طاعة الله تعالى, وتقديم التجارة على طاعة الله تعالى, بل كان قولهم شغلني دكاني عن حضور المسجد لصلاة الجماعة ,وشغلني البيع والشراء عن حضور حلقات العلمية في المساجد, وربما كذلك شغله البيع والشراء عن صلاة الجمعة,وشغله حب زينة الدنيا عن تربية أولاده وأهله, ولكن المؤمن حقا هو الذي لا تلهيه البيع والشراء عن الذكر الله تعالى وعن

[393] تفيسر السعدي{681/22}
[394] تفسير ابن كثير{498/3}-
[395] فتح البيان {200/11}
[396] تفسير الكشاف{126/5}

عبادة الله تعالى, فهو عابد لله تعالى يحضر المسجد في وقت الصلاة ثم إذا صلي ينتشر في الأرض لابتغاء مرضات الله تعالى, ويحضر في حلقات التعليمية لمعرفة أمر دينه, ويحضر في الجمعة والجماعات والمناسبات الإسلامية ثم يرجع إلى محل تجارته, وهو كما وصفه عبد الله ابن عمر ﵄ بدنه في السوق وقلبه معلق في المساجد, و غيره شغلهم الأموال حتى نسوا المعاملة الحسن والخلق النبيل الذي جاء به النبي ﷺ , ومن أجل حب الأموال على حد المشروع فقد المصداقية في تعاملهم فيما بينهم, وساد الخيانة ولا تكاد تجد رجلا آمينا, ففسدت أخلاق الأولاد لأن الذي يجب أن يقوم بتربيتهم شغله جمع الأموال, وصار الاولاد بلا ترتبية , كالأشجار بلا ثمر, وترى من له أولاد لكن لم يجتمع معهم منذ في صغرهم , وهو في بلد والأولاد في بلد آخر, وإذا اجتمع معهم يكون في وقت ضيق جدا والاولاد كأنهم أيتام فقدوا حنو الوالد وشفقتهم , وكله هذه سببها من فتنة المال, وتقديم حب الدنيا على كل شيء حتى على محبة الله تعالى, وطاعته,ويقول صاحب الفتح مقاصد القرآن في تفسير قوله تعالى: {شغلتنا أموالنا وأهلونا} أي منعنا من الخروج معك ما لنا من الأموال والنساء والذراري وليس لنا من يقوم بهم , ويخلفنا عليهم وإنا لو تركناهم لضاعوا{ فاستغفرلنا} ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب ولما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد بل على طريقة الاستهزاء, وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله حتى قال في معنى قوله تعالى: فمن يملك لكم من الله شيئا}أي فمن يمنعكم مما أراده الله بكم من خير وشرّ ونفع وضر والاستفهام بمعنى النفي أي لا أحد يقدر لأجلكم من مشيئته وقضائه فما في النظم مجاز عن هذا ثم بين ذلك فقال : { إن أراد بكم ضرا}أي إنزال ما يضركم من ضياع الأموال وهلاك الأهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف}[397]{ لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم , وبدؤوا بذكر الأموال, لأن بها قوام العيش وعطفوا الأهل, لأنهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال. هو تعالى المتصرف فيكم وليس حفظكم أموالكم وأهليكم بمانع من ضياعها إذا أراده الله تعالى.[398]{ من يحمي أموالكم وأهليكم إن أراد بكم فيها سوءا[399]}

[397] فتح البيان مقاصد القرآن {99/13}
[398] تفسير البحر المحيط{93/8}

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : سيقول لك يا محمد الذين خلّفهم الله في أهليهم عن صحبتك, والخروج معك في سفرك الذي سافرت , ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمرا , زائرا بيت الحرام – إذا انصرفت إليهم , فعاتبتهم على التخلف عنك: شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا, وإصلاح معايشنا, وأهلونا فاستغفرلنا ربك لتخلفنا عنك . قال الله جلّ ثناؤه مكذبهم في قيلهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلّفون عنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم . وذلك مسألتهم رسول الله ﷺ الاستغفار لهم. يقول: يسألونه بغير توبة منهم, ولاندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير, ثم إذا أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم, أو أراد بكم نفعا, بتثميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكم, فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شرّ والله لا يعازّه ولا يغالبه غالب[400]}وكما كان يظن المنافقون أن أموالهم وأهليهم يدفع عنهم الضر والأذي من دون الله تعالى, كذلك يظن بعض المسلمين اليوم ممن شغفه حب المال, وأن المال يدفع الضر والأذي من دون الله تعالى, بل الله وحده هو المتصرف في شئون خلقه, وإذا أراد بعبده خيرا فلا مرد له , و إذا أراد بعبد ضرا فلا كشف الضر إلا هو سبحانه وتعالى, وكثيرا ما تسمع من بعد الناس لولا مالى ,و الله ليس له من ماله إلا ما أكل أو لبس أو تصدق فيه.وقام النبي الكريم ﷺ بتحذير الأمة فتنة الأموال وأخرج إمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ﵄ عن رسول الله ﷺ قال: { إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أيّ قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك, تتنافسون ثم تتحاسدون, ثم تتدابرون, ثم تتباغضون , أو نحو ذلك, ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين , فتجعلون بعضهم على رقاب بعض}[401] في هذا الحديث الشريف بيّن فيه النبي ﷺ أن من فتنة المال ما نري يحدث بين الناس من الحسد والتباغض والتدابر ,قال النووى قال العلماء : التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه وهو

[399] المحرر الوجيز{673/7}
[400] تفيسر الطبري{256/21}
[401] أخرجه مسلم {3410/9} رقم الحديث 2962}وبن ماجه رقم الحديث{3996} ابن حبان صحيح {6844} وشعب الإيمان للبيهقي{9639} وصححه شيخ الألباني في السلسلة{رقم الحديث{ 2665}

أول درجات الحسد, وأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها,والتدابر التقاطع , وقد يبقى مع التدابر شي من المؤدّة أو يكون مودة ولا بغض, وأما التباغض فهو بعد هذا}[402] كم غيرت الأموال أخلاق الرجال كانوا يعد من أفضل الرجال, ثم لا يسمعون إلا أصوات النهب والسرقة, والغصب, ويأكلون أموال الناس بكل طريق وحيلة, والأمور التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث , التي تكون من أسبابها فتنة المال , لقد جاء عنه ذلك ما يبيّن حرمة ذلك بين المسلمين, على سبيل المثال ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وبوّب ذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى بقوله باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله, من حديث أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { لا تحاسدوا ولا تناجسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوي ههنا }} ويشير إلى صدره ثلاث مرّات : {{ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه}[403]

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله: { فتنافسوها}أي: تتحاسدون فيها, فتختلفون وتتقاتلون فيهلك بعضكم بعضا, كما قد ظهر ووجد وقد سمّى في هذا الحديث التحاسد تنافسا توسعا لقرب ما بينهما, وقد بيّنّا حقيقة كل واحد منهما فيما تقدم,ومعنى تلهيكم : تشغلكم عن أمور دينكم , وعن الاستعداد لآخرتكم, فكان ذلك من أدلة صحة نبويته ورسالته ﷺ وكم له ﷺ وكم! ومعنى: { أي قوم أنتم؟} أي: على أيّ حال تكونون؟ فكأنه قال: أتبقون على ما أنتم عليه ؟ أو تتغيّر بكم الحال؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله تعالى. أي نقول قولا مثل الذي أمرنا الله, وكان هذا منه إشارة إلى قول الله تعالى: { حسبنا الله ونعم الوكيل}آل عمران :173} وذلك أنه فهم أن رسول الله ﷺ خاف عليهم الفتنة من بسط الدنيا عليهم فأجابه بذلك فكأنه قال: نستكفي الفتن والمحن بالله, ونقول كما أمرنا, وهذا إخبار منهم عمّا يقتضيه حالهم في ذلك الوقت , فأخبرهم

---

[402] شرح صحيح مسلم للنووي{3410/9}
[403] شرح صحيح مسلم للنووى{3065/8}

النبي ﷺ بأنهم لا يبقون على تلك الحال, وأنها تتغيّر بهم, وقوله: { تتنافسون, ثم تتحاسدون, ثم تتدابرون, ثم تتباغضون} أي تتسابقون إلى أخذ الدنيا, ثم تتحاسدون بعد الأخذ, ثم تتقاطعون , فيولي كل وأحد منكم دبره عن الآخر معرضا عنه, ثم تثبت البغضاء في القلوب, وتتراكم حتى يكون عنها الخلاف , والقتال والهلاك كما قد وجد- وذلك أن معنى الحديث: أنه أخبرهم أنهم تتغيّر بهم الحال, وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية, تخالف حالهم التى كانوا عليها معه من التنافس والتباغض , وانطلاقهم في مساكين المهاجرين, فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضيّ كالأوصاف التى قبله, وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجبه, وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره , ولايصح ذلك إلا بذلك التقدير الذي أنكر القاضي, فيكون معنى الحديث أنه إذا وقع التنافس, والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القويّ ما أفاءه الله تعالى على المسكين , الذي لا يقدر على مدافعته, فيمنعه عنه ظلما وهذا بمقتضى التنافس والتحاسد والتباغض }[404]{ فما أهلك الأمم السابقة إلا التنافس في الأموال, حملهم ذلك على الحقد والحسد والتدابر والتباغض بل على القتل وسفك الدماء , فليحمد كل إنسان ربه على ما أعطاه ولينظر إلى من هو أقل منه مالا ودنيا ليعلم مقدار ما عنده من نعم وشكر النعمة يزيدها.[405] في هذا الحديث الشريف صدق نبوته ﷺ حيث أن الناس يتحاسدون لدنيا ويتباغضون لها حتى ثبت ذلك في قلوبهم , ثم يحصل بعد ذلك قطع الأرحام , وكانت فنتة التنافس لأجل جمع المال جعلت حتى أنسي الناس من تربية أولادهم, وحتى المرأة تجلس في انتظار زوجتها سنوات عديدة وقد تتضرر المرأة في تلك المدة , ولكن الناس قدموا الأموال على صحتها, وكذلك التحاسد والتدابر بينهم اليوم صار ظاهرة غير مرضية, بين الإخوة الأشقاء, وبني الأعوام , وصار أكبر أهمهم اليوم الدنيا وحمع الأموال. و من فتنة المال ماقد حذر النبي ﷺ المؤمن عنه كسب المال الحرام وأخرج الإمام ابن حبان رحمه الله وغيره من حديث جابر ابن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: { لا تستبطئوا الرزق . فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزقه هو له , فاجملوا في الطلب : أخذ الحلال

---

[404] المفهم{7/113-114}
[405] فتح المنعم في شرح صحيح مسلم{10/574}

وترك الحرام} وفي رواية أبي الزبير عن جابر ﷺ :{إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه, فلا تستبطئوا الرزق , واتقوا الله أيها الناس . واجملوا في الطلب خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم}[406] وجاء الحديث في بعض الرواية , من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا, أن رسول الله ﷺ قال: { إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به , وليس شيئ يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه , إن روح القدس نفث في روعي : إن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها , فاتقوا الله وأجملوا في الطلب , لا يحلمنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله , فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته }[407]في هذا الحديث يبن فيه النبي ﷺ عدة الأمور:

أولا: يجب على المؤمن أن يتوكل على الله تعالى في طلب الرزق,وأن الأرزاق بيد الله تعالى , فيطلب الأموال وهو على ثقة أن الله هو الذي كفل رزق عباده . ومهما يكن عليه من ضيق الحال, فيثق بأن الله تعالى قد قسم الأرزاق بين الخلق كما قال الله تعالى: { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل في كتاب مبين} سورة الهود:6} قال تعال أيضا: { أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربّك خير مما يجمعون} سورة الزخرف{32}

ثانيا: أن الرزق قرين الأجل لايموت عبد حتي يكمل رزقه وأجله , وأن الإنسان لا يزال يرزق ما دام هو في قيد الحياة, ونستفيد منه أن الله تعالى هو الرزاق ذو قوّة المتين , فليتوكل العبد على الله تعالى ,و الذي يتوكل عليه يأتيه رزقه من حيث لايدري قال الله سبحانه وتعالى : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمر قد جعل الله لكل شيئ قدرا} سورة الطلاق{3}

ثالثا: الإجمال في طلب الرزق يعنى طلب الحلال وهوكل طريق مشروع من أنواع الإستثمار , وترك الحرام هو كل بيع حرمه الشرع , وكل طريق كان محرما في الشرع مثل السرقة والغصب والرشوة

---

[406] أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم{1084-1085 والحاكم وعبد الله الرازي في مشيخته {49} وصححه الألباني {المجلد السادس قسم الأول: 209}

[407] أخرجه أبوبكر الحداد في المنتخب{168/1}والحاكم{4/3} وغيرهماوصححه الالباني رقم الحديث{2866-865/6}

والحيل والخداع وأكل أموال الناس بباطل, إذن في هذا الحديث أمر النبي ﷺ أمته أخذ الحلال, وترك الحرام,

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمن من فتنة المال التى هي التفاخر وترك صلاة الجماعة وما أكثر ذلك, إلا من رحمه الله تعالى, وشر الغنى الذي هو كثرة مخالفة الشرع ,وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله عمرو ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ : سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال, ينزلون على أبواب المساجد, نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف , العنوهن فإنهن ملعونات , لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهنّ نساؤكم , كما خدمكم نساء الأمم قبلكم}[408] قال شيخ الألباني رحمه الله تعالى: ففي الحديث معجزة علمية غيبية أخري غير المتعلقة بالنساء الكاسيات العاريات , ألا وهي المتعلقة برجالهن الذين يركبون السيارات ينزلون على أبواب المساجد, ولعمر الله إنها لنبوءة صادقة نشاهدها كل يوم جمعة حينما تتجمع السيارات أمام المساجد حتى ليكاد الطريق على رحبه يضيق بها, ينزل منها رجال ليحضروا صلاة الجمعة, وجمهورهم لا يصلون الصلوات الخمس, أو على الأقل لا يصلونها في المساجد, فكأنهم قنعوا من الصلوات بصلاة الجمعة , ولذلك يتكاثرون يوم الجمعة , وينزلون بسياراتهم أمام المساجد فلا تظهر ثمرة الصلاة عليهم, وفي معاملتهم لأزواجهم وبناتهم فهم بحق { نساؤهم كاسيات عاريات}- قلت هذا كله لأجل فنتة الزينة الدنيا حتي ينسي تعليم الزوجات وتأديبهن وكذلك يشتغل عن تربية الأولاد,- ثم قال: وثمة ظاهرة أخرى ينطبق عليها الحديث تمام الانطباق, ألا وهي التى نراها في تشييع الجنائز على السيارات في الآونة الأخيرة من هذا العصر.

يركبها أقوام لا خلاق لهم من الموسرين المترفين التاركين للصلاة , حتى إذا وقفت السيارة التى تحمل الجنازة ,وأدخلت المسجد للصلاة عليها, مكث أولئك المترفون أمام المسجد في سياراتهم, وقد ينزل عنها بعضهم ينتظرون الجنازة ليتابعوا تشييعها إلى قبرها نفاقا اجتماعيا ومداهنة, وليس

[408] أخرجه أحمد في المسند{223/2}وابن حبان في صحيحه{1454} والطبراني في الصغير{232} والأوسط{9485} وصححه الألباني في السلسلة{رقم 2683} {411/6}

تعبدا وتذكرا للآخرة والله المستعان. هذا هو الوجه في تأويل هذا الحديث عندي, فإن أصبت فمن الله , وإن أخطأت فمن نفسي , والله تعالى هو المسئول أن يغفرلي خطئي وعمدي وكل ذلك عندي}[409] لقد حذر النبي ﷺ عن افتتاح الدنيا على المسلمين , و ما تكون فيها من الفتن كمروج الدين وسفك الدماء لأجل متاع الحياة الدنيا كما ذكر ذلك النبي ﷺ أنهم يتقاتلون حتي يقول القاتل لأجل هذا المال تقاتلت ولأجل هذا المال قطعت رحمي, ولأجل هذا المال سفكت الدماء,و كذلك ما يظهر من الزينة الحياة الدنيا حتى تشغل كثيرا منهم عن طاعة ربهم, و تحقيق عبوديته تعالى, والانقياد له ولشريعته, ويظهر شرف البنيان هذا أيضا مما قد يشغل الناس عن عبادة الله تعالى , إن كان همه جمع المال لكي يبني قصورا عاليا فقط, ويظهر كذلك قلة العفة وكثرة السؤال,ويقل قناعة النفس أو غنى النفس, ويقل الثقة بما عند الله تعالى.كما هو ظاهر اليوم عند كثير من الناس لديهم ثقة كاملة فيما عندهم أكثر مما عند الله , ولأجل ذلك ظهرت البخل والشح وخوف الإنفاق في سبيل الله تعالى والشيطان يخوفهم الفقر, ومن فتنة المال ما بين لنا ايضا النبي ﷺ أنه سيكون الإختلاف الذي يحدث بين الإخوان يتقاطعون لأجله ويتحاسدون ويتدابرون لأجله ويكثر الحسد بينهم,وذلك مما أخرجه الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني من حديث ميمونة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: { كيف أنتم إذا مرج الدين وسفك الدم , وظهرت الزينة , وشرف البنيان , وظهرت الرغبة , واختلفت الإخوان وحرق البيت العتيق}[410] قال الألباني رحمه الله تعالى: من معجزاته ﷺ العلمية, وبخاصة منها قوله : { وظهرت الزينة} فقد انتشرت في الأبنية والألبسة والمحلات التجارية انتشارا غريبا , حتى في قماص الشباب ونعالهم, بل ونعال النساء! فصلى الله على الموصوف بقوله تعالى: { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي}[411] وكما بينت بعض الأحاديث أن من أشراط الساعة كثرة الأموال , لأن أكثر الناس تراهم ينشغلون في اصلاح أموالهم عن اصلاح عبادتهم لربهم, وعن معرفة الله تعالى, ثم يكثر المال بينهم

---

[409] السلسلة الأحاديث الصحيحة{6/415-416}

[410] أجرحه الإمام أحمد{6/333} وابن أبي شيبة في المصنف{15/47} والطبراني{24/26/67} وصححه الألباني في السلسلة رقم الحديث{2744} {6/555}

[411] السلسلة الصحيحة{6/556}

ويقل علم الشرعي بينهم ,و يكثر الجهل حينها , ثم يكثر الفتن, وتنتشر التجارة في كل مكان وذلك مما أخرج الإمام النسائي في سننه والحاكم في المستدرك واللفظ له والطيالسي وغيرهم من حديث عمرو بن تغلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { إن من أشراط الساعة أن يفيض المال, ويكثر الجهل وتظهر الفتن, وتفشو التجارة ويظهر العلم}[412] ويظهر الجهل بسبب اهتمام الناس بأمر الدنيا وإهمال أمر الدين,حتى يذهب العلم عن وجه الأرض والله تعالى أعلم}[413]{ فإن المراد به العلم الديني, فالناس جهلاء في أموردينهم , لبعدهم عنه علماء بأمور دنياهم , لانهماكم في حب الدنيا , وانشغالهم بها, وأن كثرة المال من أشراط الساعة, لا خير فيه لأنه يلهي عن الآخرة إلا لمن وفقه الله تعالى للقيام بحقه,[414]} وبين النبي ﷺ من أسباب هلاك أمته طلب الدنيا ونسيان الدين قال الألباني: هلاك من يفسر القرآن بغير السنة, ومن يؤثر الدنيا على الآخرة.[415]} وذلك ما أخرج الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللبن . قالوا : يا رسول الله ما الكتاب واللبن؟ قال: يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عزوجل ويحبون اللبن فيدعون الجماعات والجمع ويبدون}[416] وبين النبي الكريم أن من سعى على التكاثر ففي سيبل الشيطان وذلك مما أخرج البزار في مسنده و الطبراني في الأوسط و البيهقي في السنن والشعب من حديث أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا شباب من الثنيّة فلما رأيناه { وفي رواية: رميناه} بأبصارنا, قلنا : لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سيبل الله ! قال : فسمع مقالتنا رسول الله ﷺ فقال: { وما سبيل الله إلا من قتل ؟ ! من سعى على والديه ففي سبيل الله , ومن سعى على عياله ففي

---

[412] أخرجه النسائي في سننه{212/2} والحاكم{7/2} والطيالسي{1171} وابن منده في المعرفة{2/59/2} وصححه الألباني في السلسلة رقم{2767}{631/6}

[413] شرح النسائي لليوطي{باب التجارة{280/4}

[414] ذخيرة العقبي{34/106-107}

[415] السلسلة الصحيحة{647/6}

[416] أخرجه الإمام أحمد في المسند{155/4} وصححه الألباني {647/6} رقم الحديث{2778}

سبيل الله , ومن سعى على نفسه ليعفّها ففي سبيل الله, ومن سعى على التكاثر, ففي سبيل الشيطان .وفي رواية: الطاغوت}[417]

وحذر النبي ﷺ انشغال بطلب الدنيا فقط, وأن من فعل ذلك ضر آخرته, ويجب على المسلم أن يجعل الدنيا دار عبور, وزرع ليحصده يوم الآخرة, ويطلب من الدنيا ما يساعده على آخرته من طاعة الله تعالى وإنفاق الأموال في مرضاته, وأخرج ابن أبي عاصم في الزهد من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {من طلب الدنيا أضر بالآخرة , ومن طلب الآخرة أضر بالدنيا , فأضرّوا بالفاني للباقي}[418] في الحديث بيان من طلب الدنيا بطرق الحرام أضر به يوم القيامة, لأن الله تعالى أمر المؤمنين بأخذ الحلال وأكله, ومن فتنة المال لدي الإنسان أن يكون سببا في ارتكاب المحرمات لأجل الدنيا وزينتها, وذلك يضر به الإنسان يوم القيامة, وجاء في الخبر أنه يأني زمان تتغيّر فيه أحوال الناس من شدة حبّ الدنيا وفتنتها, حتى يكون قلوب المسلمين كقلوب الأعاجم ويتركون سنن النبي صلى الله عليه ويتبعون سنن الكافرين وأخرج الطبراني رحمه الله تعالى في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا أن النبي ﷺ: {ليأتيّن على الناس زمان قلوبهم قلوب الأعاجم حب الدنيا , سنتهم سنة الأعراب , ما أتاهم من رزق جعلوه في الحيوان يرون الجهاد ضررا والزكاة مغرما}[419] وكم من المسلمين اليوم يرون أن الجهاد يضر بإقتصاد العالم, ويضر بمصالح الخاصة والعامة, يرون ذلك تشددا وارهابا للآمنين , وكم من المسلمين لا ينفقون أموالهم في سيبل الله تعالى ولايأتون الزكاة بل هم على سنن الأعاجم الإنفاق على الحيوانات الكلاب وغيرهم التى كفل الله تعالى على إرزاقهم, ويتركون الفقراء يموتون جوعا من هنّا وهنالك, ويصعب عليهم إدخال أموالهم في مرضات الله تعالى, ويجعلون ذلك مغرما كما قال الله تعالى عن الأعراب : { ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدّوائر عليهم دائر السوء والله سميع عليم} التوبة 97 وهذه سنن الكفار كم ينفقون على الحيوانات ويتركون الفقراء والمساكين

---

[417] البزار في مسنده{1871/370/2}الكشف والطبراني المعجم الأوسط{4372-254/1} وأبو نعيم الحلية{197-196/6} والبيهقي السنن{25/9} والشعب{412/6} وصححه الألباني في السلسلة رقم {3248}{751/7}

[418] الزهد لابن أبي عاصم {161/78}وحسنه الألباني في السلسلة{رقم 3387}

[419] السلسلة الصحيحة رقم {3357} {1075/7}

,كله ذلك لا شيئ أخر إلا حبّ الدنيا , والله المستعان, وحذر رسول الله ﷺ المبلغ عن الله تعالى من فتنة المال وأن هناك ذنوبا تتعلق بفتنة الأموال لا يغفر لها أو لا كفارة لها. وفي الحديث الذي عند الطبراني رحمه الله تعالى من حديث عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { إيّاك والذنوب التى لا تغفر { وفي رواية : وما لا كفارة من الذنوب} فمن غلّ شيئا أتي به يوم القيامة , وآكل الربا, فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط, ثم قرأ : { الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ} البقرة :275}[420] و جاء الحديث في بعض الرواية عن حبيب بن عبيد أن حبيب بن مسلمة أتي برجل قد غلّ , فربطه إلى جانب المسجد, وأمر بمتاعه فأحرق , فلما صلى قام في الناس , فحمد الله وأثني عليه وذكر الغلول وما أنزل الله فيه فقام عوف بن مالك فقال: ياأيها الناس ! إياكم وما لا كفارة من الذنوب , فإن الرجل يربي ثم يتوب فيتوب الله عليه , وإن الله تعالى يقول: { وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة} وإن الله يعبث آكل الربا يوم القيامة مجنونا مخنقا}[421] ولما أوتي عمر ﷺ بأموال كسرى بات هو وأكابر الصحابة في المسجد فلما أصبح وأصابته الشمس ائتلئت تلك التجان فبكي عمر ﷺ فقال له عبد الرحمن بن عوف : ليس هذا حين بكاء إنما هو حين شكر فقال عمر ﷺ : إني أقول ما فتح الله على قوم قط إلا سفكوا دماؤهم وقطعوا أرحامهم , وقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما نؤتي اللهم سلطنا على هلكته في الحق , وقال اللهم إنك منعت هذا نبيك إكراما منك له وفتحته علي لتبتلني به اللهم اعصمني من فتنته}[422] وبين النبي الكريم ﷺ وحذر ما يكون من فتنة المال من الإقتتال والتقاطع والسرقة وذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه والبغوي والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :{ تقيئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة, فيجيء القاتل, فيقول: في هذا قتلت , ويجيئ القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيئ السارق فيقول: في هذا قطعت يدي , ثم يدعونه فلايأخذون منه شيئا}[423] وعن عبد الله بن

---

[420] الطبراني في الكبير {100/60/18} والخطيب في التأريخ{8/178-179} وصححه الألباني في السلسلة رقم { 3313} {919/7}
[421] السلسلة الحصيحة {921/7}
[422] كتاب الأموال {203}
[423] أخرجه مسلم {3/84-85} والبغوي{4241} والترمذي{2208} والسلسلة{3619}

مسعود ﷺ: أنه قال: " الزموا هذه الطاعة والجماعة, فإنه حبل الله الذي أمر به, وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة, وإن الله تعالى لم يخلق شيئا قط, إلا جعل له منتهى, وإن هذا الدين قد تم,وإنه صائر إلى نقصان, وإن أمارة ذلك: أن تقطع الأرحام ويؤخذ المال بغير حقه, ويسفك الدماء, ويشتكي ذو القرابة قرابته, ولايعود عليه بشيئ ويطوف السائل بين الجمعتين لا يوضع في يده شيئ فبينما الناس كذلك, إذ قذفت الأرض بأفلاذ كبدها من الذهب والفضة, لا ينفع بعد ذلك شيء من الذهب والفضة}[424] وقال النووي رحمه الله تعالى: {ومعنى الحديث التشبيه أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها, والأسطوان بضم الهمزة والطاء وهو جمع أسطوانة وهي سارية السارية العمود, وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته}[425]: قوله: { تقئ الأرض } مضارع من القيئ أي تلقي الأرض { أفلاذ كبدها}: قال القارى بفتح الهمزة جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة طولا وسمى ما في الأرض كبدا تشبيهابالكبد التي في بطن البعير لأنها أحب ما هو مخبأ فيها , كما أن الكبد أطيب ما في الجزور وأحبّه إلى العرب. وإنما قلنا في بطن البعير لأن ابن الأعرابي قال الفلذة لا تكون إلا البعير. فالمعنى تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها إلى ظهورها انتهى, وقوله: { من الذهب والفضة} لبيان مجمال الحال. قال القاضي رحمه الله تعالى: {معناه أن الأرض تلقي من بطنها مافيه من الكنوز وقيل ما وسخ فيها من العروق المعدنية, ويدل عليه قوله مثل الأسطوانة}[426] وأخرج الإمام البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة , ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة, يمنعه من ابن السبيل , ورجل بايع رجلا بسلعته بعد العصر, فحلف له بالله : لأخذها بكذا وكذا, فصدقه , وهو على غير ذلك, ورجل بايع إماما , لا يبايعه إلا لدنيا , فإن أعطاه منها وفّي, وإن لم يعطه منها لم يف}[427] وبيّن رسول الله ﷺ أن ابن آدم يكره قلة المال ويحب الكثرة المال, وقلة المال أحسن له وأقل للحساب ويوم القيامة وأخرج البغوي في الشرح السنة

---

[424] صحيحه ابن حبان{189/2}
[425] شرح مسلم للنووي{82-81/4}
[426] تحفة الأحوذي{453/6}
[427] رواه البخاري {2358} ومسلم {72/1} والترمذي{1595} وأبوداود{3474} وابن ماجه {2207} وأحمد{253/2}

والإمام أحمد في المسند من حديث محمود بن لبيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: { اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة, ويكره قلة المال وقلة المال أقلّ للحساب}[428] قال معاذ بن جبل: لا يبلغ عبد ذوى الإيمان حتى تكون الضعة أحب إليه من الشرف , وما أقل من الدنيا أحبّ إليه مما كثر, ويكون من أحبّ ومن أبغض عنده في الحق سواء ويحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته}[429] وذكر رسول الله ﷺ في حديث الطويل مما أخرجه الإمام مسلم وغيره من حديث عياض ابن حمار أن النبي ﷺ الحديث ثم قال: وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له , الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا , والخائن الذي لا يخفى له طمع – وإن دقّ – إلا خانه , ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك – وذكر البخل أو الكذب – والشنظير الفحاش, وإن الله أو حي إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد , ولا يبغي أحد على أحد}}[430] في الحديث قوله: { الضعيف الذي لا زبر له}فقيل له: أو يكون هذا ؟ قال نعم والله لقد أدركتهم في الجاهلية , وإن الرجل ليرعى على الحيّ ماله إلا وليدتهم يطؤها,وهذا القسم شر أقسام الناس,ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم همم في طلب الدنيا ولا آخرة, وإنما همه شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له, وهو تبع للناس خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم,

والصنف الثاني: الخائن : لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بارد إليها واغتنمها, ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان. وكذلك الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى , وغير ذلك, وهو خصلة من خصال النفاق, وربما يدخل الخيانة من خان الله ورسوله في ارتكاب المحارم سرا مع اجتنابها, قال بعض السلف: كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له.

والصنف الثالث: المخادع, الذي دأبه صباحا ومساء مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم ,والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم بذلك والخداع إظهار

---

[428] شرح السنة للبغوي {267/14}وأخرج أحمد في المسند {427/5}

[429] شرح السنة للبغوي{270/14}

[430] مسلم {47/6} والنسائي{58/2} والحاكم {110/2-107/1} والبيهقي{168/9} وأبو نعيم{192/2} والخطيب في تقييد العلم{197} وأحمد{322/2}

الخير وإضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهليهم والانتفاع بذلك ,وهو من جملة المكر والحيل المحرمة, والغزالي يبين لنا فتنة المال: { إذ فيه آفات وغوائل , وللإنسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى , وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان, ثم للفاقد حالتان : القناعة والحرص, إحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللحرص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس, وتشمّر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق, والطمع شر الحالتين,وللواجد حالتان: إمساك بحكم البخل والشح وإنفاق, وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللمنفق حالتان: تبذير واقتصاد, والمحمود هو الاقتصاد , علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتي يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا, ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلق بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحبّ الثناء وحب التكاثر والتفاخر, وهذه هي الدنيا الباطنة. و العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغال بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره, وهي جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها, والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين: علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل , ولو عرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرّها علم أن هذه الأعيان التي سمينا ها دنيا لم تخلق إلا لقوامة ليتقوى بها على إصلاح دينه, حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته, وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوي , ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة, فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح, فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين, وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية, وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك وهو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحبّ الأمور إلى الله تعالى}[431]

قال يحي بن معاذ: { الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه, فإنه إن لدغك قتلك سمه , قيل : وما رقيته؟ قال: أخذه من حلّه ووضعه في حقه} قال: { مصيبتان لم يسمع الأولون

[431] مؤعظة المؤمنين{276-277}

والأخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته} قيل: { وما هما } ؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله}[432] قال الغزالي رحمه الله تعالى: مثل المال مثل الحيّة التى فيها ترياق نافع وسم نافع فإن أصابها العارف الذي يحترز عن شرّها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة, وإن أصابها الغبي فقد لقي البلاء المهالك: إن الدنيا كالحيّة فكل من يجوز له أخذها, وإلا فلا, فقيل وما رقيتها؟ فقال أن يعرف من أين يأخذها يعرف رقيتها وفي أين يصرفها}[433]

[432] المرجع السابق {279}
[433] تحفة الأحوذي{44/6}

المبحث الرابع

فتنة الشح والبخل

تعريف البخل لغة واصطلاحا

مصدر قولهم: بخل بالشيء يبخل به , وهو مأخوذ من مادّة{ب خ ل} التي تدل على خلاف الكرم , والبخيل: ذو البخل, وجمعه بخّل وبخّال, وأبخلت الرجل: وجدته بخيلا, ومنه قول عمرو بن معديكرب: يا بني سليم لقد سألنا كم فما أبخلناكم{ أي فما وجدناكم بخلاء} وبخّلته: نسبته إلى البخل ورميته به مثل فسّقته وكفّرته أي نسبته إلى الفسق والكفر, ومن مصادر بخل أيضا: البخل والبخل والبخول, وقول الله تعالى: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل} النساء 37} قيل:

أريد بهم اليهود , وقيل: المنافقون, والمبخلة: الشيئ الذي يحملك على البخل, وفي الحديث: {{ الولد مجبنة مجهلة مبخلة} أي أنه مظنّة لأن يحمل أبويه على الجبن والجهل والبخل, ويدعوهما إلى ذلك مصداق ذلك ما ورد في الحديث الآخر: { إنّكم لتبخلون وتجبّنون } والبخل: المرة الواحدة من البخل.[434]

أما تعريف البخل في الإصطلاح: البخل: هو المنع من مال الرجل نفسه والشح هو بخل الرجل من مال غيره. وقيل : البخل ترك الإيثار عند الحاجة.[435]} وعرف الحافظ بن حجر بما هو أشمل من تعريف الجرجاني قال: البخل: منع ما يطلب مما يتقنى, وشرّه ما كان طالبه مستحقّا ولا سيما إن كان من غير مال المسئول.[436]}قال المناوي كما قال الراغب: البخل امساك المقتنيات عمّا لا يحل حسبها عنه وضده الجود.[437]}قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: البخل المذموم في الشرع : هو امتناع عن أداء ما أو جب الله تعالى عليه.[438]} التعريف الشامل هو ما عرف به البخل الإمام القرطبي هو أحسن لأنه يدخل فيه البخل بالمال والعلم وذهب بعض المفسرين بأنه يشمل نوعين :العلم والمال, كما سيأتي

ما الفرق بين البخل والشح:

لقد اختلف العلماء في البخل والشح هل هما شيء واحد أو بينهما إختلاف. ذهب الكفوي إلى فرق بينهما: قال : البخل هو المنع نفسه , والشح هو الحالة النفسية التى تقتضي ذلك المنع . وقال الإمام القرطبي رحمه الله : إختلف في البخل والشح هل هما بمعنى واحد أو معنيين؟ فقيل: البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك.والشح : الحرص على تحصيل ما ليس عندك, وقيل: الشح هو البخل مع الحرص. وهو الصحيح لما روي عنه ﷺ من قوله: {{ اتقوا الشح , فإن الشح أهلك

---

[434] المفردات للراغب{38} وبصائر ذوي التمييز{227/2} النهاية في غريب الحديث{103/1} والصحاح{1632/4} ولسان العرب{222/1} ط دار المعارف} والقاموس المحيط {243}{ط: بيروت}
[435] التعريفات للجرجاني{42-43}
[436] فتح الباري{457/10}
[437] التوقيف على المهمات التعاريف{72}
[438] تفيسر القرطبي {126/5}

من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم, واستحلّوا محارمهم, وهذا يردّ قول من قال: إن البخل منع الواجب والشح منع المستحب, إذ لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم, ويؤيّد ذلك ما روي عن أبي هريرة – ﷺ- {لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبدا , وهذا يدل على أن الشح أشد في الذم من البخل.[439]} كلام القرطبي رحمه الله تعالى وجيه إلا أنه قد جاء في الحديث ما يدل على مسواواتهما, وذلك قوله ﷺ عندما سئل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال لا , قال : الفيروز آباديّ : البخل ثمرة الشح , والشح يأمر بالبخل.[440]} قال الماوردي- رحمه الله تعالى: قد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة- وإن كان ذريعة إلى مذمة – أربعة أخلاق , ناهيك بها ذما وهي: الحرص والشرّه,وسوء الظن , ومنع الحقوق , وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة, والشيم اللئيمة لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول.[441]} إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم, حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم, وكذلك يتذامّون بالبخل والجبن. ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم , بيّن الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك, ومن تولّى عنه بإنفاق ما له أبدل الله به من يقوم بذلك. فقال: ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سيبل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولّوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} محمد38 [442]} قال ابن قدامة المقدسي- رحمه الله -: اعلم أن السخاء والبخل درجات : فأرفع درجات السخاء الإيثار, وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه وأشد درجات البخل: أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه , فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى, ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل , فكم بين من بخل على نفسه مع الحاجة وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة فالأخلاق عطايا يضعها الله عز وجل حيث شاء.[443]}

---

[439] الكليات{342}
[440] بصائر ذوي التمييز{227/2}
[441] أدب الدنيا والدين{228}
[442] الإستقامة{263/2}
[443] مختصر منهاج القاصدين{205-206}

في هذا المبحث نفصل فيه ما افتتن به بعض الناس , وذلك لأنه ليس عندهم رغبة في انفاق أموالهم في سبيل الله, بل يكون لديهم أموالهم طائلة, لكن لا يستفيدون في أموالهم , ولا يطلبون الآخرة بما أعطاهم الله من الأموال, وبل أصبحوا هم قرناء الشيطان, وظلّ الشيطان يخوفهم الفقر, ويربيهم على الشح والبخل , أمرهم الشيطان بإنفاق أموالهم في معصية الله تعالى, وقطع الأرحام , و لكن يشق عليهم اتبغاء مرضات الله تعالى ويسهل لهم اتبغاء مرضات الشيطان رجيم, وصار الشيطان مشاركا لهم في أموالهم وأولادهم. وسوف نذكر الأيات التى ذكرت البخل والشح.وحذرت منها.

والبخل خلق مكروه ذمه الله تعالى في القرآن الكريم. وتوعد أصحابه بوعيد شديد. قال الله سبحانه وتعالى: ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل شرّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث المساوات والأوض والله بما تعملون خبير{آل عمران 180} في هذه الأية الكريمة بيّن الله تعالى فيها عاقبة الذين يبخلون ما آتاهم الله من فضله خيرا لهم ,أي يظنون أن البخل يحفظ لهم أموالهم ويزيد النماء من أموالهم بذلك, فبين الله أن ذلك ليس خيرا لهم بل البخل بما آتاهم الله شر لهم سوف يعذبهم يوم القيامة بسبب بخلهم, ويظهر في هذه الأية فتنة المال إذا كان سببا لصد عن سبيل الله تعالى, أي فتنة أعظم من ذلك يوم القيامة حينما يعذب البخيل, ثم مع ما يكون له من عذاب البخل في الدنيا, لا ينفق على نفسه وعلى عياله, ثم هو يتعذب إذا راى أحدهم ينفق ماله في سبيل الله تعالى, ويكره الإحسان, والمحسين, : الأية دالّة على ذم البخل بشي من الخيرات سواء كان مالا أو علما, فإن كان على البخل بالمال فالمعنى: لا يحسبنّ البخلاء أن بخلهم هو خير لهم, بل هو شرّ لهم , لأن المال يزول, ويبقي عقاب بخلهم عليهم كما قال: { سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة} وهذا المراد من قوله: { ولله ميراث السموات والأرض} قال ابن مسعود وابن عباس وأبو وائل والشعبي والسدي: يجعل ما منعه من الزكاة حيّة يطوّق بها في عنقه يوم القيامة تنهشه من رأسه إلى قدمه,فالحمل على البخل بالمال تكون الأية

ترغيبا في بذل المال في الجهاد . و اختلفوا في هذا البخل فقال أكثر العلماء: المراد منع الواجب, واستدلوا بوجوه:

أحدها: أن الآية دالة على الوعيد الشديد في البخل, وذلك الوعيد لا يليق إلا بالواجب,

ثانيها: أن الله – تعالى- ذم البخل وعابه, ومنع التطوع لا يجوز أن يذم فاعله وأن يعاب به.

ثالثها: أنه لو كان تارك التفضل بخيلا لوجب على من ملك المال العظيم أن يخرج الكل, وإلا لم يتخلص من الذم,

رابعها: أنه ﷺ قال: { وأيّ داء أدوأ من البخل} قلت الحديث هذا ضعيف- ومعلوم أن تارك التطوع لا يليق به هذا الوصف,

خامسها: أنه- تعالى- لا ينفك عن ترك التفضل, لأنه لا نهاية لمقدرواته في التفضل, وكل ما يدخل في الوجود, فهو متناه , فيكون لا محالة- تاركا للتفضل فلو كان ترك التفضل بخلا لزم أن يكون الله موصوفا بالبخل, تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا

ثم إن إنفاق الواجب أقسام : منها: إنفاقه على نفسه , وعلى أقاربه الذين تلزمه نفقتهم. و منها: الزكوات , ومنها: ما إذا احتاج المسلمون إلى دفع عدوّ يقصد قتلهم ومالهم , فيجب عليهم إنفاق المال على من يدفع عنهم, ومنها: دفع ما يسد رمق المضطر فهذه الإنفاقات واجبة,[444]} وهذه الآية نزلت في البخل بالمال والإنفاق في سبيل الله, وأداء الزكاة المفروضة. و المعنى في الآيتين أن الله تعالى أمر عباده بأن ينفقوا ولا يبخلوا قبل أن يموتوا ويتركوا ذلك ميراثا لله تعالى, ولا ينفعهم إلا ما أنفقوا[445]} والبخل ضرره فقر الإجتماعي, ويؤثر البغض والحسد بين الناس في المجتمع يقول الدكتور الزهلي: لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم, بل هو شر لهم, لأنهم ببخلهم يعرضون أموالهم للضياع والتلف والسرقة وغيرها,ويضرون أمتهم لتقصير هم بما يجب عليهم من التكافل

---

[444] اللبات {6/85-86}

[445] القرطبي{4/292-293} مع التصرف اليسير فيه_

الاجتماعي والتعاون على القضاء على ظاهرة الفقر, والفقر يضر بالأمة جمعاء, وحياة الأمم متوقفة على بذل النفس والمال.[446]{ ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم من فضله في الدنيا من الأموال, فلا يخرجون منه حق الله – تعالى- الذي فرضه عليهم فيه من الزكوات , هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة, بل هو شرّ لهم عنده في الآخرة,قال السدي : أما الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله, فبخلوا أن ينفقوها في سيبل الله, ولم يؤدّوا زكاتها.[447]}ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم {بل هو} البخل {شرلهم} لاستجلاب العقاب عليهم سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق.[448]} أقول الذي يظن أن البخل بماله يساعده على حفظه, عليه أن يتحمل عقاب بخله يوم القيامة, وبذات إذا بخل عن أداء حق الله تعالى الواجبة. { ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم {بل هو } البخل {شرلهم} والبخل هو إمساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه, والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل قال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في روايه أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد أن هذه الآية نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن البخل عبارة عن منع الواجب وأن من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية.[449]}أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق . وقيل يجعل ما بخل من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر راسه وتقول: أنا مالك.[450]}لا يظن الذين يبخلون أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله , من المال والجاه والعلم وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به , وأمرهم ببذل ما لا يضر هم منه لعباده , فبخلوا بذلك وأمسكوه وضنوا به على عباد الله , وظنوا أنه خير لهم ,بل هو شرّ لهم في دينهم ودنياهم وعاجلهم وآجلهم [451]} قلت الراجح عندي أن البخيل هو الذي منع حقا واجبا عليه من ماله أو من علمه كإيتاء الزكاة الواجبة

[446] تفيسر المنير{513/2}
[447] تفيسر الطبري{269/6}
[448] تفسير البيضاوي{316/4}
[449] تفيسر الخازن{325/1}
[450] الكشاف{666/1}
[451] تفسير السعدي{158/4}

, ونفقات الواجبة على الأهل , وعلى المضطر,و لم يخرج منه حق السائل والمحروم, ثم قد يكون هناك بعض حقوق المالية واجبا عليه حين دون الأخر, فإذا أدي هذه الحقوق المذكورة, فلا يكون بخيلا وتبرأ من عهدة البخل, والعلم عند الله تعالى,

وحذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن خلق البخل, وأن من أحسن فيما أعطاه الله تعالى واتقي الله فيه فإن الله بصير بهم ويجازيهم بأحسن الجزاء, فالبخل خلق مذموم عند الله تعالى, ومذموم عند الناس, والبخيل بعيد من رحمة الله تعالى , وبعيد من خلق الله تعالى, وفقير من رحمة القلوب, قال الله تعالي: { وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا} النساء {128} في بيان الكريمة من اتقاء الشح النفس , وأحسن فإن الله تعالى يحب ذلك, ويمدحه تعالى على ذلك,قال الشنقطي رحمه الله تعالى: {ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأنفس أحضرت الشح , أي : جعل شيئا حاضرا لها كأنه ملازم لها لا يفارقها, لأنها جبلت عليه. وأشار في موضع آخر: أنه لا يفلح أحد إلا إذا وقاه الله شح نفسه, وهو قوله تعالى: { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} ومفهوم الشرط أن من لم يوق شح نفسه لم يلفح وهو كذلك, وقيده بعض العلماء بالشح المؤدي إلى منع الحقوق التى يلزمها الشرع , أو تقتضيها المروءة, وإذا بلغ الشح إلى ذلك فهو بخل وهو رذيلة. والعلم عند الله تعالى.[452]}{ إخبار بأن الشح في كل أحد, وأن الإنسان لابد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره, يقال: شح يشح {بكسر الشين} قال ابن جببر : هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها أيامها. وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها, وقال ابن عطية: وهذا أحسن فإن الغالب على المرأة الشح بنصيبها من زوجها , والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشّابة . والشح الضبط على المعتقدات والإرادة وفي الهمم والأموال ونحو ذلك, فما أفرط منه على الدين فهو محمود, وما أفرط منه في غيره ففيه بعض المذمة, وهو الذي قال الله فيه { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} وما صار إلى حيّز منع الحقوق الشرعية أو التى تقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة. وإذا آل البخل إلى هذه الأخلاق

---

[452] أضواء البيان{502-501/1}

المذمومة والشيم اللئيمة لم يبق معه خير مرجوّ ولا صلاح مأمول.[453]} وأخبر الله تعالى- بأن الشح في كل أحد, وأن الإنسان لا بد أن يشح بحكم خلقته وجبلّته, حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره , والشح إذا أدّى إلى منع الحقوق الشرعية أو التي تقتضيها المروءة فهو البخل وهو داء.[454]}{ وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب من قول من قال: عنى بذلك: وأحضرت أنفس الرجال والنساء الشح. على ما قاله ابن زيد , لأن مصالحة الرجل امرأته بإعطائه إياها من ماله جعلا, على أن تصفح له عن القسم لها, غير جائزة, وذلك أنه غير معتاض عوضا من جعله الذي بذله لها. والجعل لا يصح إلا على عوض, إما على عين, وإما على منفعة. والرجل متى جعل للمرأة جعلا على أن تفصح له عن يومها وليلتها, فلم يملك عليها عينا ولا منفعة. وإذا كان كذلك, كان ذلك من معاني أكل المال بالباطل. وإذا كان ذلك كذلك, فمعلوم أنه لا وجه لقول من قال: عنى بذلك الرجل والمرأة. فإن ظن ظان أن ذلك إذ كان حقا للمرأة, ولها المطالبة به فللرجل افتداؤه منها بجعل فإن شفعة المستشفع في حصة من دار اشتراها رجل من شريك له فيها حق المطالبة بها, فقد يجب أن يكون للمطلوب افتداء ذلك منه بجعل. وفي إجماع الجميع على الصلح في ذلك على عوض غير جائز, إذ كان غير معتاض منه المطلوب بالشفعة عينا ولا نفعا, ما يدل على بطول صلح الرجل امراته على عوض على أن تصفح عن مطالبتها إياه بالقسمة لها. وإذا فسد ذلك صح أن تأويل الآية ما قلنا.[455]}

قال الله تعالى:{ و الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناۜ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر, ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قريناۜ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما} النساء 37-39} في هذه الآيات ذم الله سبحانه وتعالى الذين يجمعون بين الصفتين المذمومتين البخل ثم الأمر به قال السعدي رحمه الله تعالى: فهؤلاء ما بهم من الاختيال

---

[453] تفسير القرطبي{406/5}-
[454] تفسير المنير{311/5-321}
[455] تفسير الطبري{565/7}

والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق. ولهذا ذمهم بذلك, بقوله : { الذين يبخلون} أي : يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة{ ويأمرون الناس بالبخل} بأقوالهم وأفعالهم{ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله}أي من العلم الذي يهتدي به الضالون ويسترشد به الجاهلون, فيكتمونه عنهم, ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال, والبخل بالعلم , وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم , وهذه هي صفات الكافرين فلهذا قال تعالى: { وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا} أي كما تكبّروا على عباد الله, ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم, من البخل وعدم الاهتداء أهانهم بالعذاب الأليم , والخزي الدائم فعياذا بك اللهم من كل سوء.

ثم أخبر عن النفقة الصاردة عن رياء وسمعة وعدم إيمان به فقال: { والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس}أي ليروهم ويمدحوهم ويعظموهم{ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر} أي ليس إنفاقهم صادر عن إخلاص وإيمان بالله ورجاء ثوابه, أي: فهذا من خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها, ليكونوا من أصحاب السعير, وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها فلهذا قال:{ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا} أي بئس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك من قارنه, ويسعى فيه أشدّ السعي. فكما أن من بخل بما آتاه الله وكتم ما منّ به الله عليه عاص آثم مخالف لربه, فكذلك من أنفق وتعبد لغير الله, فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة, لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره على وجه الإخلاص كما قال تعالى: { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب فلهذا حث تعالى عليه بقوله{ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما}أي شيئ عليهم ,وأي حرج ومشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله, الذي هو الإخلاص , وأنفقوا من أموالهم التى رزقهم الله وأنعم بها عليهم , فجمعوا بين الإخلاص والإنفاق, ولما كان الإخلاص سرا بين العبد وبين ربه لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال { وكان الله بهم

عليما}[456]{وعلى اختلاف سبب النزول اختلف أقوال المفسرين من عنى بالذين يبخلون. وقيل: هي عامة في كل من يبخل ويأمر بالبخل من اليهود وغيرهم, والبخل في كلام العرب منع السائل شيئا مما في يد المسؤول من المال, وعنده فضل, قال طاوس: البخل أن يبخل الإنسان بما في يده, والشح أن يشح على ما في أيدي الناس, والبخل في الشريعة هو منع الواجب, وقال الراغب: لم يرد البخل بالمال, بل بجميع ما فيه نفع للغير انتهى, ولما أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين ومن ذكر معهما, من المحتاجين على سبيل ابتداع أمر الله , بين أن من لايفعل ذلك قسمان. أحدهما: البخيل الذي لا يقدم على إنفاق المال البتة, حتى أفرط في ذلك وأمر بالبخل, والثاني: الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس, لا لغرض أمر الله وامتثاله وطاعته, وذم تعالى القسمين بأن أعقب القسم الأول{ وأعتدنا للكافرين} وأعقب الثاني بقوله: { ومن يكن الشيطان له قرينا} والبخل أنواع : بخل بالمال وبخل بالعلم وبخل بالطعام , وبخل بالسلام , وبخل بالكلام وبخل على الأقارب دون الأجانب, وبخل بالجاه, وكلها نقائص ورذائل مذمومة عقلا وشرعا.[457]}{ البخل المذموم في الشرع هو الامتناع من أداء ما أوجب الله, وهؤلاء المذكورون في هذه الأية ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل الذي هو شرّ خصال الشرّ, ما هو أقبح منه وأدل على سقوط نفس فاعله وبلوغه في الرذالة إلى غايتها{و} هو أنهم مع بخلهم بأموالهم وبما منحوا به وكتمهم لما أنعم الله به عليهم من فضله{ يأمرون الناس بالبخل} كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجا ومضاضة, فلا كثر الله في عباده من أمثالكم. هذه أموالكم قد بخلتم بها لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعه فما بالكم بخلتم بأموالكم وغيركم مع أنه لا يلحقكم في ذلك ضرر, وهل هذا إلا غاية اللؤم ونهاية الحمق والرقاعة وقبح الطباع وسوء الاختيار, وقد قيل إن المراد بهذه الآية اليهود فإنهم جمعوا بين الاختيال والفخر والبخل بالمال, وكتمال ما أنزل الله في التوراة.[458]}{ يبخلون بذات أيديهم, وبما في أيدي غيرهم فيأمرون بأن يبخلوا به مختال والسخاء ممن وجد, وفي أمثال

[456] تفسير السعدي{5/178-179}
[457] تفيسر أبي حيان{3/256-257}
[458] فتح البيان{3/118}

العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره, ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل, من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحلّ حبوته واضطرب , ودارت عيناه في رأسه, كأنها نهب رحله وكسرت خزانته, ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده, وقيل: هم اليهود, كانوا يأتون رجالا من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون, وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وماآتاهم من فضل الغني والتفاقر إلى الناس.[459] } يبخلون بأموالهم{ ويأمرون الناس} يعني إخوانهم, ومن هو مظنّة طاعتهم بالبخل بالأموال, فلا تنفق في شيء من وجوه الإحسان إلى ذكره{ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله} يعني: من الرزق والمال, فيجيء- على هذا – أن الباخلين منفيّة عنهم محبة الله , والآية إذا نزلت في المؤمنين, فالمعنى: أحسنوا أيها المؤمنين , إلى من سمّي , فإن الله لا يحب من فيه الخلال المانعة من الإحسان إليهم من المؤمنين ,وأما الكافرين بأنه أعدّ لهم { عذابا مهينا} ففصل توعد المؤمنين من توعد الكافرين بأن جعل الأول عدم المحبة والثاني عذابا مهينا.[460] } وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله, وما كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.[461] } وذكر الطبري الأقوال في هذه الأية ثم قال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما قاله الذين قالوا: إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآية بالبخل, بتعريف من جهل أمر محمد ﷺ , أنه حق, وأن محمدا لله نبي مبعوث, وغير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى ذكره قد بيّنه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه, فبخل بتبيينه للناس هؤلاء وأمروا من كانت حاله حالهم في معرفتهم به أن يكتموه من جهل ذلك, ولا يبيّنوه للناس. وإنما قلنا: هذا القول أولى بتأويل الآية, لأن الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل, ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمر الناس بالبخل ديانة ولا تخلقا, بل ترى ذلك قبيحا, ويذم فاعله, ولا يمتدح, وإن هي تخلقت بالبخل واستعملته في أنفسها, فالسخاء والجود تعده من مكارم الأفعال وتحث عليه , ولذلك قلنا : إن

---

[459] الكشاف {75-74/2}
[460] المحرر الوجيز{551-550/5}
[461] تفسير البيضاوي{356/5}

بخلهم الذي وصفهم الله به , إنما كان بخلا بالعلم الذي كان الله آتاهموه , فبخلوا بتبيينه للناس, وكتموه دون البخل بالأموال إلا أن يكون معنى ذلك : الذين يبخلون بأموالهم التى ينفقونها في حقوق الله وسبيله, ويأمرون الناس من أهل الإسلام بترك النفقة في ذلك, فيكون بخلهم بأموالهم وأمرهم الناس بالبخل, فهذا المعنى على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس,فيكون لذلك وجه مفهوم في وصفهم بالبخل وأمرهم به.[462]}{ ثم بين الله تعالى أوصاف المختال الفخور بقوله: الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله} أي إنه تعالى يذم الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين والجيران ونحوهم, ولا يدفعون حق الله تعالى فيها, ويأمرون الناس بالبخل أيضا, ويكتمون أفضال الله عليهم, فالبخل جحود لنعمة الله ولا تظهر عليه آثارها في مأكل أو ملبس أو إعطاء وبذل كما قال: { إن الإنسان لربه لكنود ۝ وإنه على ذلك لشهيد ۝{7} العاديات أي شهيد بحاله وشمائله, وذم النبي ﷺ أيضا البخل فقال: {{ وأي داء أدوأ من البخل؟ }} وقال فيما رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو: " إياكم والشح فإنه هلك من كان قبلكم, وأمرهم بالبخل فبخلوا, وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا. ولكل هذه الخصال القبيحة في البخلاء توعدهم الله بالعقوبة بقوله: { وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما} أي هيأنا لهؤلاء بكبرهم وبخلهم وعدم شكرهم عذابا يهينهم ويذلهم, إنه عذاب جامع بين الألم والذل, جزاء على فعلهم, وسماهم الله كفارا إشعارا بأن هذه أخلاق الكفار لا المؤمنين, لأن الكفر: هو الستر والتغطية , والبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها فهو كافر لنعمة الله عليه.[463]}

قال الله تعالى: {{إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ۝ وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ۝ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ۝ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه , والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا

[462] تفسير الطبري{25/7}
[463] تفسير المنير{73}

يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} محمد 36-37} إنما الحياة الدنيا لعب وغرور,وإن تؤمنوا بالله ورسوله, وتتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه, يؤتكم ثواب أعمالكم, ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعا في الزكاة, بل يسألكم إخراج بعضها,إن يسألكم أموالكم, فيلحّ عليكم ويجهدكم, تبخلوا بها وتمنعوه إياها, ويظهر ما في قلوبكم من الحقد إذا طلب منكم ما تكرهون بذله,ها أنتم- أيها المؤمنون- تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه, فمنكم من يبخل بالنفقة في سبيل الله ,ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه, والله تعالى هو الغيّ عنكم وأنتم الفقراء إليه, وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلكّم, ويأت بقوم آخرين, ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله, بل يطيعونه ويطيعوا رسوله , ويجاهدون في سيبله بأموالهم وأنفسهم.[464]} وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات, إنما يسألان غيضا من فيض, ربع العشر فطيبوا بها نفسا. إلى هذا القول ذهب ابن عيينة, و يدل عليه سياق الآية: { إن يسألكموها فيحفكم} أي يجهد كم ويلحف عليكم بمسألة جميعها, يقال: أخفى فلان فلانا إذا جهده وألحف عليه بالمسألة.[465]}

{أي لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم ويعنتكم من أخذ أموالكم, وبقائكم بلا مال, أو ينقصكم نقصا يضركم, ولهذا قال: { إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم} أي: مافي قلوبكم من الضغن, إذا طلب منكم ما تكرهون بذله, والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها, أنكم تمتنعون منها, أنكم { تدعون لتنفقوا في سبيل الله } على هذا الوجه, الذي فيه مصلحتكم الدينية الدنيوية,{ فمنكم من يبخل} أي فيكف لوسألكم, وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك, ثم قال: { ومن

[464] تفسير الميسر{510}
[465] تفسير البغوي{291/7}

يبخل فإنما يبخل عن نفسه} لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى, وفاته خير كثير, ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.[466]}

قال الله سبحانه وتعالى: { والله لا يحب كل مختال فخورۨ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالخبل, ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد}الحديد 23-34}في هذه الأية : بين الله تعالى من صفات المتكبرين التى هي التفاخر والخيلاء التى هي من أبرز صهاتهم, ثم وصفهم الله تعالى أيضا بالبخل الذي هو منع حقوق الله تعالي على مستحقه, وهو يبخل بما أعطاه الله تعالى, ثم وصفهم بأنهم هم الذين يأمر الناس بالبخل بما أعطاهم الله من فضله ,ويبغضون المحسنين,وهودليل في الأية أنهم يكرهون المنفقين أموالهم في سيبل الله تعالي وابتغاء مرضاته تعالى, وفي الأية دليل أيضا يدل على أن البخل من أسباب فقر في المجمتع لأن البخيل لا يمنع من ماله حق المحتاجين في المجتمع ويعود ضر بخله على نفسه وعلى المجتمع, فيعلم البخيل أن من تول عن أمر الله وعن انفاق في سبيله والإحسان إلى الخلق كما أحسن الله إليه إنما يهلك نفسه ,فأما الذي أنفق ماله في سيبل الله تعالى ,ولم يبخل فيما أعطاه فإن الله يعطيه أجره في الدنيا والآخرة ,وأما من بخل وكفر بما أنعم الله عليه ولم يؤدي شكره .فإن الله هو الغني الحميد.: أي لا يحب من اتصف بهذه الصفات وهما الاختيال والافتخار, قيل : هو ذم للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر, وقيل: إن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها, وقيل: المختار الذي ينظر إلى نفسه ,و الفخور الذي ينظر إلى الناس بعين الإستحقار, والأولى: تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله . { الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل} والخبر مقدر أي الذين يبخلون بما يجب عليهم من المال كزكاة وكفارة, ومن تعليم العلم ونشره وإذاعة أوصاف النبي ﷺ, فإن الله غني عنهم, وقيل : الموصول في محل جر بدل من مختال, وهو بعيد, فإن هذا البخل بما في اليد وأمر الناس بالبخل ليس هو معنى المختال الفخور, ويدل على الأول قوله: { ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد}أي ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه,

---

[466] تفسير السعدي{791/790/26}

محمود عند خلقه, لا يضره ذلك, قال سعيد بن جبير الذين يبخلون بالعلم ويأمرون الناس بالبخل لئلا يعلموا الناس شيئا, وقال زيد بن أسلم إنه البخل بأداء حق الله, وقيل: إنه البخل بالصدقة, وقال طاوس: إنه البخل بما في يديه, وقيل أرادوا رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ في كتبهم .[467]

لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا, ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وأشر. والله لا يحب متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره . هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بما لهم , ولا ينفقونه في سبيل الله , ويأمرون الناس بالخبل بتحسينه لهم, ومن يتولّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه, ولن يضر الله شيئا فإن الله هو الغني عن خلقه الحميد الذي له كل وصف حسن كامل, وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.[468]} أي الذين يجمعون بين الأمرين الذميمين , اللذين كل منهما كاف في الشر والبخل: وهو منع الحقوق الواجبة, ويأمرون الناس بذلك, فلم يكفهم بخلهم,حتى أمروا الناس بذلك وحثّوهم على هذا الخلق الذميم بقولهم وفعلهم, وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها, { ومن يتول} عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه, ولن يضر الله شيئا{ فإن الله هو الغني الحميد} الذي غناه من لوازم ذاته, الذي له ملك السماوات والأرض, وهو الذي أغنى عباده وأقناهم , الحميد الذي له كل اسم حسن ووصف كامل , وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه ويثني ويعظم.[469]} عظمت الدنيا في أعينهم فبخلوا أن يؤدوا منها حقوق الله تعالى, وكفاكم ذلك حتى أمروا الناس بالبخل, ورغبوهم في الإمساك, والظاهر أنهم أمروا الناس حقيقة. وقيل: كانوا قدوة فيه, فكأنهم يأمرون به, ومن يقول عن ما أمر الله به.[470]}: كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون, يريد: الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزّته عندهم وعظمه في عيونهم: يزوون عن حقوق الله ويبخلون به, ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينونه لهم, وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند

---

[467] فتح البيان{13:420}
[468] تفسير الميسر{540}
[469] تفسير السعدي{842/27}
[470] تفسير أبي حيان{224/8}

إصابته.[471] } فإن المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره بذلك , والظاهر أن المراد أنهم يأمرون حقيقة, وقيل: كانوا قدوة فكأنهم يأمرون أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين إلخ أو مبتدأ خبره محذوف تقديره يعرضون عن الإنفاق الغير عنه الله عزوجل , ويدل عليه قوله تعالى: {ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد} فإن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله سبحانه غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره بالتقرب إليه بشيء من نعمه ﷻ}[472]

يقول تعالى ذكره : والله لا يحب كل مختال فخور, الباخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس , فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه, ويشحّون به, وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل,... ومن يدبر معرضا عن عظة الله , تاركا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله, فرحا بما أوتي من الدنيا , مختالا به فخورا بخيلا, فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته ,وعن غيره من سائر خلقه الحميد إلى خلقه بماأنعم به عليهم من نعمه.[473] },إن المختالين الفخورين هم الذين يبخلون عادة بأموالهم, فلا يؤدون حق الله فيها, ولا يواسون بائسا فقيرا,ولا معدما عاجزا, بل إنهم يطلبون من غيرهم إمساك المال, ويحسنون للناس أن يبخلوا بما يملكون , حتى يجعلوا لهم أشباها وأمثالا, ولكن من يعرض عن الإنفاق وعن أمر الله وطاعته , فإن الله غني عنه, محمود الذات في السماء والأرض عند خلقه, لا يضره ذلك, ولايضرن البخيل إلا نفسه كما قال موسى عليه السلام لقومه فيما حكى القرآن : { إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد} إبراهيم 8}[474]

قال الله سبحانه وتعالى: { وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسّره للعسرى} الليل 10} هذه بين الله سبحانه وتعالى أن البيخل من صفاته أنه استغني بالدنيا عن طلب الآخرة , وكفر بنعمة الله ,ولم يشكر تعالى, ولم يسخر ماله في مرضات الله تعالى, وطاعته ولم يتقرب به إليه في صلة الأرحام , بل بخل وعصى ومنع وتكبر وتجبر وأضاف نعمة الله تعالى إلى نفسه ,وفي الأية أيضا أن

---

[471] الكشاف{51/6}
[472] روح المعاني{188/27}
[473] تفسير الطبري{423/22}
[474] تفيسر المنير{354/14}

البخل من أسباب صد طرق الخير عن العبد , ويجلب المشقة والضيق والحرج للعبد ولا يكاد يجد من يساعده في حل مشاكله ,ويكون شقيا في الدنيا والأخرة ,يحسب أن ماله يخلده في الدنيا,فإن أموره كله يكون فيها الصعاب والمشقةأمامه,قال عبدالله ابن عباس ﷺ في قوله تعالى فأما من بخل واستغنى: استغنى عن الله.وهو كفر, فإن الله غني عن العالمين, وهم فقراء إليه وهوالحميد. ويشبه أن يكون المراد استغنى بالدنيا عن الآخرة , فركن إلى المحسوس, وآمن به , وضلّ عن المعقول, وكذب به, ورأى أن راحة النقد خير من راحة النسيئة , وضلّ عن وجه النجاة , وربح التجارة التى اتفق العقلاء على طلبها بإسلام درهم إلى غني وفيّ ليأخذ عشرة في المستقبل, والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد, وهو الغنيّ له مافي السموات وما في الأرض, والخلق ملكه, وأمر بالعمل وندب إلى النصب, ووعد عليه بالثواب, فالحرام معقولا, والواجب منقولا امتثال أمره وارتقاب وعده وهذا منتهى الحكم في الآية , وما يتعلق به وراء ذلك من البيان ما يخرج عن المقصود فأرجأته إلى مكانه بمشيئة الله وعونه}[475]} قلت البخيل مكروه عند الله تعالى لأنه بخل في حق الله تعالى, ولم يثق بما عند الله تعالى, { وأما من بخل} بما أمر به, فترك الإنفاق الواجب والمستحب, ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله,{ واستغنى} عن الله, فترك عبوديته جانبا, ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها, الذي لانجاة لها ولا فوز ولا فلاح ,إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها , الذي تقصده وتتوجه إليه,{ وكذب بالحسنى} أي بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة{ فسنيسره للعسرى} أي للحالة العسرة, والخصال الذميمة , بأن يكون ميسرا للشر أينما كان, ومقيضا له أفعال المعاصي نسأل الله تعالى العافية, { وما يغني عنه ماله} الذي أطغاه واستغنى به وبخل به إذا هلك ومات, فإنه يكون لا يصحبه إلا عمله الصالح, وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالا عليه, إذ لم يقدم منه لآخرته شيئا.[476]} قال في فتح البيان : { وأما من بخل} بماله فلم يبذله في سبل الخير{ واستغنى} أي زهد في الأجر والثواب أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخر, قال ابن عباس, أي من أغناه الله فبخل بالزكاة,{

[475] أحكام القرآن لابن العربي المالكي{407/4}
[476] تفسير السعدي{927/30}

فسنيسرّه للعسرى} أي فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى يتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك إلى الناس, قال مقاتل يعسر عليه أن يعطي خيرا, قيل العسرى الشر, وذلك يؤدي إلى العذاب , والعسرة في العذاب والمعنى سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه قال بن عباس للعسرى للشر من الله وقيل للنار.[477]} يقول جلّ وعز: وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله , ومنع ما وهب الله له من فضله, من صرفه في الوجوه التى أمره الله بصرفه فيها, واستغنى عن ربّه, فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته في الزيادة فيما خوّله من ذلك.[478]} قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال العلماء: ثبت بهذه الآية– أن الجود من مكارم الأخلاق , والبخل من أرذلها وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء, ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع, لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء, والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء, فكل من استفاد بما يعطي أجرا وحمدا فهو الجواد. و كل من استحق بالمنع ذما أو عقابا فهو البخيل. ومن لم يستفد بالعطاء أجرا ولا حمدا, وإنما استوجب به ذما فليس بجواد, وإنما هو مسرف مذموم , وهو من المبذرين الذين جعلهم الله إخوان الشياطين, وأوجب الحجر عليهم , ومن لم يستوجب بالمنع عقابا ولا ذما واستوجب به حمدا , فهو من أهل الرشد, الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم.[479]}

قلت فالجواد ليس هو الذي ينفق ماله في معصية الله تعالى , فليس الجود الإنفاق في موضع الحرام , وكذلك البخل هو الذي يكون في موضع يجب فيه الإنفاق فيبخل كالذي يمنع حق الله تعالى كالزكاة والحقوق الواجبة كالبر الوالدين وصلة الأرحام , والإنفاق في سبيل الله تعالى في وجوه المستحبة, وخاصة في وقت المسلمون يحتاجون فيه إلى ذلك كبناء المساجد والمدارسة, المستشفيات وكل ما يتعلق بالمصالح العامة, وكذلك في قت الحروب من مساعدة اللاجئين

---

477 فتح البيان في مقاصد القرآن {266/15}

478 تفسير الطبري{466/24}

479 تفسير القرطبي{20/84-85}

والمشردين والمحتاجين وغير ذلك مما عرف في هذا العصر من كثرة المشاكل وبخاصة مناطق المسلمين,والله المستعان أن يرفع البلاء والمصائب على المسلمين, ويحقق الأمن والإستقرار فيهم.

وكان النبي ﷺ يستعيذ ربه من البخل وذلك ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة : {التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حتّى أخرج إلى خيبر فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل فكنت أسمعه كثيرا يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن , والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال ... [480] } وفي هذا الحديث الشريف كان كثيرا ما يستعيذ من هذه الأمور لأنها تغير حال الإنسان هم الدائم وكثرة الحزن, والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الدين, يتأثر بها الإنسان في الحياة ,ويقلل شأنه عند الله تعالى, وعند الناس , وتغير الأخلاق من الحسنات إلى غيرها, وفيه دليل أن كلما كان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه, ليس صالحا لأن يتحلى بها المؤمن,ويلزمه إيمانه بالله ورسوله أن يستعيذ ما استعاذ به عنه النبي ﷺ, وفي هذا طلب سلامة من الله تعالى عن هذه الأخلاق ,وفيه أيضا إتباع سنة النبي ﷺ لاستعاذته من ربه تبارك وتعالى عن هذه الأخلاق ,والبخل من هذه الأخلاق المذمومة الذي طلب النبي عليه الصلاة والسلام العافة منه,وبين رسول الله ﷺ أن من أسباب هلاك الأمم السابقة الشح أمرهم الشح إلى معصية الله تعالى ومخالفة أنبياءهم وبقطيعة الأرحام, فإن واقع الأمة الآن دليل على أنها اتبعت سنن الأمم السابقة في هذا المجال, وذلك من حيث أن حب المال حملهم على الشح,و قطيعة الأرحام فطعوا أرحامهم,وأكثر إختلاف بين الإخوان جاء من الشح في ما عند بعضهم, وعدم إنفاق الأموال في الضروريات المطلوبة لدي بعضهم, ثم يذهب جهة أخرى بمطالبة لقضاء حاجته الضرورية, وكذلك البخل أهلك الأمم السابقة فأمرهم البخل على الفجور,التى هي معصية الله تعالى ومخالفة أوامره فإنه يهدي الإنسان إلى الهلاك والنار جهنم يوم القيامة' وأخرج أبو داود مختصرا وأحمد والحاكم والطيالسي وهذا لفظ للإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن

[480] فتح الباري{100/6} رقم الحديث{2893}-

العاص- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: { الظلم ظلمات يوم القيامة , وإيّاكم والفحش, فإن الله لا يحب الفحش ولا التّفحّش, وإياكم والشح , فإن الشح أهلك من كان قبلكم, أمرهم بالقطيعة فقطعوا, وأمرهم بالبخل فبخلوا, وأمرهم بالفجور ففجروا}} فقام رجل فقال : يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: {{ أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك }فقام ذاك أو أخر فقال : يارسول الله أي الهجرة أفضل؟ قال: {أن تهجر ما كره ربّك والهجرة هجرتان: هجرة الحاضر والبادي, فجهرة البادي: أن يجيب إذا دعي ويطيع إذا أمر, والحاضر أعظمهما بليّة وأفضلهما أجرا[481] } و أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أمير المؤمنين علي ابن طالب ﷺ قال كنّا في جنازة في بقيع الغرقد. فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنّكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: {{ ما منكم من أحد , ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار, وإلا وقد كتبت شقيّة أو سعيدة } قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: {{ من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة, ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة } فقال: اعملوا فكل ميسر, أما أهل السعادة فييسرّون لعمل أهل السعادة , وأما أهل الشقاوة فييسّرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: فأما من أعطى واتقي وصدق بالحسنىّ فسنيسرّه لليسرىّ وأما من بخل واستغنىّ وكذّب بالحسنىّ وفسنيسّره للعسرى.[482]} وأخرج الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عباس ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ : {{ لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ,ولا خطر على قلب بشر, ثم قال لها: تكلّمي, فقالت : قد أفلح المؤمنون , قال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل.[483]} في هذا الحديث الشريف وعيد شديد لمن بخل مما أعطاه الله تعالى, هو أنه لا يجاوره في الجنة النعيم ,فالبخيل أمامه وعيد شديد عند الله تعالى يوم القيامة, وفي الحديث الشريف

---

481 أبو داود {1698} وأحمد {2/159-160} وقال أحمد شاكر إسناده صحيح {9/251}رقم {6487} وعزاه للطيالسي والحاكم وصحح الألباني رواية أبي داود في صحيح سنن أبي داود باب في الشح,

482 أخرج البخاري الفتح{8/ 834-835} رقم الحديث4948} ومسلم{8/157}رقم الحديث 2647}-

483 الطبراني في الكبير {11/184} رقم 11439} وقال مخرجه: رواه في الأوسط وإسناده جيد وفي{12/147} رقم {12723} وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد {10/397}.وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدمها جيد ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث أنس{3/180-281}

أيضا دليل أن البخيل لا يكون له رفقة الصالحين في الدنيا والأخرة, ولا يدخل في ضمن عباد الله تعالى الصالحين, ولا يدخل في الجنة النعيم, دار أهل السخاء والجود, دار الطيبين,والرسول ﷺ مع أهل السخاء والجود والمحسنين في الدنيا والآخرة.فمن أرد أن يكون مع أهل السعادة والسخاء والصالحين في دار النعيم الجنة أولئك أهل أحسن رفقاء, فعليه أن يتمسك بأخلاقهم وسيرهم وينتهج نهجهم في طاعتهم لربهم, وسلوك طريقا غير طريقهم لا يجد له رفقتهم في الأخرة ومجارتهم في دارالنعيم, ولو أنفق ما في السموات والأرض,وأن يجد سلما إلى السماء يرتقي إليه, أهون عليه أن يجد السعادة في الآخرة من غير طريقهم,ونهجهم,

وهذا الحديث فسره حديث آخر هو حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ ما من رجل له مال لا يؤدّي حق ماله إلا جعل له طوقا في عنقه شجاع أقرع وهو يفرّ منه وهو يتبعه, ثم قرأ مصداق ذلك من كتاب الله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة{ آل عمران 180}[484]} وأخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتّان من حديد من ثديّهما إلى تراقيهما, فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره, وأما البخيل فلا يريد أ ن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع.[485]} قال الخطابي وغيره: هذا مثل ضربه النبي ﷺ للبخيل والمتصدق, فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعا يستتر به من سلاح عدوه, فصبها على رأسه ليلبسها, والدرع أول ما تقع على الصدر والثديين إلى أن يدخل الإنسان يديه في كميها, فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه, وهو معنى قوله: {{ حتى تعفو أثره} أي تستر جميع بدنه , وجعل البخيل كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه, كلما أراد لبسها اجمتعت في عنقه فلزمت ترقوته, ومعنى قوله: {{ قلصت}} أي تضامت واجمعت, المراد أن الجواد

---

[484] أخرجه النسائي {154/5} واللفظ له وقال الألباني: صحيح {512/2}رقم {2289}وابن ماجه{1784}

[485] الفتح :{ 346/3} رقم {1443} ومسلم

إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق , والبخيل إذا حدث بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه{ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} وقال المهلب: المراد أن الله ستر المنفق في الدنيا والآخرة, بخلاف البخيل فإنه يفضحه, ومعنى تعفو أثره تمحو خطاياه وتعقبه عياض بأن الخبر جاء على التمثيل لا على الإخبار عن كائن , قال : وقيل هو تمثيل لنماء المال بالصدقة والبخل بضده, وقيل تمثيل لكثرة الجود والبخل, وأن المعطى إذا أعطى انبسطت يداه بالعطائ وتعود بذلك , وإن أمسك صار ذلك عادة , وقال الطبي : قيد المشبه به بالحديد وإعلاما بأن القبض والشدة من جبلة الإنسان , وأوقع المتصدق موقع السخى لكونه جعله في مقابلة البخيل إشعارا بأن السخاء هو ما أمر به الشارع وندب إليه من الإنفاق لا يتعاناه المسرفون.[486]} قال النووي رحمه الله :- وقع هذا الحديث في جميع النسخ من رواية عمر- ﷺ – مثل المنفق والمتصدق, قال القاضي وغيره: هذا وهم وصوابه مثل ما وقع في باقي الروايات مثل البخيل والمتصدق, وتفسيرهما آخر الحديث يبيّن هذا , قد يحتمل أن صحة رواية عمر- ﷺ – وهكذا أن تكون على وجهها, وفيها محذوف تقديره مثل المنفق والمتصدق وقسيمهما وهو البخيل, وحذف البخيل لدلالة المنفق والمتصدق عليه كقول الله تعالى:{ سرابيل تقيكم الحر} {النحل:81}أي والبرد وحذف ذكر البرد لدلالة الكلام عليه, وقال القاضي رحمه – وقع في هذا الحديث أوهام كثيرة من الرواة,وتصحيف, وتحريف وتقديم وتأخير ويعرف صوابه من الأحاديث التى بعده, فمنه{ مثل المنفق والمتصدق} وصوابه{ المتصدق والبخيل} ومنه {كمثل رجل} وصوابه { رجلين عليهما جنتان} ومنه قوله{جنتان أو جبتان} بالشك وصوابه {جنتان} بالنون بلا شك كما في الحديث الآخر بلا شك}[487]} قال الإمام القرطبي – رحمه الله- وهذان المثالان للبخيل والمتصدق واقعان, لأن كل واحد منهما إنما يتصرف بما يجد من نفسه فمن غلب الإعطاء والبذل عليه طاعت نفسه , وطابت بالإنفاق, وتوسعت فيه, ومن غلب عليه البخل , كان كلما خطر بباله إخراج شيئ مما بيده شحت نفسه بذلك, فانقبضت يده للضيق الذي يجده في صدره, ولشح

---

[486] فتح الباري{3/347-348} باب مثل المتصدق والبخيل و ومسلم {7/150-151} باب المنفق والبخيل}

[487] شرح مسلم للنووي{7/150-151}-

نفسه الذي من وقيه أفلح كما قال تعالى: { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم الفلحون} الحشر9}[488] } وقيل: المراد تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق, والبخل بضد ذلك, وقيل: هو تمثيل لكثرة الجود والبخل وأن المعطي إذا أعطي انبسطت يداه بالعطاء وتعود على ذلك, وإذا أمسك صار ذلك عادة له وقيل: إن الصدقة تحمي وتستر خطاياه كما يغطي الثوب الذي يجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشي بمرور الذيل عليه.[489]} قال ابن القيم : لما كان البخيل محبوسا عن الإحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله, فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن , لا يكان تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب, فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها, وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة موضعها وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه لا كما هو , المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة, فكلما تصدق اتسع وانفسح وقوي فرحه وعظم سروره, ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها, وقد قال تعالى: { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} الحشر9}[490] وعن عقبة بن عامر ﵁ قال: قال: رسول الله ﷺ : { إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد , وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملؤوه , ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيّا بخيلا جبانا.[491]} وري جبير بن مطعم – ﵁ قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلا من حنين علقت رسول الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطرّوه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ فقال: { أعطوني ردائي. فلو كان عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا}[492]} وأخرج

---

[488] المفهم {3/66-67}
[489] شرح مسلم للنووي{7/152-153}
[490] الوابل الصيب{1/49}
[491] أخرجه أحمد {4/145} واللفظ له وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه لين وبقية رجاله وثقوا{8/83-84}
[492] البخاري في الفتح{6/3148}

الإسماعيلي في المعجم من حديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : { إنّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم, وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحبّ, ولا يعطي الإيمان إلا من أحبّ, فمن ضنّ بالمال أن ينفقه , وخاف العدوّ أن يجاهده , وهاب الليل أن يكابده , فيكثر من قول : سبحان الله , والحمد لله ولا إله إلا الله أكبر}[493] وأخرج الإمام البزار في المسند وابن عساكر في تأريخ دمشق من حديث أبي الأعور عن رسول الله ﷺ: { ما أخاف على أمتي إلا ثلاثا: شحّ مطاع, وهوي متّبع وإمام ضلال}[494] وأخرج الفسوي في المعرفة من حديث قرّة المزني ﷺ قال كنا عند رسول الله ﷺ فذكر عنده الحياء فقالوا: يا رسول الله! الحياة من الدين؟ فقال رسول الله ﷺ : { إن الحياة والعفاف والعي- عيّ اللسان لا عيّ القلب – والفقه : من الإيمان , وإنهنّ يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا , وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا. وإن الشّحّ والفحش والبذاء من النفاق, وإنّهنّ ينقصن من الآخرة ويزدن في الدنيا, وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن من الدنيا}[495]}

وأخرج الإمام أحمد في الزهد والطبراني من حديث عمروبن شعيب عن أبيه عن جده:قال رسول الله ﷺ: صلاح أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين, ويهلك آخرها بالبخل والأمل}[496] قال محمد بن المنكدر رحمه الله: كان يقال: إذا أراد الله بقوم شرّا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم.[497]} وقال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: لا تزوج اليخيل ولا تعامله, ما أقبح القارئ حين يكون بخيلا.[498]} قال حبيش بن مبشر الثقفي الفقيه: قعدت مع أحمد بن حنبل ويحي بن معين والناس

---

[493] المعجم {114/1} في التأريخ الخطيب{279/12} وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان{348/1-349} وذكره الألباني{482/6} قال : وهذا إسناد صحيح رجاله على شرط مسلم كلهم , إلا الجوهري وتابعه جمع عند الحاكم {33/1} وصححه ووافقه الذهبي,

[494] أخرجه البزار في مسنده {1602/238/2} والدّولابي في الكني{16/1} وابن منده في المعرفة{2/26/2} وابن عساكر في تأريخ دمشق}وصححه السلسلة الصحيحة{713/7}

[495] الفسوي في المعرفة{311/1} والبيهقي في الأدب{132-199} وابن عساكر{10/7-6} البيهقي في الشعب وفي السنن الكبري{10/193-195} والبخاري في التأريخ{181/1/4} والطبراني المعجم الكبير{29/19}

[496] أخرجه أحمدفي الزهد{10} والطبراني المعجم الأوسط{316/8-7636} وابن عدي في الكامل{127/6} والبيهقي في الشعب{427/7} والسلسلة الصحيحة رقم{3427-1263/7}

[497] الإحيان {255/3}

[498] المرجع السابق{25/3}

متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلا صالحا بخيلا.[499]} قال ابن القيم رحمه الله :- الجبن والبخل قرينان , فإن عدم النفع منه إن كان ببدن فهو جبن, وإن كان بماله فهو بخل.[500]}

قال بعض الحكماء : البخيل ليس له خليل , البخيل حارس نعمته وخازن ورثته ,

إذا كنت جمّاعا لمالك ممسكا فأنت عليه خازن وأمين

تؤديه مذموما إلى غير حامد فيأكله عفوا وأنت دفين.

[499] المرجع السابق{25/3}
[500] الكافي {85}

المبحث الخامس

فقد المصداقية في طلب الرزق

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق السموات والأرض وخلق جميع ما فيهما وما بينهما, ثم أرسل الرسل وأنزل معهم الكتاب والبيّنات لكي يقوم الناس بالقسط والعدل, وجعل الصدق من سمات المؤمنين ,وجعل الصادق هو حبيب الله تعالى, وأمر المؤمنين بالصدق, وأن يكونوا مع الصادقين, والصدق يهدي صاحبه إلى كل بر وخير ,ولا يزال العبد يصدق فيما بينه وبين ربه , وفيما بينه نفسه وفيما بينه بين الناس, حتي يكتب عند الله تعالى بهذه الصفة كونه صادقا, فمن صفات المؤمن أن يكون صادقا في جميع أحواله سيّان في الضيق أو الرخاء وسواء يتعلق الأمر على

الإنسان نفسه أو يتعلق بأقاربه, ويجب على المؤمن أن يكون صادقا في أداء حقوق الله وكذلك حقوق عباده , في التعامل مع الناس, وفي البيع والشراء, عموما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصدق , وكونهم مع الصادقين وقيل إذا أردت أن تعرف إلتزام قوم فأذهب إلى أسواقهم , تعرف كيف يتعاملون فيها بالصدق أو الكذب والغش والغداع والمكر,ثم اذهب إلى مساجد هم ستعرف كيف عبادتهم وكيف إلتزامهم بحضورهم صلاة الجماعة في مساجدهم, فالواقع في كثير من أسواق المسلمين اليوم يتعاملون في البيع والشراء بالكذب والغش والخيانة, وفقد الثقة , والخديعة , ولهذا نذكر الأيات الآمرة بالصدق ثم نذكر الأحاديث في ذلك مع ذكر أقوال أهل العلم ,لعل أن نرجع إلى تطبيق أمر الله تعالى في البيع والشراء خاصة, لأن بعض المسلمين فتنوا بعرض حياة الدنيا , فلم يهتموا بأوامر الله تعالى ولم يصدقوا مع الله تعالى , ولم يصدقوا مع الناس في بيعهم وشرائهم بل جعلوا الكذب طريق كسب المال والغش والخداع , والحساب عليهم يوم القيامة عسير ,ولا يخفي على كل أحد من العقلاء أن الكذب من الأخلاق المرذولة , والصفات القبيحة , وهو صفة من صفات المنافقين , وشعبة من شعب الكفر وهو قريب من الكفر, وهو يدل على سفاهة عقل الكذاب , وعلامة سقوط الهمة , وخبث الطوية , والكذاب مهين النفس بعيد عن عزتها المحمودة , قال الماوردي: { والكذب جماع كل شرّ وأصل كل ذم, لسوء عواقبه , وخبث نتائجه, لأنه ينتج النميمة , والنميمة تنتج البغضاء , والبغضاء تؤول إلى العداوة, وليس مع العداوة أمن ولا راحة ولذلك قيل:من قل صدقه قلّ صديقه[501]} ولقد انتشر الكذب خصوصا في هذه الأزمان المتأخرة , فما أكثر من يكذب في علاقاته ومعاملاته, وما أقلّ من يصدق في ذلك ,مع أن نصوص الوحين جاءت حاثة على الصدق محذّرة من الكذب.

قال الله رب السموات والأرض في كتابه الذي أنزله على عباده لكي يهدي به. ويتخلقوا بأخلاقه الكريمة: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } التوبة{119}

[501] أدب الدنيا والدين{262}

في هذه الأية الكريمة أمر الله تعالى المؤمنين أن يتخلوا بالصدق في كل صغيرة وكبيرة, سواء في شئوون دينهم , وكذلك تعامل ما بينهم في بيعهم وشرائهم, وفي العهود التي تكون فيما بينهم, والمؤمن هو الذي صدّق بماجاء من عند الله تعالى , وصدق بما جاء به رسوله ﷺ ,وكان صادقا في أقواله وأفعاله و تصرفاته, ثم إنحاز وا وانضموا إلى جماعة المؤمنين الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم,إذا في الأية إرشاد للمؤمن أولا كونه يلزم عليه أن يكون صادقا, ثم ثانيا : كونه يكون مع الصادقين. قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرّفهم سيبل النجاة من عقابه, والخلاص من أليم عذابه{ يا أيها الذين آمنوا } بالله ورسوله {اتقوا الله } وراقبوه بأداء فرائضه وتجنّب حدوده { وكونوا } في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته, تكونوا في الآخرة {مع الصادقين} في الجنة. يعني : مع من صدق الله الإيمان به , فحقّق قوله بفعله, ولم يكن من أهل النفاق فيه , الذين يكّذب قيلهم فعلهم, وإنما معنى الكلام : كونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا, كما قال جلّ ثناؤه { و من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيّن والصّدّقين والشّهداء والصالحين} النساء {69}.

وإنما قلنا: ذلك معنى الكلام , لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأيّ وجوه الكون كان معهم, إن لم يكن عاملا عملهم , وإذا عمل عملهم فهو منهم, وإذا كان منهم, كان وجه الكلام أن يقال: { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} لتوجيه الكلام إلى ما وجّهنا من تأويله , فسر ذلك من فسرّه من أهل التأويل بأن قال: معناه: وكونوا مع أبي بكر وعمر أو مع النبي ﷺ والمهاجرين رضي الله عنهم.[502] } قال في المحرر الوجيز : في تفسير هذه الأية : { هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق , وذهب بهم عن منازل المنافقين, فجاء هذا الأمر اعتراضا في أثناء الكلام إذ عنّ في القصة ما يجب التنبيه على أمثاله, وقال ابن جريج وغيره: الصدق في الأية هو الصدق الحديث , وقال نافع والضحاك ما معناه: إن اللفظ أعمّ من صدق الحديث, وهو بمعنى الصحة في الدين والتمكن في الخير, كما تقول العرب : { عود صدق ورجل صدق} وقالت

---

[502] تفسير الطبري{67/12}

هذه الفرقة: كونوا مع محمد ﷺ وأبي بكر وعمر , وأخيار المهاجرين الذين صدقوا الله في الإسلام و{مع} في هذه الآية تقتضي الصحة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح,وقرأ ابن مسعود وابن عباس : وكونوا من الصادقين} ورويت عن النبي ﷺ , وكان ابن مسعود يتأول في صدق الحديث, وروي عنه أنه قال: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل, اقرؤوا إن شئتم{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}[503]{ قال مطرّف سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متّع بعقله وله ما يصيب غيره من الهرم والخرف,قال ابن العربي وهذا القول هو الحقيقة والغاية التى إليها المنتهى, فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل , وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان , ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم .و أما من قال: إنهم المراد بآية البقرة فهو معظم الصدق ويتبعه الأقل وهو معنى آية الأحزاب . وأما تفسير أبي بكر الصديق فهو الذي يعمّ الأقوال كلها, فإن جميع الصفات فيهم موجودة, حق من فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال والصفاء في الأحوال, فمن كان كذلك لحق بالأبرار ووصل إلى رضا الغفّار. والكذب على الضد من ذلك- فالكذب عار وأهله مسلوبوا الشهادة , وقد ردّ ﷺ شهادة رجل في كذبة كذبها. قال معمر : لا أدري أكذب على الله أو كذب على رسوله أو كذب على أحد من الناس . وسئل شريك ابن عبد الله فقيل له: يا أبا عبد الله, رجل سمعته يكذب متعمدا أأصلّي خلفه؟ قال لا. وعن ابن مسعود قال: إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم شيئا ثم لا ينجزه, اقرءوا إن شئتم { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} هل ترون في الكذب رخصة؟ وقال مالك : لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صدق في حديث رسول الله ﷺ. وقال غيره : يقبل حديثه والصحيح أن الكاذب لا تقبل شهادته ولا خبره لما ذكرنا, فإن القبول مرتبة عظيمة وولاية شريفة لا تكون إلا لمن كملت خصاله ولا خصلة هي أشرّ من الكذب فهي تعزل الولايات وتبطل الشهادات.[504]{ لمّا قبل توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل مثل ما مضى , وهو التخلف عن رسول الله

---

[503] المحرر الوجيز{432-431/11}
[504] تفسير القرطبي {289-288/8}

ﷺ في الجهاد, أي : اتقوا الله في مخالفة أمر الرسول { وكونوا مع الصادقين} أي مع النبي وأصحابه في الغزوات , ولا تتخلفوا عنها, وتجلسوا مع المنا فقين في البيوت, وقال ابن عباس : مع الذين صدقت نياتهم, فاستقامت قلوبهم وأعمالهم , وخرجوا مع رسول الله صل الله عليه وسلم إلي تبوك بإخلاص ونية . وقيل : من الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب, ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة. دلت الآية على فضيلة الصدق وكمال درجته, وروي أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وقال: إني أريد أن أومن بك إلا أنّي أحب الزنا, والخمر, والسرقة والكذب, والناس يقولون: إنك تحرم هذه الأشياء, ولا طاقة لي على تركها بأسرها, فإن قنعت منّي بترك واحد منها آمنت بك, فقال عليه الصلاة والسلام{{ اترك الكذب}} فقبل ذلك ثم أسلم , فلما خرج من عند النبي ﷺ عرضوا عليه الخمر, فقال : إن شربت الخمر فسألني رسول الله ﷺ عن شربها , وكذبت فقد نقضت العهد, وإن صدقت أقام الحدّ عليّ , فتركها ثم عرضوا عليه الزنا, فجاء ذلك الخاطر, فتركه , وكذلك في السرقة , فعاد إلى رسول الله ﷺ , وقال: ما أحسن ما قلت, لما منعتني من الكذب انسدت أبواب المعاصي عليّ, وتاب عن الكل- قلت الحديث ضعيف- وقال ابن مسعود : عليكم بالصدق فإنه يقرب إلى البر, والبر يقرب إلى الجنة, وإن العبد ليصدق, فيكتب عند الله صدّيقا , وإياكم والكذب , فإن الكذب يقرب إلى الفجور, والفجور يقرّب إلى النار , وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ألا ترى أنه يقال: صدقت وبررت وكذّبت وفجرت.[505] } اتقوا الله وتجنبوا ما لا يرضاه الله من مخالفة الرسول صل الله عليه وسلم, وكونوا مع الرسول صل الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات , ولا تكونوا متخلفين عنها, وجالسين مع المنافقين في البيوت , وكونوا في الدنيا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم , أو في دين الله نية وقولا وعملا , تكونوا في الآخرين مع الصادقين في الجنة. و الصدق: الثبات على دين الله وشرعه , وتنفيذ أوامره, وطاعة رسوله ﷺ, وقد استتبع صدق هؤلاء الثلاثة في ندمهم على ما فعلوا قبول الله تعالى توبتهم, وذلك مؤذن بأن الصدق في الموافق طريق النجاة والفلاح.[506] } وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لأن الصدق يهدي إلى الجنة والكذب إلى الفجور

---

[505] اللباب في التفسير{10/234-235}-

[506] تفسير المنير{11/72}

كما ورد في الحديث.[507] } في الأية خطاب للمؤمنين , أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن ربقة النفاق, واعترضت هذه الجملة تنبيها على رتبة الصدق, وكفى بها أنها ثانية لرتبة النبوة في قوله: { فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّقين} [508] }

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى{ يا أيها الذين آمنوا} بالله , وبما أمر الله بالإيمان به , قوموا بما يتقضيه الإيمان , وهو القيام بتقوى الله تعالى, باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه. { كونوا مع الصادقين} في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور, سالمة من القاصد السيئة مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة , فإن الصدق يهدي إلى البر, وإن البر يهدي إلى الجنة.قال الله تعالى: { هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم}[509] } قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب , من هجر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها, وضاقت عليهم أنفسهم , وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها, فسدت عليهم المسالك والمذاهب, فلا يهتدون ما يصنعون , فصبروا لأمر الله , واستكانوا لأمر الله, وثبتوا حتّى فرّج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم, وأنه كان عن غير عذر على ذلك هذه المدة, ثم تاب الله عليهم, فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم, ولهذا قال: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} أي صدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله , وتنجبوا من المهالك, ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا.}[510] } وبعد ذكر أقوال المفسرين في هذه الأية الكريمة بيّنت أن الصدق صفة يجب على كل مسلم أن يحققه في عبادته مع الله تعالى , وفي عهوده وبيعه وشراءه وفي جميع شئوونه, ثم يكون مع أهل الصدق والوفاء, ولأنه مرتبة الصديقية تأتي بعد مرتبة النبوة, وفي مفهوم الأية دلالة واضحة على أن الكذب صفة مذمومة لا يحبها أصحاب العقول السليمة, فضلا أن تكون محبوبا عند دين الإسلام, بل صاحبها

[507] تفسير الخازن{419/2}
[508] تفسير أبي حيّان{113/5}
[509] تفسير السعدي{355/11}
[510] تفسير ابن كثير{356/11}

مبغوض عند الله تعالى وعند الأنبياء والرسل والصالحين ,والملائكة وجميع الناس, بل حتى الكذاب نفسه يكره الكذب, وإذا كان هذه الصفة المذمومة تنتشر بين المسلمين في الأزمان المتأخرة وصار شعار عندأكثر التجار اليوم الغش والكذب والخداع وحلف الكذب, والزيادة في فتورة الشراء بغير حق , وأكل أموال الناس بالباطل,مع الخيانة في البيع والشراء حتى محق الله تعالي بركة البيع بين الشريكين , بسبب وجود الكذب والخيانة والكتمان,والواقع شاهد لذلك في أغلب البيوع اليوم , ثم هنالك التحيّل على شرع الله تعالى, كما قيل إذا أردت أن تعلم مدى التزام قوم بأوامر الله تعالى,ومدى تخلفهم عن أوامر الله تعالى, فأذهب إلى أسواقهم فانظر كيف إلتزامهم بالشرع في البيع والشراء فيها, ثم اذهب إلى مساجدهم كيف حضورهم لأداء الصلوات فيها , وكيف تمسكهم بسنة النبي ﷺ , وبما كان عليه سلف الأمة وعلمائها رضي الله عنهم,ولأن في الأسواق يعرف صدق الرجل وأمانته في بيعه وشرائه, وفي المساجد يعرف الرجل باهتمامه بأداء فرائض الله تعالى كما قال الله تعالى :{ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين} التوبة17} والتجار فجار يوم القيامة إلا من أقام بما أمر الله به تعالى ورسوله ﷺ من التزام بالصدق وتحقيق الحق, وتجنب الكذب, وابطال الباطل , قال الله تعالى: { إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرون والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وجرا عظيما} الأحزاب 35} في هذه الأيات الكريمة بيان أن هذه الأوصاف للمسلم والمسلمة والمؤمن والمؤمنة . ثم جاء هذه الأوصاف على ترتيب جميل حيث بدأ بذكر الإسلام لأن الإسلام هو أعمال الظاهر كما فسر ذلك النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام الذي هو الشهادتين, إقام الصلوات المتكوبة وإيتاء زكاة المفروضة , وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام, ثم جاء ذكر الإيمان في الأية بعد ذكر الإسلام وقد فسره النبي ﷺ بأعمال الباطن , الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرة والإيمان بالقضاء والقدر, ثم ذكر مواصفات

المسلم والمؤمن التي هي أن يكون قانتا لله تعالى , وأن يكون صادقا مع الله تعالى فيما أمره به من الطاعات وترك ما عنه نهى من المعاصي والمحرمات, ويكون صادقا في تعاملهم مع عباد الله تعالى على قرار ما أوجبه الله تعالى من صدق الأقوال والأفعال والأحوال,ثم يتطلب منه الصبر في طاعة الله تعالى , والخشوع في عبادة ربه تعالى وبالذات في الصلاة التي وصف الله أهلها بالفلاح إذا حققوا الخشوع في صلاتهم, ثم الإنفاق في مرضات الله تعالي وإخراج الصدقة في سبيل الله تعالى , وكذلك صوم لله تعالى والحافظين لفروجهم وكثرة ذكرهم لربهم إلخ كل هذه الأوصاف تدل على أن كلما كملت في الشخص كلما كمل إيمانه, وحقق مقياسا عاليا في الإيمان بالله تعالي , قال شيخ السعدي رحمه الله تعالى: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة , التي هي ما بين اعتقادات, وأعمال قلوب , وأعمال جوارح وأقوال لسان, ونفع متعد وقاصر , وما بين أفعال الخير, وترك الشرّ , الذي من قام بهن, فقد قام بالدين كله ظاهره وباطنه بالإسلام والإيمان والإحسان,[511]} يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه, وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة, ولا تكونوا مع المنافقين الذين يتنصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف,[512]} قال أبو السعود رحمه الله تعالى في الأية : اتقوا الله:- في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله ﷺ في أمر المغازى دخولا أوليا{ وكونوا مع الصادقين} في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا, أو في كل شأن من الشئون فيدخل ما ذكر أو في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة وأضرابهم,[513]}{ فهذه الآية بمنزلة التذيل للقصة فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضي الله عنهم, وذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذبا فغضب الله عليهم, وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم, فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه وبأن يكونوا في زمرة

---

[511] تفسير السعدي{665/22}
[512] تفسير المراغي{43/11}
[513] تفسير أبو السعود{616/2}

الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة.[514] }والصادقون هم المعتصمون بالصدق والإخلاص في جهادهم إذا جاهدوا, وفي عهودهم إذا عاهدوا , وفي أقوالهم وعودهم إذا حدثوا ووعدوا , وفي توبتهم إذا أذنبوا أو قصروا والمنافقون ضدهم في ذلك وغيره,[515] }

ولقد جاء في سنة النبي ﷺ ما يدل على أن الصدق, خلق يرفع درجة العبد عند الله, ويدل على كمال عقله, وعلو همته, وأن الصدق جماع كل خير, وهو سبيل إلى كل أنواع البر,والأخلاق الحميدة, ويكون نهاية الصديقين في الجنة النعيم لصدقهم, والصادق الذي هو يوفي العهود, وأخرج الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى, من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إن الصدق يهدي إلي البر, وإن البر يهدي إلى الجنة, وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا , وإن الكذب يهدي إلى الفجور, وإن الفجور ليهدي إلى النّار,وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا.}[516] قال الحافظ رحمه الله تعالى: قال الراغب أصل الصدق والكذب في القول ما ضيا كان أو مستقبلا وعدا كان أو غيره ولا يكونان بالقصد الأول إلا في الخير, وقد يكونان في غيره كالاستفهام والطلب, والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه, فإن انخرم شرط لم يكن صدقا, بل إما أن يكون كذبا أو مترددا بينهما على اعتبارين , كقول المنافق : محمد رسول الله فإنه يصح أن يقال صدق لكون المخبر عنه كذلك, ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله لمضميره, والصديق من كثر منه الصدق , وقد يستعمل الصدق والكذب في كل ما يحق في الإعتقاد ويحصل نحو صدق ظني وفي الفعل نحو صدق في القتال ومنه {قدصدّقت الرءيا} قلت : وأظنّ المنصف لمح بذكر الآية إلى قصة كعب بن مالك وما أداه صدقه في الحديث إلى الخبر الذي ذكره في الآية بعد أن وقع له ما وقع من ترك المسلمين كلامه تلك المدة حتى ضاقت عليه بما رحبت , ثم

---

[514] التحرير والتنوير{54/11}

[515] تفسير المنار{72/11}-

[516] أخرجه البخاري كتاب الأدب{572/10} رقم الحديث{6094}- ومسلم رقم{2607} والترمذي في الجامع{1890}وأبوداود في والدارمي{1783} سننه{4339}وأحمد{3886}وأبو حاتم في صحيحه{274} والحاكم في المستدرك{403} والبيهقي في السنن الكبري{19472}وأبو داود الطيالسي{244} وابن أبي شيبة{380} وأبو يعلى في مسنده{5138} والمسند الشاشي{512} المعجم الكبير{8433} شعب الإيمان {4448} تهذيب الآثار{222}شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي{3477} والتمهيد لابن عبد البر{2603}الإستذكار{1257} ومساوئ الأخلاق لابن أبي دنيا {115} الآداب للبيهقي{277}

منّ الله بقبول توتبته , وفي قصته : ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني الإسلام أعظم في نفسي من صدقي أن لا أكون كذبت فأهلك كما هلك الذين كذبوا, وقال الغزالي: الكذب من قبائح الذنوب , وليس حراما لعينه, بل لما فيه من الضرر, ولذلك يؤذن فيه حيث يتعين طريقا إلى المصلحة , وتعقب بأنه يلزم أن يكون الكذب – إذا لم ينشأ عنه ضرر- مباحا وليس كذلك , ويمكن الجواب بأنه يمنع من ذلك حسما للمادة فلا يباح منه إلا ما يترتب عليه مصلحة, فقد أخرج البيهقي في الشعب بسند صحيح عن أبي بكر الصديق قال: { الكذب يجانب الإيمان . عن ابن مسعود :{{ لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين}[517] قال النووي قال العلماء : هذا فيه حث على تحري الصدق- وهو قصده- والاعتناء به, وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه: فإنه إذا تساهل فيه كثر منه , فعرف به وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده أو كذبا إن اعتاده , ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك, ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم, أو صفة الكذابين وعقابهم , والمراد إظهار ذلك للمخلوقين إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى , وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم . وكما يوضع له القبول والبغضاء وإلا فقدر الله تعالى وكتابه السابق بكل ذلك ,والله أعلم.[518] } وبين الإمام القرطبي رحمه الله تعالى,لهذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم بقوله الأمر بالصدق والتحذير من الكذب وما يباح منه} ولفظ آخر للإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ عليكم بالصدق , فإن الصّدق يهدي إلى البر, وإن البر يهدي إلى الجنة , وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتّى يكتب عند الله صدّيقا وإيّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور, وإن الفجور يهدي إلى النار, وما يزال الرجل يكذب يتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذّابا}}[519] قال القرطبي في شرحه للحديث :- يهدي يرشد ويوصل , والبر: العمل الصالح أو الجنة كما قدّمناه , والفجور : الأعمال السّيئة , وعليكم من

---

[517] فتح الباري{ا572-571/10}
[518] شرح صحيح مسلم للنووي{123/4}
[519] أخرجه مسلم رقم الحديث{2514}

الألفاظ الإعزاء المصرحة بالإلتزام , فحق على كل من فهم عن الله تعالى أن يلازم الصّدق في الأقوال, والإخلاص في الأعمال, والصفاء في الأحوال, فمن كان كذلك لحق بالأبرار, ووصل إلى رضا الغفار. وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك كله بقوله عند ذكر أحوال الثلاثة التائبين فقال : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} والقول في الكذب المحذّر عنه على الضد من القول في الصدق , ثم قال وجوب تحرى الصدق, يتحرى الصدق يقصد إليه ويتوخاه ويتجنب نقيضه الذي هو الكذب, حتى يكون الصّدق غالب حاله , فيكتب من جملة الصدّيقين, ويثبت في ديوانهم وكذلك القول في الكذب.[520]} وأخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي سفيان صخربن حرب ﷺ في حديثه الطويل في قصة هرقل قال هرقل : فماذا يأمركم – يعني النبي ﷺ – قال أبو سفيان قلت: يقول : {{ اعبدوا الله وحده لا تشركوا به واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا الصلاة والصدق والعفاف والصلة}[521]

في الحديث الشريف بين أبو سفيان ﷺ أصول دعوة النبي ﷺ , وركائز التي ترتكز عليها الدعوة الإسلام, ويعتبر كذلك من أصول العبادات,

هي عبادة الله سبحانه وتعالى وإخلاص له وحده دون سواه . وكان يأمرهم النبي ﷺ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له, وهذا هو أول ما قام به ﷺ.

وكان مما يدعو إليه ويأمر الناس بذلك إقامة الصلاة , التي تعتبر الركن الثاني بعد الشهادتين,ومكانة الصلاة في الإسلام لا يخفي على أحد من أمة الإسلامية, وكذلك ما جا في فضلها من الآيات القرآنية والآثار النبي ﷺ,

---

[520] المفهم{6/590-592}

[521] أخرجه الباري {1/40} رقم الحديث{7}ومسلم رقم {176-3328} صحيح ابن حبان {655-6694} مستخرج أبي عوانة{6727-5298} السنن الكبري للنسائي{10998-10552} السنن الكبري للبيهقي{10/130- 18807} مصنف عبد الرزاق{1269-9487} ومعجم الكبير للطبراني{7269-7122} شرح السنة للبغوي{3316-3217} مشكل الآثار للطحاوي{1380-1186} دلائل النبوة للبيهقي{1751} الأدب المفرد للبخاري{1109-1094}

وكذلك مما كان يدعو النبي الكريم ﷺ, ويأمر العباد به الصدق في الإعتقاد, بأن يؤمن بالله تعالى وما يستلتزم ذلك كما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ كما فهمه سلف الأمة وأئمة المسلمين, من غير تلوّن , ومن غير اختلاف الباطن لظاهر كما هو معروف من إيمان المنافقين الذين بين الله تعالى حالهم في القرآن الكريم, وكذلك يأمر النبي ﷺ العباد الصدق في طاعة الله سبحانه وتعالى وصدق اتباع سنة النبي ﷺ ,و ما يستلزمهما في ذلك, في الظاهر والباطن, ويأمرهم كذلك الصدق في كل شيء, في تعامل الذي يحدث بينهم وأنفسهم , الصدق في البيع والشراء والصدق في تربية الأولاد, وفي القول والأحوال والصدق في العهود , والصدق في تطبيق أحكام القضائية, والصدق كذلك في استقراض الدين وفي قضائه, والإسلام يأمر المسلم أن يكون صادقا حتي مع البهائم, لا لمصلحتها بل لأن الله تعالى هو الذي أمره بالصدق وأمره أيضا أن يكون مع الصادقين, كما أمره بالتوحيد ونهاه عن الشرك, وأمره عن إقام الصلاة ونهاه عن تركها, كذلك أمره بالصدق وحرم عليه الكذب وقبحه عليه, وبين أن الكذب من صفات المنافقين, وهو من سلاح الذين لا خلاق لهم في الآخرة , ومن كان سلعته لا يباع إلا بالكذب ولايشتري إلا بالكذب والخداع والمكره والغش, لا شك أنه كان فيه خصلة من خصال المنافقين, وكذلك كان النبي ﷺ يأمر الأمة العفاف, لأن العفاف يساعد العبد على ترتيب حياته, حتي لا تكون همته متشتة في كل واد, لا يجعل فقره بين عينيه, بل يجمع الله له همه هما واحد, ويجعل له غنى النفس, بل العفيف هو الذي يتجنب ما حرم الله عليه , ويصدق في القول والفعل والأحوال مع الله تعالي و مع خلقه, وكذلك مما يأمر به ويدعو إليه الصلة الأرحام لآنه يزيد في العمر ويكثر المال, الواصل للرحم يثني الناس عليه, وأصل الصدق شامل لكل هذه الأمور المذكورة في الحديث,وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي ثاتب وقيل أبي سعيد وقيل الوليد سهل ابن حنيف وهو بد ري ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بّلغه منازل الشهداء, وإن مات على فراشه}[522]}

---

[522] أخرجه مسلم الرقم الحديث{1909}

وبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد إذا كان صادقا في نيته مخلصا في إعتقاده بلغه الله تعالى بصدقه مراتب العاملين المخلصين, والشهادة قد ينالها العبد بصدق نيته مع الله تعالى , ويبلغ منازل الشهداء ولو مات على فراشه

في بيته,ومعلوم أن دراجة الشهداء تأتي بعد درجة النبيين والصديقين,إذا مرتبة الشهداء مرتبة الثالثة,وأخرج ابن حبان والطبراني وأبي نعيم وابن عساكر والشهاب القضاني من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ : { من غشنا فليس منا المكر والخداع في النار}[523] دل في هذا الحديث الشريف أن أصل الغش والخداع والمكر هو الكذب, لأن الموصوف بالكذب إما أن يكذب بأيات الله تعالى وما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام , وإما يكذب في معاملته الناس أو يتحيّل علي الناس عبر طريق الخداع والمكر والغش, لأنه كذاب لا يحب الصدق, وأخرج الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة وعبد الله ابن وهب بن مسلم وابن بطة العكبري وقوام السنة الأصبهاني من حديث عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : {{ لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ , ولا يجتمع الكذب والصدق جميعا, ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا}[524] في الحديث بيان من رسول الله ﷺ أن الإيمان والكفر , ضدّان , من حيث لا يجتمعان في قلب عبد, لأن الإيمان يأمر العبد بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالي وحده لا شريك , وأن الإيمان إذا ملك قلب العبد وأعضائه وسلوكه لايأتي منه إلا خيرا ولايصدر منه إلا صدقا ولا يتعامل مع غيره إلا حقا وصدقا, ولهذا أمر الله تعالى عباده الذين- حققوا الأيمان وصدقوا بما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام , والتزموا بأخلاق الإسلامية الحميدة – أن يكون مع أهل الصدق في الإيمان وأهل الصدق في وفاء العهود وأهل الصدق في الأقوال وأهل الصدق في الأعمال, وأهل الصدق في البيع والشراء, لأن هؤلاء هم الذين لايفتتنون بعرض الدنيا حتى يرتكب الحماقات والجهالات والمعاصي

---

[523] أخرجه أبن حبان في صحيحه {567-572} والطبراني في الصغير{261-740} وتأريخ ابن عساكر{11475-13/94} مسند الشهاب{253-241} وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع

[524] أخرجه أحمد في المسند{8387-8390} وعبد الله بن وهب في الجامع {464-459-537-526} والإبانة الكبري لابن بطة{495-494}الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة{337/2} وصحح الحديث الألباني قال وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم تقات في السلسلة الصحيحة رقم الحديث {41/3/1050

لأجلها من الكذب والخيانة والمكر والخداع لتحصيلها,وكذلك فهمنا من الحديث النبوي ﷺ أن الصدق والكذب لا يتجتمعان جميعا لأنهما ضدان الصدق صفة لأولياء الله تعالى , ومرتبة بعد مرتبة الأنبياء ولا يحظي بها إلا أهل الصدق والطاعة, هم المؤمنون الذين صدقوا مع الله تعالى وصدقوا مع خلق الله سبحانه وتعالى, وأما الكذب صفة لأعداء الله تعالى , وخصلة من خصال النفاق, ولقد مقت الله تعالى الكذب والكذابين, وفصّل سبحانه وتعالى أن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون في بيعهم وشرائهم ومعاملتهم مع الناس في الدنيا, بل يخسرون ,يؤدي بهم الكذب إلى طريق كل فجور وإلى كل معصية, وفي نهاية المطاف إلى شقاء ليوم القيامة,ومن هنا محق البركة في أكثر بيوع الناس , وغاب الثقة بين الناس, والأمانة إلا من رحمه الله تعالى وقليل منهم, فيجب على المسلم أن يكون صادقا دائما حتي تأتي يوم القيامة ينفعه فيه صدقه كما قال الله تعالى : { قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم}الأئدة{120} ومن علامة الصدق العبد وصدق إيمان أن يكون أمينا في كل شيء والامانة والخيانة هما ضدان لا يجتمعان أيضا ولذا أمر الله تعالى المؤمنين بحفظ الأمانات لأنها تدل على إيمانهم وعلامة صدقهم, قال الله تعالى: ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} الأنفال{27} بل إن الله تعالى في كتابه الكريم مدح الحافظين الأمانات لما ذكر تعالى صفات المؤمنين الذين يدخلون الجنة قال : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون} المؤمنون{8}وكذلك جاء عن النبي ﷺ ما يدل على أنه يأمر أمة الإسلامية بحفظ الأمانة, ولو خانها غيرها لأنه إذا عصي الله تعالي فيك فلا تعصي الله فيه كما رواه الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: { أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك}[525]} وأخرج الترمذي والحاكم وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: {{ ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى

---

525 أخرجه الدترمي رقم الحديث{2597} وأبو داود {3535} والترمذي{1264} قال: هذا حديث حسن غريب,وقال الحاكم في مستدركه{46/2}صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .ووافقه الذهبي قلت ليس كما قاال الحاكم لأن مسلم لم يخرج لشريك في الأصول وقال في أرواء الغليل{381/5} وصحح إسناده,

لصاحبه العقوبة في الدنيا مع يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب, وإن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم, حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم , ويكثر عددهم إذا تواصوا}[526] قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: لم يتزين الناس بشئ أفضل من الصدق وطلب الحلال}[527] قال أيضا: عاملوا الله عز وجل – بالصدق في السر فإن الرفيع من رفعه الله , وإذا أحب الله عبدا أسكن محبته في قلوب العباد}[528] قال أيضا والله ما صدق الله في عبوديته من الأحد من المخلوقين عليه ربانية}[529]

قال أبو مجلز قال: رجل لقومه: عليكم بالصدق فإنه نجاة}[530]

ولقد ذكرنا من قبل أن النبي ﷺ جعل الكذب من أخلاق المنافقين ومن صفاتهم, وذلك ما أخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه وكذلك تلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم في صحيحه وكذلك تلميذه الثاني أبو عيسي محمد ابن سورة الترمذي الضرير من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {{آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤمن خان}[531] وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : {{ أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا, ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر , وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر} وجاء عن النبي صلى الله ﷺ ما يدل على أن الكذب من أسباب عذاب القبر والبرزخ , ولهذا على المسلم أن يتجنب الكذب ولوكان مازحا, وأن يتجنب الكذب ولو فيه منفعة الدنيوية, ويرى في الكذب إفلاته من العقاب الدنيا, ونماء تجارته, أو رفع قدره ومنزلته,و مدحه عند الناس, فهذه الصفة لا يهانة الصحيحة لها, والعاقبة تكون العذاب في الأخرة مع ما ينبت النفاق في قلب

---

[526] أخرجه أبوداود رقم {4902} والترمذي{2511} وابن ماجه{4211} والسلسلة الصحيحة{918}{915-978}
[527] تأريخ دمشق لابن عساكر رقم {52233}
[528] حلية الأولياء رقم {11672}
[529] إحياء علوم الدين {203/2}
[530] كتاب الصمت {23} وكتاب مساوئ الأخلاق{51}
[531] أخرجه البخاري في الفتح{573/10}ومسلم {60-92} والترمذي{2631-2574} والنسائي في الصغري{4961-5021} وأحمد في المسند{8470-8484} وأبو حاتم بن حبان{257-259}والبيهقي في السنن الصغير والكبري{2439-10539} 8484{10614-11058}

العبد, وأخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { رأيت الليلة رجلين أتياني قالا: الذي رأيته يشقّ شدقه فكذاب يكذب بكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة}[532] بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب إذا بيّن البيّعان ولم يكتما ونصحا قلت يدل على أن في البيع يجب أن يكون فيه النصيحة للمسلمين وأن يبيّن العيب في السلعة إن كان فيها عيب, ولايكتمه , لأن المسلم يكون داعيا إلى الله في سوقه إذا التزم بأخلاق الإسلامية كالمصداقية في البيع والشراء. ثم قال البخاري رحمه الله تعالى: ويذكر عن العداء بن خالد قال كتب لي النبي ﷺ : {{ هذا ما اشترى محمد رسول الله ﷺ, من العداء بن خالد بيع المسلم من المسلم' لا داء ولاخبثة ولا غائلة}} قال قتادة الغائلة : الزنا والسرقة والإباق, وقيل لإبراهيم : إن بعض النخاسين يسمّى : آريّ خراسان وسجستان, فيقول: جاء أمس من خراساء وجاء اليوم من سجستان فكرهه كراهة شديدة قال عقبة بن عامر : لايحل لأمرئ يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبره}[533] قال الحافظ رحمه الله تعالى: قوله: { بيع المسلم المسلم } فيه أنه ليس من شأن المسلم الخديعة, وأن تصدير الوثائق بقول الكاتب هذا ما اشترى أو صدق لا بأس به, ولا عبرة بوسوسة من منع من ذلك وزعم أنها تلتبس ب{ما} النافية, وقوله{ لا داء} أي لاعيب, والمراد به الباطن سواء ظهر منه أم لا كوجع الكبد والسعال قاله , وقال ابن المنير في الحاشية: قوله {لاداء} أي يكتمه البائع , وإلا فلو كان بالعبد داء وبيّنه البائع لكان من بيع المسلم للمسلم . وقوله: { ولا خبثة} وقيل المراد الأخلاق الخبيثة كالإباق, وصاحب العين : الريبة, وقيل المراد الحرام كما عبر عن الحلال بالطيب, وقال ابن العربي, لداء ما كان في الخلق . وقوله: يسمى آري} هو مربط للدابة , وقيل معلفها, ورده ابن الأنباري, وقيل هو حبل يدفن في الأرض ويبرز طرفه تشدبه الدابة أصله من الحبس والإقامة من قولهم : تأرى الرجل بالمكان أي قام به , والمعني أن النخاسين كانوا يسمون مرابط داوبهم بأسماء البلاد ليدلسوا على المشتري بقولهم ذلك ليوهموا أنه مجلوب من خراسان وسجستان فيحرص عليها المشترى ويظن أنها قريبة

[532] رواه البخاري في الفتح {573/10}
[533] فتح الباري {357/4}

العهد بالجلب,[534] } وأخرج الإمام البخاري باب البيعان بالخيار مالم يتفرقا, ومسلم وبوّب الإمام النووي باب الصدق في البيع والبيان من حديث حكيم بن حزام ﷺ عن النبي ﷺ قال: { البيعان بالخيار مالم يتفرقا, فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما , وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما}[535] قال النووي بيّن كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلى بيان من عيب ونحوه في السلعة والثمن وصدق في ذلك وفي الإخبار بالثمن وما يتعلق بالعوضين , ومعني محقت بركة بيعمها: أي ذهبت بركته وهي زيادته ونماؤه.}[536] قال الحافظ رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون على ظاهره وأن شؤم التدليس والكذب وقع في ذلك العقد فمحق بركته, وإن كان الصادق مأجورا والكاذب مأزورا, ويحتمل أن يكون ذلك مختصا بمن وقع منه التدليس والعيب دون الآخر ورجحه ابن أبي جمرة , وفي الحديث فضل الصدق والحث عليه وذم الكذب والحث على منعه , وأنه سبب لذهاب البركة , وأن عمل الآخرة يحصل خيري الدنيا والآخرة.[537] } وأخرج الإمام أحمد وأبو نعيم وابن حبّان والبيهقي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : { اليمين الكاذبة منفقة للسلعة, ممحقة للكسب{ وفي لفظ { البركة}[538] وفي الحديث الشريف بين فيه من زكاه الله تعالى أن اليمين الذي يصحب معه الكذب يمحق بركة الكسب, وإذا محق الله تعالى البركة في السلعة كان وجودها كالعدم, و قد يتضرر به صاحبها الذي كان أصل إنفاق سلعته الكذب, لأن الكاذب مبغوض عند الله تعالى , والله سبحانه وتعالى لا يحب الكاذبين,والكاذب يكون مبغوض عند للناس لأنهم إذا عرفوا أن فلانا كذابا تبرؤوا منه,ولا يثق الناس في تعاملمهم معه, وفي نقل الأخبار, ومن قبح الكذب, أن الرجل الذي يكذب دائما يكره من سماه الكذاب, ومن قبح الكذب أيضا أن أهل الجاهلية في جاهلتهم , وأهل الشرك في شركهم . كانوا يكرهون خلق الكذب ويكرهون صفة الكذب,ولهذا يجب على المسلم أن لا يهين أمر الكذب, بل يبتعد كل أشكال الكذب ولو كان في أصغر الشيء ,والكذب يأثر

---

[534] فتح الباري كتاب البيوع{4/357-358}-
[535] رواه البخاري في الفتح رقم الحديث{2110- {4/379} ومسلم للنووي رقم الحديث{1532}{5/142}
[536] ومسلم للنووي{5/142}
[537] فتح الباري{4/380}
[538] أحمد {2/235-242}وأبو نعيم في والبيهقي في السنن{5/265} وأخرجه الألباني{غاية المرام {202/343} وصححه في السلسلة{3363}{7/1090} الحلية{9/233} وابن حبان {7/204/4886}

في قلب العبد نكتة سواء, ولا يغيّرها شيء إلي قيام الناس يوم القيامة لرب العالمين,وأخرج الحاكم من حديث عبد الله ابن ثعلبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: {{ من اقتطع مال امرئ مسلم, بيمين كاذبة , كانت نكتة سوداء في قلبه , لا يغيّرها شئ إلى يوم القيامة}[539] وإذا كان الكذب ذنب لا يزال أثره في قلب العبد إلى يوم لقاء المولي جلّ جلاله.فعلى المسلم أن يتجنب هذا خلق الذميم, ومن قبح الكذب قرنه الله تعالى بالشرك قال الله تعالى:{ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور} الحج {30} :- يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي. وقولكم للملائكة : هي بيات الله , ونحو ذلك من القول فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله}[540] و جاء في صحيحين من حديث أبي بكرة ﷺ ما يدل على قبح الكذب حيث قرن الرسول الله ﷺ الكذب بالشرك, أن النبي ﷺ قال: { ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ! قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين – وكان متكئا فجلس فقال- ألاّ وقول الزور ألاّ وشهادة الزور ! فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت}[541]

وقد أخرج الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ : أن النبي ﷺ , قال: { من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان} قال: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ , مصداقه من كتاب الله عزوجل: { إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم}آل عمران}[542]} وفي هذا بين فيه النبي الكريم ﷺ أن الذي يحلف لأجل أكل أموال المسلمين بالكذب

---

[539] أخرجه الحاكم في مسنده{294/4}وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 3364}{1091/7}

[540] تفسير الطبري تفسير الأية {30} من سورة الحج

[541] سبق تخريج الحديث

[542] أخرج الحديث البخاري باب سؤال الحاكم المدعي: هل لك بينة ؟ قبل اليمين{2667-2666-315/5}ومسلم رقم {139-201} والترمذي{1269-1186} وأحمد{21333-21288} والنسائي سنن الكبري{10941-10499} و البيهقي في السنن الكبري{251:10-19532} ومسند الطيالسي{1146-1134}ومسند ابن أبي شيبة{871-873} ومشكل الأثار للطحاوي{3862-4476} والإستذكار{811}

يأتي يوم القيامة فإن الله تعالى عليه غضبان لا ينظره الله ويزكيه ولا يكلمه وليس له ذلك اليوم إلا عذاب أليم,وما أكثر ذلك اليوم في أسواق المسلمين, حلف الكاذب لأكل أموال الناس بالباطل, ومنهم من إذا دخل في السوق حتى يخرج منه فهو في سخط الله تعالى, يكذب في بيعه, ويحلف بالكذب في بيعه, فقال في المحرر والوجيز في تفسيره للأية: وعيد لمن فعل هذه الأفاعيل إلى يوم القيامة , وهي آية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحقوق, ختر المواثيق, وكل أحد يأخذ من وعيد الآية على قدر جريمته- وقال عبد الله بن مسعود: كنا نرى ونحن مع نبينا أن الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر إذا فجر فيها صاحبها, وقد جعل الله الأيمان في هذه الألفاظ مشتراة , فهي مثمونة أيضا.[543] وجاء في الرواية البخاري رحمه الله تعالى من حديث عبد الله بن مسعود أيضا قال: من حلف على يمين يستحق بها مالا لقي الله وهو عليه غضبان , ثم أنزل الله تصديق ذلك : { إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم } إلى{ عذاب أليم}ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه بما قال: فقال: صدق , لفي أنزلت كان بيني وبين رجل خصومة في شيئ فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ , فقال شاهداك أو يمينه , فقلت له: إنه إذن يحلف ولا يبالي: فقال النبي ﷺ : من حلف على يمين يستحق بها مالا- وهو فيها فاجر- لقي الله وهو عليه غضبان , فأنزل الله تصديق ذلك , ثم اقرأ هذه الآية.[544] }

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي قتادة ﵁ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {{ إيّاكم وكثرة الحلف في البيع, فإنه ينفق ثم يمحق}[545] { قال القاري رحمه الله :- أي اتقوا كثرتها ولو كنتم صادقين, لأنه ربما يقع كذبا, ولذا ورد: كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع} ويؤيده حديث: الراعي حول الحمى , فقيد الكثرة احترازا عن القلة , فإنه قد يحتاج إليه فلا يدخل التحذير, ولذا جاء في بعض الطرق: رجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه,وقال الطيبي- رحمه الله تعالى: إياكم منصوب على التحذير أي : قوا أنفسكم عن إكثار

---

543 تفسير المحرر الوجيز{3/263-264}

544 صحيح البخاري{2670}

545 أخرجه مسلم {1608-3023} والسنن الصغري{4460-4408} وابن ماجه{2209-2200} مسند أحمد{22037-21952}والسنن الكبري للنسائي{6010-5842}

الحلف عن أنفسكم كرره للتأكيد والتنفير, والنهي عن كثرة الحلف فيه لا تقتضي جواز قلتها, لأن النهي وارد على أهل السوق وعادتهم كثرة الحلف كقوله- تعالى: {لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة}[546] لأن كثرة الحلف قد يجلب صاحبه إلى معصية الله تعالى قد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التجار هم الفجّار لكثرة حلفهم وكذبهم , وذلك مما أخرجه الإمام أحمد والطبري والطحاري والحاكم والبيهقي أن معاوية ﷺ كتب إلى عبد الرحمن بن شبل: أن علم الناس ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم فقال, قال رسول الله ﷺ: { إن التجار هم الفجار, قيل : يا رسول الله ! أو ليس قد أحلّ الله البيع؟ قال بلى, ولكنهم يحدّثون فيكّذبون, ويحلفون فيأثمون}[547] بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف أن التجار هم الفجار يعنى ليس كلهم في هذا الوصف سواء, إنما يعنى الذين لا يراعون أوامر الله تعالى في البيع والشراء ولاينتهون عما نهي الله تعالى ورسوله ﷺ في البيع والشراء, وهمهم أكبر جمع المال فقط, وجعلوا الكذب والحلف الكاذب طريق الكسب , ولهذا قال فيهم النبي ﷺ لأنهم يحدثون فيكذبون ويحلفون فيأثمون} دليل على أن الكذب والحلف يكثران فيهم, أما التجار الذين هم أهل صدق, وأهل اتباع لشريعة الله تعالي ولسنة نبيه ﷺ, وهم صادقون مع الناس في بيعهم وشرائهم, وتعاملهم وحسن أخلاقهم, وقد أخرج الإمام الترمذي والدارمي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده , أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلّى, فرأى الناس يتبايعون فقال: يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ , ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال:{ إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا, إلا من اتقى الله وبرّ وصدق}[548]

{ إلا من اتقى الله} بأن لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة من غش وخيانة أي أحسن إلى الناس في تجارته أوأ قام بطاعة الله وعبادته{ وصدق} أي في يمينه وسائر كلامه. قال القاضي: لما كان من ديدن

---

[546] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب البيوع باب المساهلة في المعاملة{1/ رقم الحديث{2793}

[547] قال الألباني{رواه أحمد{428/3} والطبري في تهذيب الأثار{99/43/1} والطحاوي في المشكل{12/3} والحاكم {2/6-7} والبيهقي في الشعب{4846/218/4} وقال الحاكم صحيح الإسناد , وقد ذكر مشام بن أبي عبد الله سماع يحي بن أبي كثير من أبي راشد, وهشام تقة مأمون , وأدخل أبان بن يزيد العطار بينهما زيد بن سلام ووافقه الذهبي, وهو كما قالا أنظر السلسلة الصحيحة رقم الحديث{366} المجلد الأول, القسم الثاني{707}

[548] أخرجه الترمذي{228/1} والدارمي{247/2} وابن حبان{1095} والحاكم{6/2} والبيهقي في الشعب{219/4} وقال الألباني{ وللحديث شاهد يرتقي به إلى درجة الحسن إن شاء الله . أنظر السلسلة الصحيحة رقم الحديث{994}{693/2}

التجار التدليس في المعاملات والتهالك ترويج السلع بما تيسر لهم من الأيمان الكاذبة ونحوها حكم عليهم بالفجور, واستثنى منهم من اتقى المحارم وبر في يمينه وصدق في حديثه, و'إلى هذا ذهب الشارحون وحملوا الفجور على اللغو والحلف كذا في المرقاة.[549] }:- ومعنى قوله: {{ يبعثون فجارا} أي عصاة . وفي الحديث : { عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر , والبر يهدي إلى الجنة, وإيّاكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور, والفجور يهدي إلى النار.[550] , يقال صدق وبر وكذب وفجر , أنه تخرج الشياطين فتضرب الرايات في الأسواق , وتبث في الخلق, وتدور مع كل سوقي متسوّق, يد الشيطان بيده, وحركته بحركته, ولسانه بلسانه ووساوسه بحديث قلبه, ولا يزال يلابسه ويجذبه حتى يوقعه في معوان مملكته إلا من عصم الله, وأنه إذا حضر الشيطان الداعي إلى الإثم فقد حضر الإثم , كما يقال إن الحرب يحضرها القتل والموت, أو الموت والسيف والموت, فيكون حضور السبب وهوالقتال والسلاح سببا لحضور القتل والموت, فيقال له , والأمثال والأشعار في ذلك كثيرة [551] قال قتادة رحمه الله تعالى: - كان القوم يتبايعون ويتّجرون, ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلهم تجارة , ولا بيع عن ذكر الله حتّى يؤدوه إلى الله.[552] }{ والحاصل أن المباح يصير بحسن النية عبادة فيستحق صاحبه الأجر على ذلك ويكون مع أهل العبادة .[553] } ولما جاء الوصف التاجر بالصدق والأمانة: قال في جامع شروح ابن ماجه: كلاهما من صيغ المبالغة ففيه تنبيه على رعاية الكمال في هذين الصفتين حتي ينال هذه الدرجة الرفيعة العظيمة . وقال الطبي أي من تحرى الصدق والأمانة كان في زمرة الأبرار من الشهداء والصديقين , ومن تحرى خلافهما كان في زمرة الفجارة من الفسقة أو العاصين, انتهي}[554] } وأخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة, ولا ينظر إليهم, ولا يزكّيهم , ولهم عذاب الأليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل, ورجل بايع رجلا

---

[549] تحفة الأحوذي {400/4}
[550] سبق تخريج الحديث في صحيحين-
[551] تحفة عارضي{170/5}-
[552] شرح السنة للبغوي{4/8}
[553] شرح سنن ابن ماجه{6/3}
[554] شروح سنن ابن ماجه كتاب التجارات{833}

سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه منها لم يف}[555] قال الحافظ رحمه الله تعالى قال المهلب: إنما خص النبي ﷺ هذا الوقت بتعظيم الإثم على من حلف فيه كاذبا لشهود ملائكة الليل والنهار ذلك الوقت .[556]} قلت إنما ذكرت بعد العصر لكثرة وقوع الحلف فيه , هو وقت يخسر فيه كثير من الخلق, وأيضا كل يريد أن ينفق سلعته في ذلك الوقت, ويربح فيما بقي من يوميه, ولايعني ذلك أن الحلف الكاذب جائز في غيره كما جاء ذلك بعض النصوص التي مر ذكرها . وعلي المسلم أن يتخلي الأخلاق الحميدة, ويلتزم بأداب الإسلامية , ويكون صادقا في كل تصرفاته, حتى ينجو من فتنة المال , الذي افتتن به كثيرا من الناس, وحتي ينجو يوم القيامة من فتنة المال فيه, وأما الذي يروج سلعته بالحلف الكاذب, فإنه قد فتن بهذه الأموال الدنيا, ولذا جاوز حدود الشرع , وباع الأخلاق الحميدة , حتى هو يزيد في الفاتورات بكذب من غير حقيقة. وأخرج الترمذي رحمه الله تعالى من حديث أبي ذرّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: { ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة, ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم }} قلنا: من هم يا رسول الله ؟ فقد خابوا وخسروا , فقال : المنّان , والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب}[557]

قال ابن العربي رحمه الله : { وأما المنفق سلعته} فلا يخلو أن يحلف على حق أو يحلف على باطل ,فإن حلف في سلعته على حق لينفقها فإنه بين الناس فكيف في الزيادة في الكسب ؟ وإن كان حلف على الباطل فقد بيّنّا قول وجه تضاعف الإثم فيه, وفي الصحيح : { اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للبركة}, فإنها وإن رغبت المتاع وكثرت الربح فذلك محق في المعنى , لأنها تأكل الحسنات وتأخذ من يدي صاحبها وتعطيها للمحلوف له المكذوب في معاملته, وربما كانت ممحقة

---

[555] أخرجه البخاري رقم الحديث{2672} ومسلم رقم الحديث{106}
[556] فتح الباري{320/5}
[557] سنن الترمذي رقم الحديث 1211}-

في المال في الحال والمآل فذهب عنه حظ الدنيا الذي حرص عليه ودخل في ذلك لأجله, ويذهب عنه حظ الآخرة فيخسر الوجهين ويفوته المقصود في الدارين.[558]}

المبحث الساس

[558] تحفة عارضي {171/5}

شدة الحرص

. تعريف الحرص:في اللغة:

قال في تاج العروس: الحرص بالكسر: الجشع: وهو شدّة الإرادة والشّره إلى المطلوب , وقد حرص عليه كضرب وسمع , ومن الأخيرة قراءة الحسن والنخعي وأبي حيوة وأبي البرهسم إن تحرص على هداهم بفتح الراء كما نقله الصاغاني.

ثم اختلفوا في اشتقاق الحرص, فقيل: هو من حرص القصّار الثوب إذا قشره بدقة وهو قول الراغب وقال الأزهر : أصل الحر ص الشق وقيل للشّره حريص لأنه يقشر بحرصه وجوه الناس,وقيل: هو مأخوذ من السحابة الحارصة التى تقشر وجه الأرض كأن الحارص ينال من نفسه بشدة اهتمامه بتحصيل ما هو حريص عليه, وهو قول صاحب الاقتطاف وقد نقله شيخنا واستبعده وقال : الذي عند أكثر أهل اللغة , أن الحرص هو الأصل وغيره مأخوذ منه. قلت : وهذا خلاف ما نقله الأزهري والراغب وتبعهم المصنف في البصائر فقد صرّحوا أن الأصل الحرص

القشر , فالحرص في القرآن على وجهين: فرط الشّره كقوله تعالى { ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة } على حياة والشفقة والرأفة كقوله تعالى: حريص عليكم}[559]

قال للسان العرب: { الحرص شدة الإرادة والشّره إلي المطلوب, قال الجوهري الحرص الجشع, وقد حرص عليه يحرص ويحرص حرصا وحرصا حرصا[560] قال في مختار الصحاح: ح ر ص : الحرص الجشع, وقد حرص على الشيء يحرص بالكسر حرصا فهو حريص, والحرص الشق, والحارصة الشجة التى تنشق الجلد قليلا وكذا الحرص بوزن الضربة[561]

تعريف الحرص في الاصطلاح :

ويمكن أن تعرف الحرص في الإصطلاح :بأنه شدة رغبة لحصول شيئ والإهتمام به سواء كان محمودا كالحرص في طاعة الله,والحرص على تمسك بالسنة, والحرص على محافظة أوقات الصلوات, أو الحرص مذموما كالحرص على عرض الدنيا فقط,والحرص على الزنا والسرقة والرياء والحرص المذموم هو المقصود هنا في هذا الكتاب.و في هذا المبحث أبين فيه أن دين الإسلام, دين متوازن بين حقوق الله تعالى, وحقوق العباد, ولم يذم دين الإسلام الدنيا وزينتها, ذما عاما في كل شيئ فيها,قال شيخ الإسلام :- المحمود في الكتاب والسنة إنما هو إرادة الدار الآخرة , والمذموم إنما هو من ترك إرادة الدار الآخرة واشتغل بإرادة الدنيا عنها,فأما مجرد مدح ترك الدنيا, فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله, ولا تنظر إلى كثرة ذم الناس الدنيا ذما غير ديني, فإن أكثر العامة إنما يذمونها لعدم حصول أغراضهم منها, فإنها لم تصف لأحد قط, ولو نال منها ماعساه أن ينال, وما امتلأت دار حبرة إلا امتلأت عبرة, فالعقلاء يذمون الجهال الذين يركنون

---

559 تاج العروس حرص
560 للسان العرب
561 مختار الصحاح عند كلمة{ح ر ص}

إليها, ويظنون بقاء الرياسة والمال وتناول الشهوات فيها,وهم مع هذا يحتاجون إلى ما لا بد لهم منه منها, وأكثرهم طالب لما يذمه منها,وهؤلاء حقيقة ذمهم لها ذم دنيوى لما فيها من الضرر الدنيوى, كما يذم العقلاء التجارة والصناعة التي لا ربح فيها بل فيها تعب, وكما تذم معاشرة من يضرك ولا ينفعك في التزويج بسيئة الخلق, ونحو ذلك من الأمور التي لا تعود مضرتها إلا إلى الدنيا أيضا, ولا ريب أن ما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعا في الآخرة , كإضاعة المال والعبادات الشاقة التي لم يأمر الله بها ولا رسوله, وما فيه منفعة الدنيا مذموم إذا كان ضارا في الآخرة , كنيل اللذات وإدارك الشهوات المحرمة, وكذلك اللذات والشهوات المباحات إذا حصل للعبد بها وهنا وتأخيرا في أمر الآخرة وطلبها, وما كان مضرا في الدنيا والآخرة فهو شر وشدة , وما كان نافعا في الآخرة فهو محمود ,وإن كان ضارا في الدنيا , كإذهاب النفوس والأموال في الجهاد في سبيل الله, وكذلك مالم يكن ضارا في الدنيا مثل كثير من العبادات, وما كان نافعا في الدنيا والآخرة فهو محمود.}[562] ولكن ذم الله تعالى الدنيا التي تنسي الخلق عبادة ربهم , و ذم الزينة فيها التي تجعل الخلق يعبدون الدنيا ويتركون خالق الدنيا سبحانه وتعالى, وذم الله سبحانه وتعالى الدنيا خاصة التي يكون السيطرة فيها لشيطان, الذي زين لهم الدنيا, وزينتها, وإذا قدم الإنسان الدنيا والمال على ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ , وحرص على جمع الأموال في أي وجهة كان, صار الدنيا لهذا الجماع المنّاع مذمومة عند الله تعالي, ولهذا لعن الله سبحانه وتعالى الدينا وما فيها إلا ما كان لله تعالى فيها, وشدة حرص المؤمن على المال والدنيا والشرف يفسد دينه, وينقص عبادته, ويفقد إخلاصه, حتي يكون عبد للدارهم والدنانير, عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: { تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخمصية, إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وإذا شيك فلا انتقش.......}[563] في هذا الحديث الشريف بيان النبي ﷺ أن من عباد الله تعالى من غيّر هدف وجوده الذي خلق من أجله –يعنى-إخلاص العبادة لله تعالى ونفي الشرك في عبادته تعالى, إلى شدة حرص الدنيا والمال حتى

---

562 مجموع الفتاوي{10/245-246}

563 البخاري {2886-2887} والترمذي{2375-2309} وابن ماجه{4133-4135}وأبن في صحيحه{3218-3300} السنن البكري للبيهقي{158:9-17016} والتمهيد لابن عبد البر{23/281-4268}

كان في الواقع عبدا للمال إنما قبلته المال, المهم أن يكون عنده المال أم من حلال أو من حرام , ولشدة الحرص حتى إذا مرض لا يداوي نفسه في ماله, هم في النهار, وغم في لليل وليس هناك رب يعبده إلا المال, وإذا أعطاه الله المال رضي به ربا, وعبد الله لأجل المال , كما قال الله تعالى: { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين} الحج {10} وهو كذلك إذا باع للإمام إن أعطاه شيئا مما حرص إليه من أموال الدنيا والمناصب رضي به إماما ورضي كل ما يفعله من حق وباطل, وحث الناس على طاعته و قبول كل ما يصدر منه من حق أو باطل و ورفعه عاليا شامغا, وكذلك من أعطاه مما حرص عليه به من الأموال يثني ويرضي به وبأفعاله, وإن كان هو من الفجار الذي يضيعون حقوق الله تعالى , ويحاربون شرع الله تعالى وسنة نبييه ﷺ, ولذا خسر الدنيا والآخرة قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله: تعس وانتكس, وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس , فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه, وهذا حال من عبد المال, وقد وصف ذلك بأنه : إن أعطي رضي وإن منع سخط كما قال تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا يسخطون} فرضاؤهم لغير الله وسخطهم لغير الله , وهكذا حال من كان متعلقا منها برياسة أو صورة ونحوذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي , وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك , وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته, فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.}[564] وقال أيضا: وهكذا أيضا طالب المال, فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور أنواعا:منها: ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه, ومنكحه, ومسكنه ونحوذلك فهذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه, فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعا.

[564] العبودية {29}

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد , فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها, وربما صار مستعبدا معتمدا على غير الله فيها, فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله , ولا حقيقة التوكل عليه, بل فيه شعبة من العبادة لغير الله, وشعبة من التوكل على غير الله, وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: { تعس عبد الدينار , تعس عبد الدرهم, تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة} وهذا هو عبد لهذه الأمور , ولو طلبها من الله, فإن الله إذا أعطاه إياه رضي, وإن منعه إياها سخط, وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله, ويسخطه ما يسخط الله, ويحب ما أحبه الله ورسوله , ويبغض ما أبغضه الله ورسوله , ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله, فهذا الذي استكمل الإيمان .[565] { ذاك طبع طبع الله الإنسان عليه ودعا إلى تهذيب هذا الطبع وتقويمه , ودعاه إلى مقاومة الجشع والطمع والجري وراء المال من حله , وغير حله دعاه إلى أن ينفق ما وهبه الله فيما شرعه , فيحسن به كما أحسن الله إليه, ولا ينسى نصيبه من الدنيا , دعاه إلى أن يجعل المال في يده لا في قلبه, وأن يسخر المال ويجعله خادما, لا أن يجعل نفسه خادما , والمال مخدوما , دعاه أن يكون سيدا للمال, لا أن يكون عبدا للدراهم والدينار, والثياب وزينة الحياة الدنيا, يصبح في خدمة المال وجمعه, ويمسي في عده وحراسته والسهر عليه, سواء أكان الحديث يدعو عليه بالتعاسة والشقاوة, أم كان يخبر عنه بأنه تعس في نفسه غير سعيد, فإن الزجر والتنفير شديد ومخيف, وقد جعل الحديث علامة هذا الشقي, أنه إن أعطي من المال رضي عمن أعطاه, وإن لم يعط سخط على من لم يعطه, فسبب الرضا عنده العطاء, وسبب الغضب عنده المنع, ولو كان لحكمة وللمصلحة, فهو أسير المال, وهو كالكلب يتبع العظم , والسيد, مثل هذا يستحق الدعاء عليه بدوام, التعس لأنه ألغى عقله واستدبر شرع الله, فلا يستحق الدعاء له مثل هذا المتخبط في ظلمات الجهل والخطيئة , والمنتكس في سلوكه كمن يمشي على رأسه, هو كمن يمشي على أشواك, جدير أن يدعي عليه بعدم إخراج الأشواك من جسده , ذلك الصنف الهالك يقابله صنف الفالحين الذين باعوا أموالهم لله, وأنفقوها في سبيله, واستوى عندهم الغنى

---

[565] المرجع السابق

والفقر, وهانت عليهم الدنيا بمظاهرها ومناصبها, ويؤدون وأجبهم وواجب الإسلام في أي موقع أخذوا بلجام خيلهم في الجهاد , وتركوا الزينة ونعيمها, فشعت شعرهم وثار واغبرت أقدامهم, وتربت إن وضعوا في مقدمة الجيش أدوا واجبهم , وإن وضعوا في مؤخرة الجيش أدوا واجبهم[566] }
قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: { ويروي تعس فلا انتعش وشيك فلا انتقش{ قوله تعس} أي انكب وعثر ومعناه : أي أتعسه الله ومنه قوله سبحانه وتعالى: { فتعسالهم} محمد 8} أي عثارا وسقوطا , وإذا سقط الساقط به , فأريد به الاستقامة قيل: لعا له , وإذا لم يرد به الانتعاش, قيل : تعسا له . قوله: { وانتكس} يقال: نكست الشيئ: إذا قلبته والشيئ منكوس . والانتعاش : الارتفاع ويسمي نعش الجنازة نعشا لارتفاعه, قوله,{ فلا انتعش} أي: لا ارتفع, ويقال : انتعش العليل: إذا أفاق.[567] } قال الطبي رحمه الله تعالى: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها , كالأسير الذي لا يجد خلاصا, ولم يقل مالك الدنيا ولا جامع الدنيا, ولأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على الحاجة, وقال غيره جعله عبدا لهما لشغفه وحرصه , فمن كان لهواه لم يصدق في حقه إياك نعبد , فلا يكون من اتصف بذلك صديقا {لعن عبد الدرهم} خصا بالذكر لأنهما أصل أموال الدنيا وحطامها}[568] قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: { والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه, وتغضبه كلمة الباطل له وعليه, لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل, ويبغض الكذب والظلم. فإذا قيل: الحق والصدق والعدل, الذي يحبه الله أحبه, وإن كان فيه مخالفة هواه, لأن هواه قد يبغضه ولو وافق هواه, وكذلك طالب المال- و لو بالباطل – كما قال تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون } وهؤلاء هم الذين قال فيهم : {تعس عبد الدينار} الحديث. فكيف إذا استولي على القلب ما هو أعظم استعبادا من الدرهم والدينار من الشهوات , والأهواء والمحبوبات التي تجذب القلب عن كمال محبته لله وعبادته لما فيها من المزاحمة والشرك بالمخلوقات, كيف تدفع القلب وتزيغه عن

---

[566] المنهل الحديث{3/111-117}
[567] شرح السنة للإمام البغوي{14/261-262}
[568] تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي{7/45}

كمال محبته لربه وعبادته وخشيته, لأن كل محبوب يجذب قلب محبه إليه ويزيغه عن محبة غير محبوبه, وكذلك المكروه يدفعه ويزيله ويشغله عن عبادة الله تعالى. }[569] ومعنا شيخ الإسلام رحمه يبين لنا معاني حديث رسول الله صلى الله عليه وسيلم , ويستخرج لنا معاني. وكنوز والفوائد منه حيث يقول: { فإذا تدبر الإنسان حال نفسه, وحال جميع الناس, وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين: لا بد للنفس من شيئ تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها, وهو إلهها ولا بد لها من تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها, سواء كان ذلك هو الله أو غيره وإذا فقد يكون عاما وهو الكفر, كمن عبد غير الله مطلقا, وسأل غير الله مطلقا, مثل عباد الشمس والقمر, وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات, ويفزعون إليهم في النوائب. وقد يكون خاصا في المسلمين , مثل من غلب عليه حبّ المال, أو حب شخص, أو حب الرياسة , حتى صار عبد ذلك, كما قال صلى الله عليه وسلم: { تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة, إن أعطي رضي, وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش} وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله , بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم, أو خادمه من الأعوان والأجناد ونحوهم, أو أصدقائه أو أمواله, هي التي تجلب المنفعة الفلانية , وتدفع المضرة الفلانية, فهو معتمد عليها, ومستعين بها, والمستعان هو مدعو ومسئول. وأما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة , فمن اعتمد عليه القلب في رزقه ونصره ونفعه وضره, خضع له وذل, وانقاد وأحبه من هذه الجهة, وإن لم يحبه لذاته لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته, ينسى مقصوده منه, كما يصيب كثيرا ممن يحب المال أو يحب من يحصل له به العز والسطان.}[570] قال الإمام أمير الصنعاني رحمه الله تعالى: { أراد بعبد الدينار والدرهم من استعبدته الدنيا بطلبها, وصار كالعبد لها تتصرف فيه تصرف المالك لينالها, وينغمس في شهواتها ومطالبها, وذكر الدينار والقطيفة مجرد مثال, وإلا فكل من استعبدته الدنيا في أي أمر وشغلته عما أمر الله تعالى, وجعل رضاه وسخطه متعلقا بنيل ما يريد, أو عدم نيله فهو عبده فمن الناس من يستعبده حب الإمارات,

---

[569] مجموع الفتاوي{600/10}

[570] مجموع الفتاوي{35/1}

ومنهم من يستعبده حب الصور, ومنهم من يستعبده حب الأوطيان, واعلم أن المذموم من الدنيا كل ما يبعد العبد عن الله تعالى, ويشغله عن واجب طاعته وعبادته, لا ما يعينه على الأعمال الصالحة , فإنه غير مذموم وقد يتعين طلبه ويجب عليه تحصيله وقوله: رضي أي عن الله بما ناله من حطامها : إن لم يعط لم يرض" أي عنه تعالى ولا عن نفسه فصار ساخطا فهذا الذي تعس, لأنه أراد رضاه على مولاه وسخطه على نيل الدنيا وعدمه, والحديث نظير قوله تعالى: { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه} الآية.[571] { وعبد الدينار طالبه الحريص على جمعه, القائم على حفظه, لا يرضي ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض إلا لأجله, سماه عبدا له لشدة شغفه وحرصه عليه , ولكونه هو المقصود بعمله, وكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا له في عبودته, وخص العبد بالذكر دون المالك والجامع إيذانا بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها , كالأسير الذي لا يجد خلاصا, والدينار مثقال معروف من الذهب من المعاملات القديمة}[572] قلت: وقد أطلق ﷺ لفظ العبودية على من تعلق قلبه بالدنيا وحرص على جمع المال لا يبالي من أين أخذه , وإن لم يصلى له ويسجد له ويركع إليه, فإذا عبادة شيئ قد تكون من غير الصلاة إليه, والعبودية قد تكون بغير السجود والركوع , وإذا صرف همه إليه , ومال إليه حتي كان عبدا له تحقق عبوديته له, ولهذا قال حافظ الحكمي رحمه الله تعالى: أن من أحب شيئا وأطاعه, وكان من غاية قصده ومطلوبه ووالي لأجله وعادي لأجله, فهو عبده وكان ذلك الشيئ معبوده وإلهه, ويدل عليه أيضا أن الله تعالى سمي طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى: { ألم اعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين}[573]

{ وروي أبو الدرداء قال خرج علينا رسول الله ﷺ , ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال: { الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبنّ الدنيا عليكم, حتي لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هيه, وأيم

---

[571] سبل السلام{174/4}
[572] حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم{273}
[573] معارج القبول{433/2}

الله قد تركتكم على البيضاء ليلها ونهارها سواء" . قال أبو الدرداء: صدق رسول الله ﷺ , تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء, ورواه ابن ماجه. الفقر تخافون ؟ أي : هل تخافون من الفقر؟ والذي نفسي بيده لتصبن الدنيا عليكم}[574] أي يوسع عليكم في الزرق , وهذا كسابقه من دلائل نبوته ﷺ , فلم يمض بعد كلامه إلا وقت يسير حتى جاءت كنوز الدنيا إلى الصحابة. حتي لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هيه: أي الدنيا والركون إليها, والتكالب عليها, وشغل الأوقات بها, فمن أسباب الزيغ: الافتتان بالدنيا , فتكون أكبر هم الإنسان , حتي يبلغ الحال ببعضهم أن يكون عبدا للدينار وللدرهم ,كما قال ﷺ : { تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة, وإن أعطي رضي ,وإن لم يعط لم يرض . ثم نبه النبي ﷺ إلى ما ينبغي أن يهتم به فقال: ,أيم الله قد تركتكم على البيضاء ليلها ونهارها سواء. أي أنه ﷺ أبان الدين وأوضح الطريق, وأقام الحجة وأزال المعذرة ونصح للأمة , وما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه , ولا شرا إلا حذرها منه, وبهذا الذي أبانه تكون النجاة}[575] ومن عبودية المال والحرص عليه, أن يطغي على هذا الإنسان حب الدنيا وزينتها على حب الآخرة والسعي لها , ومن ذلك يتعلق قلبه بها , ويضعف إيمانه واستعداده لآخرته شيئا فشيئا, حتي يكون العبادة- كالصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج- ثقيلة مملة عليه, ويشعر أن وحصول لذت الدنيا وزينتها وسلواه في الدنيا وفي حطامها أسهل عليه , حتي ينسي الآخرة , ويغفل عن هادم اللذات , ويبدأ عنده طول أمله , وما اجمعت هذه البلايا في الرجل إلا أهلكته كما بين ذلك النبي ﷺ ,حتي عددا من طلاب ضعفوا عن طلب العلم , وانشغلوا عنه إلى غيره بجمع حطام والبحث عن المناصب والجاه, قال شيخ العثيمين : هذا إذا جعلنا{ الذي جعل مع الله إلها آخر} وصفا لهذا الكافر, أما إذا جعلناها أشمل من ذلك فإنها تعم كل إنسان تعبد لغير الله, وتذلل لغير الله, حتي التاجر الذي ليس له هم إلا تجارته , وتنميتها فإنه عابد لها , حتى صاحب الإبل الذي ليس له هم إلا إبله هو عابد لها, والدليل على أن من انشغل بشيء عن طاعة

---

[574] أخرجه ابن ماجه رقم الحديث{5} وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : وهذا إسناد حسن, رجاله كلهم ثقات{688} وفي ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة{47}

[575] تذكرة المؤتسي شرح غقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي{373}

الله فهو عابد له , الدليل : قول النبي ﷺ: { تعس عبد الدينار, تعس عبد الدرهم , تعس عبد الخميصة, تعس عبد الخميلة} عبد الدينار هذا: تاجر الذهب, عبد الدرهم : تاجر الفضة, تعس عبد الخميصة: تاجر الثياب لأن الخميصة هي الثوب الجميل المنفوش, تعس عبد الخميصة : تاجر الفرش أو ليس بتاجر؟ لا يتجر بهذه الأشياء , ولكنه مشغول بها عن طاعة الله ,{ وإن أعطي رضي ,وإن لم يعط سخط} فسمى النبي ﷺ من اشتغل بهذه الأشياء الأربعة عن طاعة الله سماه عبدا لها.}[576]{ قوله : { تعس عبد الدينار والدرهم} يعني: إن طلب ذلك, وقد استعبده وصار عمله كله في طلب الدينار والدرهم كالعبادة لهما. وقوله : { إن أعطي رضي} أي وإن أعطي ماله عمل رضي عن معطيه وهو خالقه عزوجل, وإن لم يعط سخط ما قدر له خالقه ويسر له من رزقه , فصح بهذا أنه عبد في طلب هذين , فوجب الدعاء عليه بالتعس , لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني, وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي, والتعس: ألا ينتعش ولا يفيق من عثرته , وانتكس أي : عاوده المرض كما بدأه , هذا قول الخليل. وقال ابن الأنباري : التعش: الشر قال تعالى: { فتعسالهم} أراد ألزمهم الله الشر. هذا قول المبرد , وقال غيره: التعس : البعد . قال الرستمى: التعس أن يخر على وجهه , والنكس أن يخر على رأسه, قال: والتعس أيضا: الهلاك . ثم أكد الدعاء عليه بقوله: { وإذا شيك فلا انتقش} إذا أصابته شوكة فلا أخرجها بمنقاشها, فيمتنع السعي للدنيار والدرهم}[577] } وقد بين الله سبحانه وتعالى شدة حرص الإنسان على الأموال مما أدي ذلك على أكل الحرام ,وكسب مال الحرام , قال الله سبحانه وتعالى: { كلا بل لا تكرمون اليتيم ۝ ولا تحاضون على طعام المسكين ۝ وتأكلون التراث أكلا لمّا ۝ وتحبون المال حبّا جما }19 سورة الفجر٬. وحذر الله تعالى المؤ منين الذين صدقوا الله وبما جاء من عند الله تعالى واتبعوا رسوله ﷺ ظاهرا وباطنا, أن يتجنبوا شدة حرص على متاع الدنيا التى تكون سببا لمخالفة أمر الله تعالى, في عدم إكرام الأيتام , وعدم حض الناس على إطعام المساكين والفقراء وذو الحاجات, وألا يأكل أموال يتامي ولشدة حرص على جمع الأموال حتي يأكلوا أموال من لا يستحق لهم أن يأكلوها

---

[576] لقاء الباب المفتوح الدرس 136ص4}

[577] شرح ابن بطال للبخاري{105/9}

كالمال اليتامي. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات : { فيه أمر بالإكرام له { ولا تحضون على طعام المسكين} يعني : لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين , ويحث بعضهم على بعض في ذلك { وتأكلون التراث} يعني: الميراث { أكلا لمّا} أي : من أيّ جهة حصل لهم , من حلال أو حرام, { وتحبون المال حبا حمّا} أي كثيرا زاد بعضهم : فاحشا,[578] فهذا دل على أن حب المال زاد عليهم حتى تجاوز حد المشروع , فانقلب لديهم حرصا , وتقدمو محبة المال على محبة الله , وحرصوا على الدنيا وتركوا طلب الآخرة. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: { يقول تعالى ذكره : تأكلون أيها الناس الميراث أكلا لمّا : يعني: شديدا لا تتركون منه شيئا. وهو من قولهم : لممت ما على الخوان أجمع , فأنا ألمّه لمّا, إذا أكلت ما عليه , فأتيت على جميعه.[579] { وعدّد تعالى عليهم جدهم في أكل التراث , لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد , وإنما كان يأخذ المال من يقاتل ويحمي الحوزة { واللمّ } جمع واللفّ, قال الحسن: هو يأخذ في الميراث حظّه وحظّ غيره, وقال أبو عبيدة : { لممت ما على الخوان} إذا أكلت جميع ما عليه بأسره.[580] } وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الأيات المذكورة أعلاه { إخبار عن ما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث , وأكل ماله إسرافا وبدارا أن يكبروا, وقرأ عمرو ويعقوب {يكرمون } ويحضون} و{يأكلون } و{يحبون} والمراد به الجنس , فعبر عنه بلفظ الجمع , والباقون بالتاء في الأربعة على الخطاب والمواجهة, كأنه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا. وترك إكرام اليتيم بدفعه عن حقه , وأكل ماله كما ذكرنا{ ولا يحضون على طعام المسكين} أي لا يأمرون أهليهم بإطعام مسكين يجيئهم.وقرأ الكوفيون:{ ولا تحاضون} بفتح التاء والحاء والألف. أي لا يحضّ بعضهم بعضا{ وتأكلون التراث } أي ميراث اليتامي يعني, أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم. قال ابن زيد : - هو أنه إذا أكل ماله ألمّ بمال غيره فأكله, ولا يفكر: أكل من خبيث أو طيب, قال : وكان أهل الشرك لا يورّثون النساء ولا الصبيان, بل يأكلون ميراثهم مع ميراثهم, وتراثهم مع تراثهم. قيل : يأكلون ما

---

[578] صحيح تفسير ابن {4/ 639}
[579] تفسير الطبري{379/24}-
[580] المحرر الوجيز{612/30}

جمعه الميت من الظلم ,وهو عالم بذلك , فيلمّ في الأكل بين حرامه وحلاله. ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا, من غير أن يعرق فيه جبينه, فيسرف في إنفاقه , ويأكله أكلا واسعا, جامعا بين المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه, كما يفعل الوراث البطالون}[581] قال تفسير البسيط :{ والمعني: إنهم يولعون بجمع المال, فلا ينفقونه في خير , كما ذكر من صفتهم في قوله: { لا تكرمون اليتيمۨ ولا تحاضون على طعام المسكين}[582] قال الله سبحانه وتعالى: { ويل لكل همزة لمزةۨ الذي جمع مالا وعدّدهۨ يحسب أن ماله أخلده} سورة الهمزة الآية 3} في هذه الآية بين الله تعالى وصف القبيح لهذا الذي قدم حب المال على طاعة الله تعالى – بأوصاف التي لا يتحلى بها المسلم , مثل كثرة إغتياب الناس والاحتقار وترفع على الخلق, والتفاخر بماله, ويظن أن ما جمع من مال ومراكب و مساكن يخلده في الدنيا, ويبقه حيا لشدة حرصه المال, ولشدة جمع له, { أي يظن أن ماله يضمن له الخلود ويتركه حيّا مخلدا لا يموت لشدة إعجابه بما جمعه من المال, فلا يعود يفكر بما بعد الموت... كأن سبب الهمز واللمز والترفع على الناس وازدرائهم هو المال وطول الأمل, لأن الغنى يورث الإعجاب والكبر, وعدّ المال من غير ضرورة دليل على المتعة النفسية والزخرفة الدنية, والانشغال عن السعادة الباقية, ولأن المال يطول الأمل, ويمنّي بالأماني البعيدة, حتى أصبح لفرط غفلة صاحب المال يحسب أن ماله يتركه خالدا في الدنيا... ردع الله تعالى عن كل هذه المزاعم والتحسبات , فالمال لا يرفع القدر, ولا يقتضي الطعن بالآخرين, وليس المال كما يظن مخلدا في الدنيا , بل المخلد هو العلم والعمل, كما قال علي ﷺ : مات خزان المال وهم أحياء , والعلماء باقون ما بقي الدهر.[583]} يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره للآية: { يقول : يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه, وبخل بإنفاقه , مخلده في الدنيا فمزيل عنه الموت! وقيل: { أخلده} والمعنى: يخلده كما يقال للرجل الذي يأتي الأمر الذي يكون سببا لهلاكه: عطب والله فلان,

[581] تفسير القرطبي{54-53/20}
[582] تفسير البسيط{515/23}
[583] تفسير المنير{799-798/15}

وهلك والله فلان . بمعنى أنه يعطب من فعله ذلك, ولما يهلك بعد ولم يعطب , وكالرجل يأتي الموبقة من الذنوب: دخل والله فلان النار}[584] }

{ يعني أخلده} وخلده بمعنى أي طول المال أمله , ومنّاه الأماني البعيدة , حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت , أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض: عمل من يظن أن ماله أبقاه حيّا . أو تعريض بالعمل الصالح , وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم, فأما المال فما أخلد أحدا فيه}[585] } { ومن صفة هذا الهماز, أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبط به, وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام ونحو ذلك , {يحسب } بجهله { أن ماله أخلده} في الدنيا , فلذلك كان كده وسعيه كله, في تنمية ماله, الذي يظن أنه ينمي عمره, ولم يدرك أن البخل يقصف الأعمار ويخرب الديار, وأن البر يزيد في العمر.[586] } {:- وذلك ناشئ عن حب الشرف والمال, فإن محبة الشرف تحمل على انتقاص غيره بالهمز واللمز والفخر والخيلاء, ومحبة المال تحمل على البخل, وضد ذلك من أعطى فلم يبخل , واتقى فلم يهمز. وأيضا فإن المعطى نفع الناس , والمتقى لم يضرهم , فنفع ولم يضر. وأما المختال الفخورالبخيل, فإنه ببخله منعهم الخير, وبفخره سامهم الضر , فضرهم ولم ينفعهم, وكذلك : { الهمزة الذي جمع مالا} ونظيره: قارون الذي جمع مالا, وكان من قوم موسي فبغي عليهم. }[587]}{ الذي جمع مالا وعدّده} قال شيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله :- هذه أيضا من أوصافه القبيحة جماع منّاع, يجمع المال, ويمنع العطاء, فهو بخيل لا يعطي, يجمع المال ويعدده. { وعدده} وقيل: معنى التعديد يعنى الإحصاء, يعني لشغفه بالمال كل مرة يذهب إلى الصندوق ويعد, يعد الدراهم في الصندوق في الصباح, وفي آخر النهار يعدها, وهو يعرف أنه لم يأخذ منه شيئا, ولم يضف إليه شيئا لكن لشدة شغفه بالمال يتردد عليه ويعدده, ولهذا جاءت بصيغة المبالغة{ وعدده} يعنى أكثر تعداده لشدة شغفه ومحبته له يخشى

---

[584] تفسير الطبري {621/24}-
[585] الكشاف{429/6}
[586] تفسير السعدي{934/30}
[587] مجموع الفتاوي{527/8}

أن يكون نقص, أو يريد أن يطمئن زيادة على ما سبق فهو دائما يعدد المال. وقيل: أي جعله عدة له يعني ادخره لنوائب الدهر, وهذا وإن كان اللفظ يحتمله لكنه بعيدة, لأن إعداد المال لنوائب الدهر, مع القيام بالواجب بأداء ما يجب فيه من زكاة وحقوق ليس مذموما , وإنما المذموم أن يكون أكبر هم الإنسان هو المال, يتردد إليه ويعدده, وينظر هل زاد, هل نقص, فالقول بأن المراد عدده أي: جمعه للمستقبل قول ضعيف, { يحسب أن ماله أخلده } يعني يظن هذا الرجل أن ماله سيخلده ويبقيه, وبجسمه وإما بذكره, لأن عمر الإنسان ليس ما بقي في الدنيا, بل عمر الإنسان حقيقة ما يخلده بعد موته, ويكون ذكراه في قلوب الناس, وعلى ألسنتهم, فيقول في هذه الآية: { يحسب أن ماله أخلده} أي: أخلد ذكره أو طال عمره, والأمر ليس كذلك, فإن أهل الأموال إذا لم يعرفوا بالبذل والكرم فإنهم يخلدون, لكن بالذكر السيئ. فيقال: أبخل من فلان, وأبخل من فلان ويذكر في المجالس ويعاب,[588]

وأخرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم من حديث كعب بن مالك الأنصاريّ قال: قال رسول الله ﷺ: { ما ذئبان جائعات أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه}[589] و لهذا الحديث شواهد, من ذلك حديث أبي هريرة ﷺ- عن النبي ﷺ- بلفظ: { ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأسرع فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم}[590]

ومنها حديث أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ { ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم, يفترسان ويأكلان بأسرع فسادا من طلب المال والشرف في دين المسلم}[591] ومنها: حديث عبد الله بن عباس ﷺ- عن النبي ﷺ : { ما ذئبان ضاريان باتا في غنم, بأفسد لها من حبّ ابن آدم الشرف والمال}[592]

---

[588] تفسير جزء عم لابن عثيمين{319-220}
[589] أخرجه إمام الترمذي{2310-2376} وفي سنن الدارمي{2730-2648} وأحمد في المسند{15357-15469} وابن حبان في صحيحه{3228-3310} والنسائي في سنن الكبري{11796-11291} وابن أبي شيبة في مسنده {498} وفي المصنف له أيضاً{35383-33690} والطبراتي في الكبير{189-15559} والبيهقي في شعب الإيمان{9587-10264} وشرح السنة للبغوي{3970-4054} وغيرهم
[590] أخرجه القضاعي في مسند الشهاب{26,811/2} والطبراني في الأوسط{772} بإسناد جيد كما قال البوصيري في{إتحاف الخبرة المهرة{7251}
[591] أخرجه الطبراني في الصغير{943} والضيار في الأحاديث المختارة{112/4} رقم 1323} وقال: إسناده صحيح,
[592] الطبراني في الكبير{319/10} رقم{10778} وفي الأوسط{260/1} قال الهيثمي في المجمع {250/10} فيه عيسي بن ميمون وهو ضعيف وقد وثّق.

ومنها حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعا: { ما ذئبان ضاريان في حظيرة وثيقة, يأكلان ويفترسان , بأسرع فيها من حب الشرف وحب المال في دين المسلم}[593]

بين النبي ﷺ في الحديث أن شدة الحرص على المال والشرف يفسد دين الإنسان. بل يكون ذليلا حقيرا لأجل المال والشرف , في الحديث مثل ضربه النبي ﷺ ما يجلب على المؤمن من فساد الدين وفساد الأخلاق, وعدم أخذ بتعليم الشريعة- إذا كان شديد الحرص على المال والشرف. قال أهل العلم : ليس الذئبان الجائعان اللذان أرسلا في الغنم بأشد من إفساد لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه,فإن إفساد المال والجاه لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من النغم إذا رسلا فيها, أما المال: فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجرّ إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفا, وربما يشتدّ أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال , فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى, وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه فيكفي به فسادا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال, وهو الشرك الخفيّ, فيخوض في المراءات والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة, فهو أفسد وأفسد.[594]} قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في شرحه للحديث :- فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا, وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيا في الغنم , وقد غاب عنها رعاؤها ليلا, فهما يأكلان ويفترسان فيها ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين, والحالة هذه إلا قليل, فأخبر النبي ﷺ, أن حرص المرء على المال والشّرف: إفساده لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم , بل إما أن يكون مساويا وإما أكثر, يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل, كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل, فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرّ الحرص على المال والشرف في الدنيا.{[595]} قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

---

[593] أخرجه ابن عساكر في تأريخ دمشق {460/48} قال الترمذي في الجامع {2376} ولا يصح إسناده
[594] تحفة الأحوذي {47/7}
[595] مجوعة الرسائل لابن رجب{64/2}

{ وأما حكم الإسلام في ذلك , فالذي يعاقب الرجل عليه الحب الذي يستلزم المعاصي, فإنه يستلزم الظلم والكذب والفواحش, ولا ريب أن الحرص على المال والرياسة يوجب هذا , كما في الصحيحين: أنه قال: { إياكم والشحّ أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا, وأمرهم بالظلم فظلموا, وأمرهم بالقطيعة فقطعوا}[596] وعن كعب عن النبي ﷺ: { ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف}[597] قال الترمذي: حديث حسن, فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين, فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به, ويترك ما نهى الله عنه, ويخاف مقام ربه, وينهى النفس عن الهوى, فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عمل وجمع المال إذا قام بالواجبات فيه, ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه, لكن إخراج فضول المال والإقتصار على الكفاية أفضل وأسلم, وأفرغ للقلب, وأجمع للهمّ, وأنفع في الدنيا والآخرة . وقال النبي ﷺ: {{ من أصبح والدنيا أكبر همه. شتت الله عليه شمله, وجعل فقره بين عينيه, ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له, ومن أصبح والآخرة أكبر همه. جعل الله غناه في قلبه, وجمع عليه ضيعته, وأتته الدنيا وهي راغمة}[598] { قال ابن رجب: ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف, الذي لا قيمة له, وقد يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم, فضيّعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم, لا يأتي منه إلا ما قدر وقسم, ثم لا ينتفع به, بل يتركه لغيره, ويرتحل عنه, فيبقى حسابه عليه, ونفعه لغيره, فيجمع لمن لا يحمده, ويقدم على من لا يعذره- لكفاه بذلك ذمّا للحرص, فالحريص يضيّع زمانه الشريف, ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار, لجمع مال ينتفع به غيره[599] } { فذم النبي ﷺ الحرص على المال والشرف وهو الرياسة والسطان, وأخبر أنّ ذلك يفسد الدين مثل أوفوق إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم, وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذمّ, لأنه يفسد

[596] سبق تخريج الحديث
[597] سبق تخريج الحديث
[598] فتاوي الكبري لابن تيمية{5/129-130}
[599] شرح حديث{ ما ذئبان جائعان} لابن رجب{22}

الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح, فكان ترك هذا الحرص لصالح العمل.[600]}فيه دليل أن طلب الجاه والمال- مما يخالط النفوس من الشهوات الخفيّة- يفسد عليها تحقيق محبّتها لله وعبوديّتها له, وإخلاص دينها, قال شيخ الإسلام: الحديث يبين أن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص, وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديّته لله ومحبّته له- لم يكن شيء أحبّ إليه من ذلك , حتى يقدمه عليه , وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء}[601] وبين الغزالي أن المقصود بذم المال والجاه هو ذمّ الرياء, وحيث ذمّ الرياء, فهو ذم الجاه, إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب, ومعنى الجاه: ملك القلوب, وإنما كثر هذا وقلّ ذاك, لأن الناس أكثرهم جهّال بطريق الرقيّة لحيّة المال, وطريق الغوص في بحر الجاه, فوجب تحذيرهم, فإنهم يهلكون باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه, ويهلكم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهر}[602]{ وضع الله الحرص في الآدمي, ثم ذمّه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين, وقطع علائق الحرص بنور السبحات, فمن كان حظّه من نور اليقين ونور السبحات أوفر,كان وثاق حرصه أوثق, والحرص محتاج إليه الآدمي, ولكن بقدر معلوم, فإذا لم يكن لحرصه وثاق, تعدّى القدر الذي يحتاج إليه فأفسد}[603] وذهب وهب بن منبّه: أن من اتباع الهوى الرغبة في الدينا, ومن الرغبة فيها حبّ المال والشرف , ومن حب المال والشرف استحلال المحارم.[604]} شدة حرص المال وحبه وآفاته يكون على شقين, شق يتعلق بالدين, وشق يتعلق بالدنيا , أما آفات الدينية , { الأولى: أنه يجرّ إلى المعاصي غالبا, لأنه من استشعر القدرة على المعصية, انبعثت داعية إليها, والمال نوع من القدرة, يحرّك داعية إلى المعاصي, ومتّى يئس الإنسان من المعصية, لم تتحرك داعيته إليها. ومن العصمة ألاّ تجد, فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك, وإن صبر, لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة, وفتنة السراء أعظم من فتنة الضرّاء.

---

[600] مجموع الفتاوي{142/20-143}-
[601] العبودية لشيخ الإسلام{57}
[602] إحياء علوم الدين للغزالي{468/5}
[603] نوادر الأصول لمحمد بن على بن الحسن أبي عبد الله الحكيم الترمذي{212/4}
[604] شرح حديث {ذئبان جائعان} لابن رجب{71}

الثانية: وهي التي لا ينفك عنها أحد, وهو أن يلهيه ماله عن ذكر الله تعالى, وهذا هو الداء العضال, فإن أصل العبادات ذكر الله تعالى, والتفكير في جلاله, وعظمته, وذلك يستدعي قلبا فارغا, وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاحين, ومحاسبتهم وخيانتهم, ويتفكر في منازعة شركائه في الحدود والماء, وأعوان السلطان في الخراج والأجراء على التقصير في العمارة, ونحو ذلك, وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكرا في خيانة شريكه, وتقصيره في العمل, وتضيعه المال, وكذا سائر أصناف المال, حتى صاحب المال المجموع المكنوز, يفكر في كفيّة حفظه , وفي الخوف عليه, ومن له قوت يوم بيوم, فهو في سلامة من جميع ذلك, وهذا سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا, من الخوف والحزن, والهمّ والغمّ والتعب, فإذا ترياق المال أخذ القوت منه, وصرف الباقي إلى الخيرات, وما عدا ذلك سموم وآفات}[605] { وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذم , لأنه يفسد الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح, فكان ترك هذا الحرص لصالح العمل, وهذان هما المذكوران في قوله تعالى:{ ما أغنى عنّي ماليه ۜ هلك عنّى سلطانية} الحاقة:28-29} وهما اللذان ذكرهما الله في سورة القصص حيث افتتحها بأمر فرعون, وذكر علوه في الأرض, وهوالرياسة والشرف والسلطان, ثم ذكر في آخرها قارون وما أوتيه من الأموال, وذكر عاقبة سلطان هذا وعاقبة مال هذا,

ثم قال : { تلك الذار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساد} القصص:83} كحال فرعون وقارون, فإن جمع الأموال من غير إنفاقها في مواضعها المأمور بها, وأخذها من غير وجهها هو نوع الفساد. وكذلك الإنسان إذا اختار السلطان لنفسه بغير العدل والحق لا يحصل إلا بفساد وظلم, وأما نفس وجود السلطان والمال الذي يبتغى به وجه الله والقيام بالحق والدار الآخرة , ويستعان به على طاعة الله, ولا يفتر القلب عن محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله, كما كان النبي ﷺ , وأبوبكر وعمر, ولا يصدّه عن ذكر الله, فهذا من أكبر نعم الله –تعالى- على عبده إذا كان كذلك. ولكن قل أن تجد ذا سلطان أو مال, إلا وهو مبطا مثبط عن طاعة الله ومحبته, متبع

[605] مختصر منهاج القاصدين{64}

هواه فيما آتاه الله, وفيه نكول حال الحرب والقتال في سبيل الله , والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فهذه الخصال يكتسب المهانة والذم دنيا وأخري. فالشرف والمال لا يحمد مطلقا ولا يذم مطلقا, بل يحمد منه ما أعان على طاعة الله. وقد يكون ذلك واجبا, وهو ما لا بد منه في فعل الواجبات, وقد يكون مستحبا, وإنما يحمد إذا كان بهذه النية , ويذم ما استعين به على معصية الله أو صد عن الواجبات فهذا محرم.. والمحمود في الكتاب والسنة, إنما هو إرادة الدار الآخرة, و المذموم إنما هو من ترك إرادة الدار الآخرة واشتغل بإرادة الدنيا عنها, فأما مجرد مدح ترك الدنيا, فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله, ولا تنظر إلى كثرة ذم الناس الدنيا ذما غير ديني, فإن أكثر العامة إنما يذمونها لعدم حصول أغراضهم منها, فإنها لم تصف لأحد قط, ولو نال منها ما عساه أن ينال, وما امتلأت دار حبرة إلا امتلأت عبرة, فالعقلاء يذمون الجهال الذين يركنون إليها ويظنون بقاء الرياسة والمال وتناول الشهوات فيها, وهم مع هذا يحتاجون إلى ما لا بد لهم منه منها, وأكثرهم طالب لما يذمه منها, وهؤلاء حقيقة ذمهم لها ذم دنيوى لما فيها من الضرر الدنيوي, كما يذم العقلاء التجارة والصناعة التي لا ربح فيها بل فيها تعب, وكما تذم معاشرة من يضرك ولا ينفعك في التزويج بسيئة الخلق,ولا ريب أن ما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعا في الآخرة, كإضاعة المال والعبادات الشاقة التي لم يأمر الله بها ولا رسوله, وما فيه منفعة في الدنيا مذموم إذا كان ضارا في الآخرة,[606]}

---

[606] مجموع الفتاوى{245-243-242/10}

أقسام الحرص

في هذا المبحث نقسم شدة الحرص على حسب أحوال الناس , فإن الإنسان طبع على الحرص لا بد أن يكون حريصا , فبعض الناس يكون حريصا على حب المال , وبعض الناس يكون حريصا على الشرف, ومن الناس من يكون حرصه على الإمارة الرياسة , ومن الناس من يكون حرصه على طلب دار الآخرة , وإن كان يمتلك الدنيا بيده ,لكنه تري يهتم بالآخرة, يتشمر لها, ويجعلها همه دائما, وسنذكر كل قسم من هذه الأقسام,

قال شيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذكر الحديث مع ذكره بعض الآيات: { فالناس أربعة أقسام: قوم يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض, وهو معصية الله تعالى, وهؤلاء الملوك

والرؤساؤ المفسدون, كفرعون وحزبه وهؤلاء شر الخلق, قال الله تعالى: { إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من الفسدين} القصص4} وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود- ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ: { لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر, ولا يدخل النار من في قبله ذرّة من إيمان} فقال رجل: يا رسول الله, إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا, أفمن الكبر ذاك؟ قال: {لا, الكبر بطر الحق وغمط الناس}[607] فبطر الحق: جحده وغمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم فهذه حال من يريد العلو في الأرض والفساد.

والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علو, كالسّراق والمجرمين من سفلة الناس ونحوهم, قلت فهؤلاء يريدون الفساد بالظلم والسرقة والتخويف الناس وإرهابهم

والثالث: يريدون العلوّ بلا فساد, كالذين عند هم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس, وهو أكبر في المتعلقة بنوع من العلم أو نوع من الورع,

وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة, الذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فسادا, مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم, كما قال تعالى: { ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} آل عمران:139} وقال تعالى: { فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمال} محمد:35} وقال : { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} المنافقون:8} فكم ممن يريد العلوّ ولا يزيده ذلك إلا سفولا, وكم ممن جعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد, وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم , لأن الناس من جنس واحد فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم له. ثم مع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه, لأن العادل منهم ما يحب أن يكون مقهورا لنظيره, وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر,

[607] أخرجه مسلم {91} من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه-

فمريد العلوّ فسد عليه دينه ودنياه بظلم الناس ومعاداتهم لذلك, فيحتاج لذلك إلى أعوانه يد فعون أعداءه, والأعوان في الحقيقة أعداء له, إنما يعينونه لما ينالونه من أهوائهم, فلهذا كان من طلب الرياسة إليه أحمق جاهلا, وإنما المطلوب منها ما يدفع به الإنسان عنه االضرر في دينه ودنياه, وهو في الحقيقة دفع علوّ غيره عنه بالباطل, لا إرادة منه علوّا على غيره ---- فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإقامة دينه, وإنفاق ذلك في سبيله, كان ذلك صلاح الدين والدنيا, وإن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس في الأموال, وإنما يتميّز أهل طاعة الله عن أهل معصية الله بالنية والعمل الصالح. كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: { إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم, وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}[608] ولما غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف, وصاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان في ولايتهم- رأى كثير من الناس أن الإمارات تنافي الإيمان وكمال الدين,[609]} وكل هذا يدل على أن الفقر القلب أشد من فقر اليد, وقد قيل في بعض الإسرائيلية: الرزق مقسوم والحريص محروم, ابن آدم إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا, فمتى تطلب الآخرة؟

إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزا### فما أنت في يوم القيامة صانع,

فلا بد أن يكون لدي العبد اليقين بما عند الله أكثر بما في يديه, قال عبد الله مسعود ﷺ: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله, ولا تحمد أحدا على رزق الله , ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله , فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص, ولا يردّه كراهة كاره, فإن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى, وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط, وقال بعض السلف : إذا كان القدر حقا فالحرص باطل , وإذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز , وإذا كان الموت لكل أحد راصدا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق, وكان عبد الواحد بن زياد يحلف بالله : لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعدي أعدائه. قال بعضهم: أطول الناس همّا الحسود,

---

[608] مسلم رقم الحديث{2564}
[609] السياسة الشرعية لابن تيمية{238-240}

وأهنؤهم عيشا القنوع, وأصبرهم على الأذى الحريص, وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا, وأعظمهم ندامة العالم المفرط [610]}

وأخرج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى وغيره بسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { يكبر ابن آدم ويكبر معه إثنان : حب المال وطول العمر}[611] وأخرج أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: حب الدنيا وطول الأمل} [612] قال الحافظ قال الإمام النوري رحمه الله تعالى:{ هذا مجاز واستعارة , ومعناه : أن قلب الشيخ كامل الحب للمال متحكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه, هذا صوابه, وقيل في تفسيره غير هذا مما لا ترتضى, وكأنه أشار إلى قول عياض: هذا الحديث فيه من المطابقة وبديع الكلام الغاية, وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه, إذا انقضى عمره, ولم يبق له إلا انتظار الموت, فلما كان الأمر بضده ذم , قال : والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب وأكثر وبهم أليق لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم, ودوام استمتاعهم ,ولذاتهم في الدنيا, قال القرطبي : في هذا الحديث كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال, وأن ذلك ليس بمحمود, وقال غيره: الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه, فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر, وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التى ينشأ عنها غالبا طول العمر, فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه, [613] }قال في قيض القدير : يهرم ابن آدم} أي يكبر { ويبقى معه} خصلتان {اثنتان} استعارة يعنى تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كا ستحكام قوة الشاب في شبابه, { الحرص} على المال والجاه والعمر {وطول الأمل} فالحرص فقره ولو ملك الدنيا والأمل تعبه ذكره الغزالي, وإنما لم تذهب هاتان الخصلتان لأن المرء جبل على حب الشهوات كما قال تعالى{ زين للناس} الآية وإنما تنال هي المال

[610] مجموع الرسائل لابن رجب{65-69}
[611] فتح الباري{270/11} رقم الحديث{6421} وغيره-
[612] المصدر السابق{رقم الحديث 6420}
[613] فتح الباري{271/11ؤ

والعمر والنفس معدن الشهوات وأمانيها لا تنقطع فهي أبدا, فقيرة لتراكم الشهوات عليها قد برح بها خوف الفوت وضيف عليها, فهي مفتونة بذلك, وخلصت فتنتها إلى القلب فأصمته عن الله وأعمته, لأن الشهوة ظلمات ذات رياح هفافة, والريح إذا وقع في الأذن أصمت والظلمة إذا حلت بالعين أعمت فلما وصلت هذه الشهوة إلى القلب, حجبت النور, فإذا أراد الله بعبد خيرا قذف في قلبه النور فتمزق الحجاب, فذلك تقواه به يتقى مساخط الله , ويحفظ حدوده ويؤدي فرائضه, فإذا أشرق الصدر بذلك النور تأدى إلى النفس فأضاء, ووجدت له النفس حلاوة وطلاوة ولذة تلهيه عن شهوات الدنيا وزخرفها فيحي قلبه ويصير غنيا بالله الكريم[614]} قال القرطبي رحمه الله تعالى: أربعة من الشقاء جمود العين, وقساوة القلب, وطول الأمل والحرص على الدنيا[615]

[614] فيض القدير{6/ 465} الرقم الحديث{10025} مع الشاملة

[615] اللباب في علوم الكتاب{427/11}

قسم الأول الحرص على المال

فأما الحرص على المال فهو ينقسم على قسمين : أحدها هو شدة محبة المال مع شدة طلبه من كل وجوه مع الجهد والمشقة وتحمل كل أنواع الأذي والذل, والاحتقار, وبيع الدين والأخلاق الحسنة,وتغيير الهوية لذلك. قال بن رجب: { ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف, الذي يمكن أن يشتري به صاحبه الدرجات العلى و النعيم المقيم, في طلب رزق مضموم مقسوم لا يأتي منه إلا ما قد قسم, ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره, قيل لبعض الحكماء: إن فلانا جمع مالا , قال: فهل جمع أياما ينفقه فيها؟ قيل : لا , قال: ما جمع شيئا, وكان عبد الواحد بن زيد يقول: يا إخوتاه لا تغبطوا حريصا على ثروته وسعته في مكسب و لا مال, وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غدا في المعاد ثم يتكبر, وكان يقول : الحرص حرصان حرص فاجع وحرص نافع, فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله, وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا, وهو مشغول معذب لا يسر ولا يلذ بجمعه لشغله, فلا يفرغ من محبة الدنيا لآخرته,[616] وحرص في إصلاح المال حتى يهليه عن الله ,وعدم انفاق في سبيل الله لشدة حرصه على المال,فهذا يدل على أن الحرص المطلوب: الحرص على طاعة الله تعالى , وتحقيق عبودية الله تعالى , والإخلاص له سبحانه وتعالى, والدعوة إلى دين الإسلام , وطلب الدار الأخرة , ومن هذا باب

[616] ذم الدنيا لابن أبي دنيا

المسارعة إلى طاعات الله , والمبادرة والمسابقة إلى الخيران, وأن يجعل العبد همّه هما واحدة وهو هم الآخرة , ومن جعل الآخرة أكبر همه جعل الله في قلبه غني وآتته الدنيا راغبة, وأما إذا حرص الإنسان على الدنيا فقط لا يجد لذة في جمعه لدينا وراحة بما جمع قال بعضهم:

لا تغبطن أخا حرص على طمع وانظر إليه بعين الماقت القالي

وإن الحريص لمشغول بثروته عن السرور لما يحوي من المال

وقال آخر:

ياجامعا ما نعا والدهر يرمقه مفكر أي باب منه يغلقه

جمعت مالا ففكر هل جمعت له ياجامع المال أياما

المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا يوم تنفقه

إن القناعة من يحلل بساحتها لم يأل في طلب مما يؤرقه,

كتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصا على الدنيا : أما بعد فإنك قد أصبحت حريصا على الدنيا تخدمها, وهي تخرجك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل, كأنك لم تر حريصا محروما , أو زاهدا مرزوقا, ولا ميتا عن كثير, ولا متبلغا من الدنيا باليسير, فالحريص لا ينتفع به, بل يتركه لغيره ويرتحل عنه, ويبقي حسابه عليه ونفعه لغيره, فيجمع لمن لا يحمده, ويقدم على من لا يعذره, لكفي بذلك ذما للحرص , فالحريص يضيع زمانه الشريف , ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع ينتفع به غيره[617] } وما نري اليوم من شدة الحرص بعض الشباب المسلمين , وحب الدنيا وزينتها, حتى أدي ذلك إلى مخاطر ة النفس, والركوب البحار,وكم من شباب لو بقي في بلده لانتفع به الناس, ومن شدة الحرص, ما انتشر اليوم في أوساط

[617] مجموعة الرسائل لابن رجب {1-2/ 63-65} مع اليسير التصرف,

المسلمين, من قلة الثقة بالله تعالى, قلة التوكل, بل صار كثير من المسلمين أخذوا طريق الإنتحار . لماذا لأنه فشل عن عمله كأنه ليس هناك إله يزرقه, وكذلك الإعتماد على الرؤساء وغيره في تحصيل الرزق , مع أن الله تعالى كفل أرزاق العباد على نفسه,بل ومن شدة الحرص على الدنيا حتى انسلخ بعض الدعاء عن أخلاق إمام الدعاة ﷺ حيث باعوا دينهم بعرض من الدنيا القليل, وظنوا أن غنى هو جمع المال , ولكن في الحقيقة الحريص هو الفقير, وفقره شديد , لأن الله تعالى جعل الفقر بين عينيه, وشتت الله شمله , وظل يزهق نفسه لإصلاح المال, وطلب الزيادة منه, وهو في هم اليوم وغم الليلة, ولا يسطيع أن يتقرب إلى الله تعالى بشيئ من العبادات, لايفرح إلا بالمال ويرضي إلا به , ويصادق لأجله , ويعادي لأجله ويوالي لأجله, حتي في دعائه لله تعالى دعاء المسألة , يسأل الله تعالى أن يعطيه الدنيا فقط كما حكي الله تعالى قول الذين سألوا الله تعالى الدينا وزينتها فقط {{ ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق} البقرة 200}في هذه الآية الكريمة بيان للناس أن هناك جماعة من الناس حتي في مناسك العبادات يحضر لأجل الدنيا, ويسأل الله تعالى أن يسهلها له,{ قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: { يعني جلّ ثناؤه بذلك: فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون, فأذكروا الله كذكركم آباءكم , أو أشدّ ذكرا , وارغبوا إليه فيما لديه من خيرات الدنيا والأخرة بابتهال وتمسكن , واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصا ولطلب مرضاته, وقولوا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة , وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار, ولا تكونوا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة , فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها, فلا يسألون ربهم إلا متاعا ولا حظ لهم في ثواب الله , ولا نصيب لهم في جنانه وكريم ماأعدّ لأوليائه,[618]} قال أبو حيان: في تفسيره للأية : {{ والمقصود أن لا يغفلوا عن ذكر الله تعالى طرفة عين, ثم قسم مقصد الحاج إلى دنيوي صرف, وإلى دنيوي وأخروي, وبين ذلك في سؤاله إياه, وذكر أن من اقتصر على دنياه فإنه لا حظ له في الآخرة ,[619]} وذكر في فتح البيان لمقاصد القرآن في تفسيره الأية أن هناك قسم ما دخل في الحج بما فيه من المشقة والتعب إلا الحرص على الدنيا, ولم يسأل الله خير الدنيا والأخرة والمغفرة

[618] تفسير الطبري {541/3}
[619] البحر المحيط {115/2}

الذنوب والتوبة والإنابة, ولم يذكروا الله كما علمهم الله تعالى بل: يطلب حظ الدنيا ولا يلتفت إلى حظ الأخرة, وفي هذا الخبر معنى النهي عن الاقتصار على طلب الدنيا والذم لمن جعلها غاية رغبته ومعظم مقصود, وإنما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث}[620]

القسم الثاني:الحرص على الجاه والشرف{الإمارات}:

تعريف الإمارة في اللغة والاصطلاح

أ-الإمارة في اللغة : هي الولاية , قال ابن منظور: أمر فلان : إذا صيّر أميرا,وقد أمر فلان وأمر بالضم أي صار أميرا , والمصدر: الإمرة والإمارة .. والتأمير : تولية الإمارة, وأمير مؤمّر: مملّك , وأمير الأعمي: قائده لأنه يملك أمره ,,, وأولوا الأمر : الرؤساء وأهل العلم}[621]} وقال الفيومي: الإمارة : الولاية بكسر الهمزة يقال: أمر على القوم: يأمر من باب: قتل فهو أمير, والجمع الأمراء ويعدّى بالتضعيف فيقال: أمّرت تأميرا}[622]}ب:وفي الشرع: الإمارة إما أن تكون عامة أو خاصة فإن كانت عامة فقد عرفها الماوردي بأنها: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به}[623]} وكذلك الجويني فقال: الإمامة رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الحنف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين, واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين}[624]} وإن كانت الإمارة خاصة فهي الولاية على الغير, والقيام بها بما فيه تحقيق المصالح[625]وحرص على الجاه والشرف لا يكون أقل فساد لدين المسلم من حرص على المال, بل

---

[620] فتح البيان{409/1-410}سم

[621] لسان العرب{26/4}

[622] المصباح المنير{22/1} وانظر مختار الصحاح{10/1} وانظرأنيس الفقهاء للقونوي{263/1} وانظر: القاموس المحيط للفيروزي آبادي ص: {439} ومعجم لغة الفقهاء{90/1}

[623] الأحكام السلطانية ص5}

[624] غياث الأمم للجويني{55}

[625] التعاريف الفقهية{90/1} وانظر التعريفات {85/1}

هو أشد هلاكا من الحرص على المال, فإن طلب شرف الدنيا والرفعة والرياسة على الناس والعلو في الأرض ضرره أشد على العبد من طلب المال, لأن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف, فلهذا كان طالبو الشرف والجاه يفسدون في الأرض غالبا, ويريدون به التكبر على الخلق فهؤلاء من شر خلق الله تعالى ,طلب الشرف بالولاية والسطان والمال, مع العلو والتكبر ومعصية الخالق , وهذا في الغالب يسد طرق الخير في الدنيا والأخرة, والله سبحانه وتعالى خص عباده المؤمنين بالجنة وحسن العاقبة, لأنهم مبعدون عن صفة العلو في الأرض, وتعالي وتكبر على خلق الله تعالى, قال الله سبحانه وتعالى: { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} القصص{82} قال شيخ الإسلام رحمه:-{ قوم يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض , ومعصية الله تعالي , وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون , كفرعون وحزبه. وهؤلاء شر الخلق , قال الله تعالى : { إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساؤهم إنه كان من المفسدين} القصص 4} وروي مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : {{ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر , ولا يدخل النار من في قلبه ذرة من إيمان }} فقال رجل : يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا أفمن الكبر ذلك؟ قال {{ لا الكبر بطر الحق وغمط الناس}}[626] فبطر الحق : جحده وغمط الناس : احتقارهم وازدراؤهم فهذه حال من يريد العلو في الأرض والفساد.[627]}{ فكم ممن يريد العلوّ ولا يزيده ذلك إلا سفولا, وكم ممن جعل من الأعلين , وهو لا يريد العلو ولا الفساد , وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم, لأن الناس من جنس واحد, فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم له . ثم مع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك, ويعادونه, لأن العادل منهم ما يحب أن يكون مقهورا لنظيره, وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر. فمريد العلوّ فسد عليه دينه ودنياه بظلم الناس ومعاداتهم لذلك, فيحتاج لذلك إلى أعوانه يدفعون أعداءه, والأعوان في الحقيقة أعداء له, إنما يعينونه لما ينالونه من أهوائهم, فلهذا كان من طلب

[626] أخرجه مسلم {91}
[627] السياسة الشرعية لابن تيمية{237}

الرياسة إليه أحمق جاهلا,وإنما المطلوب منها ما يدفع به الإنسان عنه الضرر في دينه ودنياه , وهو في الحقيقة دفع علوّ غيره عنه بالباطل, لا إرادة منه علوّا على غيره ,[628]} وبين الله سبحانه وتعالى أن الذي يطلب الشرف بالرياسة والكبر والعلوّ في الأرض يفسد ذلك دينه , أيّما إفساد وأعظم خطرا على تخريب الدنيا والآخرة قال الله تعالى{ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سيبل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبّوا بآياتنا وكانوا غافلين} الأعراف: 145} ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم حرص المسلم على الإمارة , وبين أن ذلك يكون ندامة يوم القيامة, ويكون خزي, وما أكثر ذلك في هذا الزمان الذي اختلط فيه الحابل بالنابل, فإن أكثر إزهاق التفوس يكون لأجل طلب الإمارة والرياسة, بل يوكل الله الأمر إلى من طالب رياسة وحرص عليها نفسه . وفي هذا العصر تكالب المسلمون على الإمارات سواء كانت إمارة عامة كالرياسة وغيرها, أو غير ذلك كالإمارات خاصة كرئاسة لحزب أو لمجاعة, أو لحي وغير ذلك , وما ذلك حرص اليوم على الإمارات إلا غياب الوازع الديني المرهب عن هذا المنصب, وأخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده من حديث أبي هريرة ﷺ, عن النبي صل الله عليه و سلم قال: { إنكم ستحرصون على الإمارة, وستكون ندامة يوم القيامة, فنعم المرضعة وبئست الفاطمة}[629] قال الحافظ رحمه الله تعالى: - قوله: فنعم المرضعة وبئست الفاطمة} قال الدوادي : نعم المرضعة أي في الدنيا , وبئست الفاطمة أي بعد الموت , لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك, فهو كالذي يفطم قبل أن يستغنى فيكون في ذلك هلاكه, وقال غيره : نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة , وتحصيل للذات الحسية والوهمية حال حصولها, وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره , وما يترتب عليها من التبعات في الأخرة, [630]}قلت مثل النبي ﷺ الحريص على الإمارة في هذه الأمة - وسيكون فيها من لاهم لهم إلا الحرص الشديد على الإمارات, كالطفل الصغير الذي فطم عن الرضاع قبل

628 المصدر السابق{238-239}
629 فتح الباري {146/13} رقم الحديث{7148}
630 المصدر السابق{147/13}

وقته لم يحصل الغذاء الصحيح لجسمه, ولا يسطيع أن يتغذي الأطعمة غير حليب أمه , فيهلك لذلك, فالذي يحرص على الإمارة مثله حيث يفطم عن الإمارة في وقت لا يفنع الإمارة كما قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن أمثال هذا حين يترك الإمارة, ويخرج من الدنيا بالندامة والحمل الثقيل من الظلم ومعصية الله تعالي, { ما أغني عنّى ماليه ۜ هلك عنّى سلطانيه} الحاقة28} وندامة يوم القيامة وأخرج الطبراني رحمه الله تعالي في الكبير بسنده من حديث عبد الله بن عباس ﷺ يرفعه قال: { ما من رجل ولي عشرة إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يقضى بينه وبينهم}[631] وفي رواية أبي هريرة ﷺ عند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ قال: { ما من والى عشرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتّى يفك عنه العدل, أو يوبقه الجور} [632]} وجاء في رواية عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { ما من أمير عشرة إلا جيئ به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوبقه} وجاء في رواية أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { ما من رجل يلي أمر عشرة من المسلمين فصاعدا, إلا جاء يوم القيامة يده مغلولة إلى عنقه فكه برّه, أو أوبقه إثمه, أولها ملامة, وأو سطها ندامة, وآخرها عذاب يوم القيامة}, هذه الرواية كلها صحيحة أو حسان , فليتقوا الله الذين يحرصون على الإمارات , وليتذكروا يوم يرجعون إلى الله تعالي بحمل الثقيل من ظلم العباد, وسوف يكون لهم ندامة وحسرة لا ندامة بعدها ولا حسرة بعدها, فيعلم هذا الحريص أن النبي ﷺ ما من شرّ إلا حذرنا منه, وما من خير إلا دلّنا إليه, وليس هناك شيئ يحقق عبودية لله تعالى إلا أمرنا به وليس هناك شيء يقربنا إلى محبة الله ورضاه وجنته إلا دلّنا إليه, وليس هناك شيئ يبعدنا عن الله تعالى, ويكون حاجزا عن طاعة الله تعالى, وإخلاص العباد له وحده لا شريك له, ويقربنا النار وسخط الله إلا حذرنا عنه ﷺ, ولهذا بوب الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها: وأخرج الحديث بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لى النبي ﷺ: يا عبد الرحمن بن

---

[631] أخرجه الطبراني في الكبير والاوسط ورجاله تقات{6225-6394 } وصححه الالباني رواية أبي هريرة في صحيح الترغيب الرقم {2200}

[632] سنن الدارمي {2435-2515} ومسند أحمد{9290-9363} الحاكم في المستدرك{ 85:4/ 7059} السنن الكبري للبيهقي{ 4918/3:128} مسند أبي يعلى{6533/6570} اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري{3568}5719}مصنف أبي شيبة{31871/33094} وغيرهم

سمرة, لا تسأل الإمارة, فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها, وإن أعطيتها عن غير مسالة أعنت عليها, وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير}[633] قال الحافظ رحمه الله تعالى: { ومعنى الحديث أن من طلب الإمارة فأعطيها تركت إعانته عليها من أجل حرصه, ويستفاد منه أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه, فيدخل في الإمارة القضاء والحسبة ونحو ذلك, وأن من حرص عليه لا يعان, ويعارضه في الظاهر ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رفعه: {{ من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة, ومن غلب جوره عدله فله النار}[634] والجمع بينهما أنه لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل منه العدل إذا ولي, أو يحمل الطلب هنا على القصد وهناك على التولية , وقد تقدم من حديث أبي موسي { إنا لا نولي من حرص} ولذلك عبر في مقابلة بالإعانة, فإن من لم يكن له من الله عون على عمله لا يكون فيه كفاية لذلك العمل فلا ينبغى أن يجاب سؤاله, ومن المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة,

فمن لم يكن له من الله إعانة تورط فيما دخل فيه خسر دنياه وعقباه , فمن كان ذاعقل لم يتعرض للطلب أصلا, بل إذا كان كافيا وأعطيها من غير مسألة فقد وعده الصادق بالإعانة, ولا يخفى ما في ذلك من الفضل, قال المهلب: جاء في تفسير الإعانة عليها في حديث بلال بن مرداس عن خيثمة عن أنس رفعه: {{ من طلب القضاء واستعان عليه بالشفعاء وكل إلى نفسه, ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده} أخرجه البزار[635]}{ لا تسأل الإمارة } هو نهي وظاهره التحريم وعلى هذا يدل قوله { إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا يسأله أو حرص عليه} وسببه أن سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه, ومن كان هكذا أوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك, وهذا معنى قوله وكل إليها ومن أباها لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير في حقوقها وفر منها ثم إن ابتلي بها فيرجى له أن لا تغلب عليه نفسه للخوف الغالب عليه فيتخلص من آفاتها وهذا معنى قوله أعين عليها هذا كله محمول على

---

[633] فتح الباري{144/13}رقم الحديث{7146}
[634] أبوداود في سننه{ رقم الحديث 3578}-ص{720}- والحديث ضعيف فيه عبد الأعلى بن عامر ضعفه الجمهور-
[635] فتح الباري{145/13}

ما إذا كان هنالك جماعة ممن يقوم بها ويصلح لها, فأما إذا لم يكن هنالك ممن يصلح لها إلا واحد تعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها, ويسال ذلك ويخبر بصفاته التى يستحقها بها من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام لملك مصر { اجعلني على خرائن الأرض وإني حفيظ عليم}[636] } قال الشيخ محمد الأمين الهروي في شرحه الماتع لصحيح مسلم : - ومع ذلك فلا يخفى أن من تعاطى الإمارة وسولت له نفسه أنه قائم بذلك الأمر فإنه يخذل فيه في أغلب الأحوال, لأن من سأل الإمارة لا يسألها إلا وهو يري نفسه أهلا لها إلا من عصمه الله تعالى , ومن دعى إلى عمل أو إمامة في الدين فقصر نفسه عن تلك الحقوق وهاب أمر الله رزقه الله المعونة قال النبي صل الله عليه وسلم: من تواضع لله رفعه الله فمن كان على قدم التواضع مع سؤاله الإمارة كما هو شأن الأنبياء والكمل من الأولياء يجوز سؤالها وطلبها, ومن لم يقدر على الجمع بينهما لم يجز له إرادتها ولا طلبها ولا الحرص عليها فضلا عن سؤالها باللسان والاستعان عليها بالشفعاء فتبيّن بهذا أن ما يفعله الناس اليوم في الانتخابات الديمقراطية من ترشيح أنفسهم لشتي المناصب , ودعوة الناس إلى التصويت في حقهم ليس من الإسلام في شيء, لأن المقصود بذلك في الغالب هو طلب المنصب في حقهم والرئاسة والشرف على ما يصحبه من مدح الرجل نفسه والنيل من أعراض مخالفيه واشتراء الأصوات بالرشوة وما إلى ذلك من المفاسد الظاهرة , فينبغى إن عقدت الانتخابات بطريقة شرعية أن لا يكون الرجل مرشحا ولا داعيا إلى ترشيحه أو التصويت في حقه والله سبحانه وتعالى أعلم}[637]

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى , في صحيحه بسنده من حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: يا أبا ذر , إني أراك ضعيفا, وإنّي أحب لك ما أحب لنفسي, لا تأمرنّ على اثنين, ولا تولّين مال يتيم}[638] وعند مسلم أيضا وغيره عن أبي ذر قال: قلت : يا رسول الله ألا تستعملي؟ قال: فضرب بيده على منكبي. ثم قال: {{ يا أبا ذر ! إنك ضعيف , وإنها أمانة, وإنها يوم القيامة

---

[636] قاله القرطبي في المفهم نقلا من الكوكب الوهاج محمد الأمين الهروي{20/7-8}
[637] الكوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم{20/8}
[638] صحيح مسلم مع شرح للإمام النووي{ 6/168} ورقم الحديث {1826}

خري وندامة , إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها}}[639] وبين الإمام النووي لهذين الحديثين باب -كراهة الإمارة بغير ضورة: ثم قال رحمه الله : - هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية, وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها, أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه , ويندم على ما فرط , وأما من كان أهلا للولاية وعدل , فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: سبعة يظلهم الله } والحديث المذكور هنا عقب هذا: { إن المقسطين على منابر من نور} وغير ذلك وإجماع المسلمين منعقد عليه , ومع ذلك فلكثرة الخطر فيها حذره صل الله عليه وسلم منها, وكذا حذر العلماء , وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا.[640] :- قال القرطبي قوله: -{ إنك ضعيف} أي ضعيف عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعات مصالح رعيته الدينية والدنيوية, ووجه ضعف أبي ذر عن ذلك أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا وترك الاحتفال بها, ومن كان هذا حاله لم يعتني لمصالح الدنيا ولا بأموالها اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم أمره, وقد كان أبو ذر أفرط في الزهد في الدنيا حتى اتنهى به الحال أن يفتي بتحريم الجمع للمال, وإن أخرجت زكاته وكان يرى أنه الكنز الذي توعد الله عليه بكي الوجوه والجنوب والظهور, فلما علم النبي صل الله عليه وسلم منه هذه الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة, وعن ولاية مال الأيتام وأكد النصحية له بقوله { وإني أحب لك ما أحب لنفسي} وغلظ الوعيد بقوله { وإنها { أي الإمارة { يوم القيامة خزي} أي ذل وهوان وحزن وأسف على من ضعف عن أداء حقها ولم يقم لرعيته بر عايتها{ وندامة } على تقلدها وعلى تفريطه فيها ومفهومه أن من لم يكن ضعيفا عن أداء حقها لا تكون عليه كذلك , وقد صرح به بقوله{ إلا من أخذها بحقها وأدّي الذي عليه فيها} وفي هذا إشارة لطيفة إلى أنها إما أن تكون عليه أو لا تكون

[639] صحيح مسلم مع شرح النووي{167/6} رقم الحديث 1825}- وأخرج أبو داود في سننه { 2487- 2868} والنسائي في الصغري{3626} 3667} وأحمد في المسند{21029-21051} وابن حبان في صحيحه{ 12: 375/ 5680} المستدرك لحاكم { 4:87- 7067} السنن الكبري للنسائي {6265-6561} والبيهقي في سنن الكبري{ 3/ 128- 4919} وغيرهم

[640] شرح النووي لصحيح مسلم { 168/6}

عليه أما إذا كانت له فلا بأس ولكن الأولى تركها إلا لضرورة كذا في المرقاة.[641]} وأخرج إمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده عن أبي موسى قال: أقبلت إلى النبي صل الله عليه وسلم ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلاهما سأل العمل. والنبي صل الله عليه وسلم يستاك, فقال: { ما تقول يا أبا موسى! أو يا عبد الله بن قيس !} قال: فقلت : والذي بعثك بالحق, ما أطلعاني على ما في أنفسهما , وما شعرت أنهما يطلبان العمل. قال : وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفتيه, وقد قلصت فقال: {{ لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده, ولكن اذهب أنت, يا أبا موسى! أو يا عبد الله بن قيس! فبعثه على اليمن, ثم أتبعه معاذ بن جبل, فلما قدم عليه قال: انزل وألقي له وسادة, وإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديا فأسلم , ثم راجع دينه دين السوء فتهوّد , قال : لا أجلس حتى يقتل, قضاء الله ورسوله , فقال : اجلس نعم قال: لا أجلس حتّى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرّات فأمر به فقتل, ثم تذاكرا القيام من الليل, فقال أحدهما معاذ أما أنا فأنام وأقوم وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي}[642]

كل هذه الأحاديث والأقوال تدل على كراهية الحرص على الإمارة.

حكم طلب الإمارات:

[641] الكوكب الوهاج {20/15-16}
[642] صحيح مسلم مع النووي{6/166} رقم الحديث{1733}

في هذا البحث إنما ألقي فيه الضوء على ذكر حكم طلبها تممة لفائدة . فإن العلماء اختلف في جواز سؤال الإمارات على حسب الأقوال الثلاثة,

المذهب الأول: الجواز,

المذهب الثاني: التحريم

المذهب الثالث: التفصيل:

المذهب الأول :القائلون بأن طلب الإمارات يجوز فاستدلوا بقول يوسف عليه السلام لما قال لملك مصر{ اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم}يوسف {55} فقد سأل الولاية , وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه, وكذلك استدلوا أيضا بحديث عثمان بن أبي العاص ﷺ-

حين قال للنبي صل الله عليه وسلم: اجعلنى إمام قومي, قال: { أنت إمامهم واقتد بأضعفهم, واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا}[643] وأما الذين ذهبوا إلى التحريم, فقد استدلوا بحديث عبد الرحمن بن سمرة : {{ لا تسأل الإمارة }} فقد نهاه النبي صلى الله عليه أن يسأل الإمارة , وبيّن سبب النهي بأن من أعطيها عن مسألة, وكل إليها ومن أتتها دون مسألة أعانه عليها,واستدلوا كذلك بقوله صل الله عليه وسلم: { إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه} فهذا نص جليّ في منع تولية من سال الإمارة مطلقا, أو حرص عليها, وكذلك غيرها من أحاديث في هذا الباب,وأما المذهب الثالث القائلون بالتفصيل. فقالوا: إن كان سؤال الإمارة لإصلاح ما فسد منها, وعلم طالبها من نفسه القدرة عليها, فإن ذلك جائز, وإلا فلا يجوز سؤالها, لأن السلامة للإنسان أسلم,ومن الذين رجحوا التفصيل الإمام القرطبي رحمه الله حيث ناقش ذلك في تفسيره عند تفسير سورة يوسف أن الآية قد دلّت على جواز أن يسأل الإنسان عملا يكون له أهلا.

أولا: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية, لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم, فرأى أن ذلك فرض متعين عليه, فإنه لم يكن هنالك غيره, وهكذا الحكم اليوم , لوعلم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه , ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك.

ثانيا: / أنه قال { إني حفيظ عليم} يوسف55} فقد سأل الولاية بالحفظ والعلم, لا بالنسب والجمال, وكل من تحقق فيه العلم والحفظ وليس هناك غيره من تحقق فيه العلم والحفظ وجب عليه أن يسأل الإمارة , لأن المصلحة تقتضي ذلك.

ثالثا: / إنما قال يوسف ذلك عند من لا يعرفه, فأراد تعريف نفسه, وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: { فلا تزكوا أنفسكم} النجم 32}

---

[643] أخرجه أبو داود {201/1} وبرقم 531} وقال الألباني صحيح صحيح أبي داود{107/1}

رابعا: أنه رأى ذلك فرضا متعينا عليه, لأنه لم يكن هنالك غيره وهو الأظهر والله أعلم}[644]

والقول الراجح عندي الذين قالوا بالتفصيل في حكم طلب الإمارة قد قال ابن حجر رحمه الله تعالى بعد أن ساق حديث الحرص على الإمارة ما نصه: بل في التعبير بالحرص إشارة إلى أن من قام بالأمر عند خشية الضياع, يكون كمن أعطي بغير سؤال, لفقد الحرص غالبا عمن هذا شانه, وقد يغتفر الحرص في حق من تعيّن عليه لكونه يصير واجبا عليه}[645]} وقد نص ابن القيم على جواز تأمير الإمام وتوليته لمن سأله ذلك إذا رآه كفأ, ولا يكون سؤاله مانعا من توليته, وهذا لا يناقض ما ورد في حديث أبي موسى: { إنا لن نولي على عملنا هذا من أراده}} فإن هذا يختلف باختلاف السائلين, فإن الصدائي- زياد بن الحارث- سأل الرسول صل الله عليه وسلم أن يؤمّره على قومه خاصة, وكان مطاعا فيهم, محببا إليهم, وكان المقصود من هذا الطلب هو إصلاحهم ودعوتهم إلى الإسلام}[646] ورأى أن السائل الذي في حديث أبي موسى, إنما سأله الولاية لحظ نفسه ومصلحته هو فمنعه منها, فولى للمصلحة, ومنع للمصلحة فكانت توليته لله ومنعه لله}[647] وبين الغزالي أنه لا يوجد تعارض بين الأحاديث, وأن من يظن أن هناك تعارضا , فليس قوله صوابا فقال: ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا, وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات, وأن الضعفاء لا ينبغى أن يدروا بها فيهلكوا, وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع, ولا تأخذه في الله لومةلائم, وهم الذين سقط الخلق عن أعنينهم وزهدوا في الدنيا , وتبرموا بها وبمخالطة الخلق, وقهروا أنفسهم وملكوها,وقمعوا الشيطان فآيس منهم , فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق , ولو زهقت فيه أرواحهم , فهم أهل نيل الفضل في الإمارة و الخلافة

---

[644] تفسير القرطبي {9/125-217} مع التصرف
[645] فتح الباري{13/ 126}
[646] الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير{5/262} برقم {5285} قال الشيخ الألباني: ضعيف ضعيف أبي داود{1/163} برقم 357}
[647] زاد المعاد {3/582}

ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات}[648] وهذا هو الحق إن شاء الله في مسألة طلب الإمارات, والله أعلم ,

القسم الثالث:الحرص على الشرف والجاه بالدين:

إن مما كثر اليوم عند بعض المسلمين ,الحرص على الشرف والجاه, حتى يطلبوا هما بالأمور الدينة, وذكر شيخ الإسلام حين قسم الذين يريدون العلوّ في الأرض , قال : والثالث: يريدون العلوّ بلا فساد, كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم , من الناس , وهو أكثر في المتعلقة

[648] إحياء علوم الدين{325/3}

بنوع من العلم أو نوع من الورع[649] } وهذا النوع من أخطر ومن أشد إفسادا وأقبح , فإن العلم والدعوة والعبادة إنما يطلب بها ماعند الله تعالى , ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له قال الله تعالى: { و ماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} البينة 4} لم يأمر عباده إلا إخلاص العبادة له, وإصلاح النية في طاعاته بما فيها إقامة الصلاة مع الإخلاص لله تعالى, وإيتاء الزكاة مع الإخلاص له حين إخراجها, والإخلاص له هو دين الله المستقيم المقبول عنده تعالى,قال الله تعالى: { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص} الأية الزمر{2} في هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أن أهم أسباب إنزال القرآن الكريم على رسوله صل الله عليه وسلم ,لقد أنزله الله بالحق الذي يجب على المسلمين أن يتبعوه, ولا تتبعوا من دون القرآن طريقا, وأنزله الله لإخلاص العبادة له تعالى, فقد وجه الله أمره إلى نبيه صل الله عليه وسلم وأتباعه بالعبادة مصاحبا بالإخلاص له الدين, وكل نوع العبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى. والعبادة هي كل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال, الظاهرة والباطنة, يشمل في ذلك العلم والدعوة والزهد, فإذا طلب الشرف والجاه بهذه الأمور كان أشد قبحا من الذين طلبوا الشرف والجاه بالدنيا, ولهذا ذم الله تعالى في القرآن الكريم اليهود الذين باعوا الدين بالدنيا, وكتموا للناس ما أمر هم الله بتبينه, قال الله تعالى: { فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفرلنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون} الأعراف 169} ولهذا يجب على المسلم أن يطلب علمه لله تعالى قال الثوري: إنما فضل العلم لأنه يتقى به الله , وإلا كان سائر الأشياء, وقد أخرج الإمام أحمد بسنده وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي هرير ﷺ عن النبي صل الله عليه وسلم قال: { من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة}[650] إنما يراد بالعلم الشرعي اقتداء بالأنبياء عليهم السلام ,

---

[649] السياسة الشرعية لابن تيمية{237-238}

[650] أخرجه أبو داود {10/98,97} العلم : باب في طلب العلم لغير الله , وابن ماجه {93/1} في المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعلم به }

وسلوك سبيلهم مما فيه الإخلاص في الطلب العلم , وعدم إرادة بعلمه عرض الدنيا, هو إقامة أوامر الله تعالى , وتحقيق العبودية, وتقويم الأخلاق بالعلم , وإرشاد الجاهل به, وإلتماس طريق الآخرة والجنة به , ويسهل الله طريقا به إلى الجنة,لمن أخلاص في طلبه,واستعمله في طاعته, وأما من أقام العلم لا لوجه الله تعالى , إنما ليصيب عرض الدنيا ومتاع الدنيا, أو لتصدر مجالس العلم, أو صرف الوجوه الخلق إليه, أو لعلو على خلق الله تعالى أو لرد الحق, وغمط الناس لم يجد يوم القيامة منفعة العلم الذي هو دخلول الجنة , ونجاة من النار, وهذا يكون أشد الناس حسرة يوم القيامة , عالم لم ينفعه علمه,لأنه كان معه آلة يتوصل بها أعلى درجات الجنة, وأرفع المقامات العليا, ولم يستعملها إلا في أدنى الشيء الزائل, ولهذا قال عبد الله بن مسعود: { لا تعلموا العلم لثلاث لتماروا به السفهاء, أو لتجادلوابه الفقهاء, أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم وفعلهم ما عند الله فإنه يبقى ويفنى ما سواه} { ومبالغة في تحريم الجنة لأن من لا يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعا, وهذا محمول على أنه يستحق أن لا يدخل الجنة والإثم أمره إلى الله تعالى, كأمر صاحب الذنوب إذا مات على الإيمان , وقيل: بل المراد أنه يكون محروما من ريح الجنة وإن دخلها, وقيل: بل هذا الحكم مخصوص بيوم القيامة كما هو المذكور في لفظ الحديث, وهو من حين أن يحشر إلى أن يستقر أهل كل دار مقره, وبيانه أن الأخبار سيما العلماء إذا وردوا يوم القيامة يجدون رائحة الجنة قبل أن يدخلوها, وتقوية لقلوبهم وتسلية لهموهم على مقدار مراتبهم, وهذا القياس للمبتغى للأغراض الفانية يكون في ذلك الوقت كصاحب أمراض حادثة في الدماغ مانعة من إدراك الروائح, لا يجد رائحة الجنة}[651] وأخرج الإمام مسلم رحمه الله بسنده في صحيحه من حديث أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر الدوسي ﷺ قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: {{ إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه , رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها, قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت, قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل, ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار, ورجل تعلم العلم

---

[651] جامع الشروح سنن ابن ماجه{169}

وعلّمه وقرأ القرآن, فأتي به فعرّفه فعرفها, قال: فما عملت فيها؟ قال تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن , قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم, وقرأت القر آن ليقال هو قارئ, فقد قيل, ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار, ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله, فأتي به فعرّ فه نعمه فعرفها, قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك, قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار}[652] والشاهد أن هذا العالم الذي وصفه رسوله صل الله عليه وسلم إنما كان علمه لغير الله تعالى, لأنه أشرك بالله تعالى في علمه حيث لم يعمل فيه اتبغاء وجه الله تعالى , إنما عمل فيه لعرض الدنيا, وطلب به الشرف و الجاه , ولذا كان أول الداخلين في النار مع سحبه على وجهه إليها, ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: { العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا ينقله ولا ينفعه}[653] ومثل ذلك قال قبله الحسن البصري رحمه الله : المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه, هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح , فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء}[654] وكذا قال بعض الحكماء : مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى, ثم دخل السوق ليشتري به, فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح وضرب به وجهه, فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس: ما ملآ كيسه , ولا يعطى به شيئا , فكذلك من عمل للرياء والسمعة لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولاثواب له في الآخرة قال تعالى: { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} الفرقان 32} أي يبطل ثواب الأعمال التي قصد بها غير ربه تعالى, وتصير كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس}[655] وقال علي ابن أبي طالب ﷺ : {{ للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده ,وينشط في الناس , ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم }[656] وكله يدل على أن المسلم أن يقصد

---

[652] أخرج الحديث برقم {3527}
[653] الفوائد لابن القيم{49/1}
[654] البكائر للذهبي{143}
[655] الزواجر عن اقتراف الكبائر{08/1}
[656] المرجع السابق

علمه لله وفي لله وبالله, حتى يدخل في أهل الخشية الذين حققوا في علموهم الإخلاص ,والخشية, والإنابة ,والتوبة ,والدعوة, والخضوع لله, والتواضع لخلق الله تعالى, كما قال الله تعالى: { إنما يخشى الله من عباده العلماء}فاطر{28}

وخشية الله تعالى يورث الإخلاص وإرادة العمل لدار الآخرة , ولهذا جعل بعض العلماء خشية الله تعالى هي العلم , وكفي الإنسان أن يكون عالما إذا حقق خشية الله تعالى وهو من أصحاب الصراط المستقيم, صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هي سبيل محمد ﷺ, الذي جاءنا بالبينات وأمرنا الإقتدابه, والذي يعمل بعمله لله تعالى إخلاصا منه فإن الله تعالى يعلمه ما لم يكن يعلم, والعالم الذي لا يعمل بما علم بالإخلاص يعذب يوم القيامة قبل أهل الشرك, فإن هذا في غاية الأهمية.

وما توفيقي إلا الله تعالى عليه توكلت وإليه أنيب, والله أعلم, سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه, وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين,

متحويات الكتاب	رقم الصفحة

تمهيد الكتاب:

المرجع والمصادر الأصلية:1

-القرآن الكريم	
2-صحيح الإمام البخاري	3 -صحيح الإمام مسلم
4- موطأ الإمام مالك	5-مسند الإمام أحمد
6-سنن الإمام النسائي	7-سنن الإمام أبي داود
8-سنن الإمام الترمذي	9سنن الإمام ابن ماجه
10-معاجم الثلاثة للطبراني	11-مسند الطياليسي
12-صحيح ابن حبان	13- صحيح بن خزيمة
14- مسند لابن أبي شيبة	15-مسند أبي يعلى
16- شعب الإيمان للبيهقي	17- سنن الكبري للبيهقي
18-سنن الدارقطني	19- سنن الصغري للبيهقي
20 سنن الكبري للنسائي	21- مسند البزار
22- مسند الشاشي	23-مسند الشهاب
24- مصنف عبد الرزاق	25-الجامع لابن وهب

26-مستخرج لأبي عوانة	27-تهذيب الأثار للطبري
المعرفة للفسوي	29-المعرفة لابن مند
30- الكنى للدولابي	31-مساوئ الأخلاق لابن أبي الدنيا
32- المستدرك للحاكم	33- حلية الأولياء لأبي نعيم
34-مجمع الزوائد للهيثمي	35-الترغيب والترهيب للمنذري
35-التأريخ البخاري	36-لتاريخ لابن أبي خيثمة
37-تأريخ لابن عساكر	38-أدب المفرد للبخاري
39-الزهد لابن مبارك	40- شرح السنة للبغوي
41-فتح المنّان في شرح المسند الدارمي	42-الطبقات لابن أبي الشيخ
45-مشكل الأثار للطحاوي	46- دلائل النبوة للبيهقي
47-الإبانة الكبري لابن بطة	48-السلسلة الصحيحة للألباني
49- الجامع الصحيح للألباني	50ظلال الجنة للألباني
51-غاية المرام للألباني	52-تخريج أحاديث المشكلة الفقر الألباني
53صحيح سنن أبي داود للألباني	54-صحيح سنن النسائي للألباني
55- صحيح سنن النسائي للألباني	56- صحيح سنن بن ماجه للألباني
شروح الحديث:	
57- فتح الباري لابن حجر	58- فتح الباري لابن رجب
59- شرح مسلم للنووي	60- المفهم القرطبي
61- فتح المنعم شرح مشلم	62- الكوكب الوهاج في شرح مسلم
63-عون المعبود شرح أبي داود	64- تحفة الأحوذي شرح الترمذي
65- تحفة عارضي شرح الترمذي	66-شرح لابن بطال للبخاري
67- مرقات المفاتيح بشرح المصابح	68- فيض القدير للقاري

69-اتحاف المهرة للبوصيري	70-الضياء في أحاديث المختار
71- نوادر الأصول لحكيم الترمذي	72-ذم الدنيا لابن أبي الدنيا
73-جامع الشروح لابن ماجه	74-منحة الباري
75- سبل السلام للصنعاني	77- نيل الأوطار للشوكاني
78- التمهيد لابن عبد البر	79- الاستذكار لابن عبد البر
80- شرح سنن لابن ماجه لسند	81- المنتخب لابي بكر الحداد
82- تقيد العلم للخطيب	83- أدب الدنيا والدين لابن أبي الدنيا
84- الإرواء الغليل للألباني	85 - إكمال المعلم بفوائد مسلم
86- ذخيرة العقبي بشرح النسائي الهروي	87- كتاب الأموال لابي عبيدة
88- كتاب الأموال للمالكي	89- كتاب الأموال للزنجوي
كتب التفاسير	
90- تفسير الطبري	91-تفسير القرطبي
92- تفسير لابن كثير	92- تفيسر السعدي
93- مفاتيح الغيب للرازي	94-تفسير اللباب
95- تفسير الوسيط	96- تفسيرا بن عطية
97- تفسير البسيط للواحدي	98- فتح البيان للصديق حان
99- تفسير بحر المحيط لابي حيان	100- أحكام القرآن لابن العربي
101- تفسير المنير الذحلي	102- زاد المسير لابن الجوزي
103- تفسير نكة العيون الماوردي	104- تفيسر المراغني

105- التنوير لابن عاشور	106-أضواء البيان للشنقيطي
107- تفسير البيضاوي	108- تفسير أبو السعود
109- الكشاف للزمخشري	110-تفيسر الخازن
111- روح المعاني للألوسي	112- تفسير القاسمي
كتب الفقه	مذهب الحنفية
113- المبسوط	114- البحر الرائق
125- العناية	116-التقرير والتحبير لمحمد بن عمر
117- الكشف الكبير الرائق 118	- حاشية رد المختار لابن عابدين
119- أصول السرخسي	
كتب القفه	مذهب المالكية
120-الموافقات للشاطبي	121- الإشراف على مسائل الخلاف
123- فقه المالكي وأدلته لحبيب طاهر	124- مدون الفقه المالكي وأدلته
كتب الفقه	مذهب الشافعي
125- كتاب الأم للشافعي	126- الأشباه والنظائر للسيوطي
127- المنثور للزركشي	128-روضة الطالبين للنووي
129- المجموع للنووي	130- المتهاج المربع للنووي
كتب الفقه	مذهب الحنبلة
- 131منتهى الإرادات للتوجي	132- الإقناع للحجازي

132- اخصر المختصرات لابن بلباب 135المغنى لابن قدامة	133- المقتع مع حاشية سليمان- 136-شرح العمد لابن تيمية
137- الشرح الممتع على زاد لابن عثيمين	138 - جامع فقه لابن القيم
139- زاد المعاد لابن القيم	
كتب أخري	
140- مجموع الفتاوى لابن تيمية	141- الفتاوي الكبرى له
142- مجموعة الرسائل لابن رجب	143- مجموع الفتاوي للجنة الدائمة
144- مجموع الفتاوي لابن عثمين	145-طريق الهجرتين لابن القيم
146- مفتاح دار السعادة لابن القيم	147 مدارك السالكين لابن القيم
148 عدة الصابرين لابن القيم	409 الفوائد لابن القيم
150- العبودية لابن تيمية	151- التحفة العراقية لابن تيمية
152- الوصية الصغري لابن تيمية	153- السياسة الشرعية لابن تيمية
154 الطائف المعارف لابن رجب	155- السر المكتوم في التفريق بين المالين
156-أحكام السلطانية للماوردي	157-معارج القبول للحكمي
158- حاشية التوحيد لابن القاسم	159لقاب الباب المفتوح
160- تذكرة المؤنسي في شرح عقيد الحافظ عبد الغني المقدسي	
161-تفسير العزيز الحميد	162 - شرح ثلاثة الأصول
163- إعانة المستفيد للفوزاني	164- الحث على التجارة لخلال
165- الأداب الشرعية لابن مفلح	166- الدرر المنثور للسيوطي
167- التصفية والتربية للالباني	168- المدخل الدراسة الشريعة للزيدان
169- معجم لغة الفقهاء	170- مباحث العلة
171- أقسام البسب	172- التعليق الحامي على مختصر الحامي

173-مباحث العلة في القياس	174 تحرير ألفاظ التنبيه
175- الكليات للجرجاني	176 - الوابل المصيب لابن القيم
177- إحياء علوم الدين للغزالي	178-كتاب المصت لابن أبي الدنيا
179الكبائر للذهبي	180 - الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي
191-مجلة البحوث الإسلامية	192- الفقه الإسلامي وأدلته للزهلي
كتب اللغة	
مقايس اللغة	كتاب العين
المفردات للراغب	بصائر ذو التمييز
لسان العرب لابن منظور	التعريفات للجرجاني
التوفيق على مهمات التعريف	تاج اللغة للجوهري
القاموس المحيط	جمهرة أشعار العرب
النهاية في غريب الحديث	المجعم الوسيط
المتخار الصحاح	
